

مركز الدراسات والوثائق

الإمامة الإباضية والاستعمار

دراسة حول الاستعمار البرتغالي للخليج العربي وإحياء الإمامة الإباضية بزعامة اليعاربة ومقومات المشروعية

بلال موسى بلال العلي

سلسلة كتاب الأبحاث

26



بلال موسى بلال العلي

مواليد 1976 الكويت

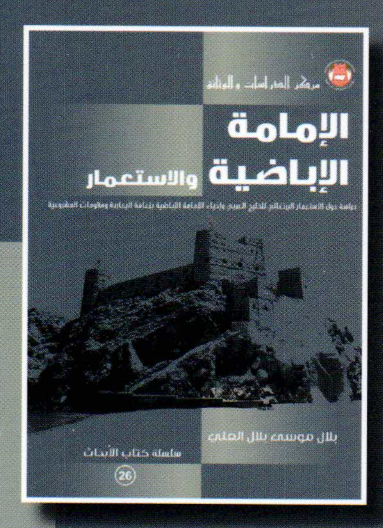
حاصل على بكالوريوس في الآداب تخصص تاريخ حديث ومعاصر من جامعة بيروت العربية عام 1999 .

نال درجة الماجستير في الآداب تخصص التاريخ الاجتماعي من جامعة محمد الخامس- الرباط في المملكة المغربية عام 2009 .

يعد رسالة الدكتوراة في التاريخ الحديث والمعاصر عن دولة الإمارات العربية المتحدة في جامعة سيدي محمد بن عبدالله / كلية الآداب والعلوم الإنسانية (سايس/فاس) بالمملكة المغربية.

البريد الالكتروني:

bilal-alali@hotmail.co.uk



هذا الكتاب

يلقي هذا الكتاب الضوء على الأوضاع في عمان قبل/ بعد وصول الاستعمار البرتغالي، وذلك في محاولة جادة في البحث حول علاقة الدين بالسلطة والمجتمع، ومناقشة إشكالية التقدم والتجاوز، والذى طرحه منذ بداية القرن العشرين مفكرو النهضة العربية، والذي لخصه شكيب أرسلان في مقولته : لماذا تقدم الأخر الغرب وتأخرنا نحن مع كل فرص التطور ؟ .

يناقش الكتاب الاستعمار البرتغالي ودواعيه وأسباب انهياره كخلفية تاريخية عن الموضوع، كما يعتبر وصول اليعاربة للحكم تحت قيادة الإمام ناصر بن مرشد ١٦٢٤ وإعادة إحياء الإمامة الإباضية بعد فترة من الغياب نقطة تحول بارزة وهامة، بما يشكله انتقال الحكم من جماعة إلى أخرى وقيام الدول من الأهمية بمكان، فما هي الأدوات التي ارتكز عليها اليعاربة لتثبيت وتأكيد شرعيتهم ، والتي جعلت من المشروع اليعربي مشروعا قابل للنجاح؟ لذلك يركز الكتاب على الركائز المادية للسلطة والمكونات الرمزية والأيديولوجية، والتي ساعدت في صياغة ونجاح مشروع إحياء الإمامة الاباضية بزعامة اليعاربة.

كما تتطرق الكتاب على تتبع البدايات الجنينية الأولى لمراحل تأسيس دولة اليعاربة بزعامة ناصر بن مرشد ، وذلك بتقسيمها على محطات كبرى ترصد مراحل ذلك التأسيس حتى وفاة الإمام ناصر بن مرشد١٦٤٩.

خلاصة القول بأن الكتاب محاولة جادة للانفتاح على العلوم الإنسانية، وإثراء وفتح آفاق جديدة للتراكم الحاصل في كتابة تاريخ الخليج وذلك بإتباع مسار ومنهجية تهتم بالجزئيات قبل الكليات، ودراسة العقليات ورصد الأدوات الرمزية والإيديولوجية لأصحابها.

وينقسم الكتاب إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، حيث يتحدث الفصل الاول عن بنيات وأوضاع المجتمع العماني قبل الاستعمار البرتغالي، أما الفصل الثاني فيتناول بروز الاستعمار البرتغالي وأثر الازمات على المجتمع العماني، واهتم الفصل الثالث بدراسة الإمامة الإباضية وبعض ملامح افكارها حول السلطة والدين والمجتمع ثم ميلاد وتأسيس دولة اليعاربة، وانتهى الكتاب بخاتمة تضمنت الخطوط العريضة لابرز النتائج التى توصل اليها البحث، ثم تلا ذلك الملاحق ذات الصلة ثم عزز بالمصادر والمراجع المستخدمة.


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

تاريخ 08 / 10 / 2009

موافقة المجلس الوطني للإعلام رقم : 1/100122/24438

رقم التصنيف : ع ل ي - 401 ، 953

الإمامة الإباضية والاستعمار

تأليف : بلال موسى بلال العلي

إصدار مركز الدراسات والوثائق

رأس الخيمة - الإمارات العربية المتحدة

مقاس : 17 / 24 — عدد الصفحات 175

الرقم الدولي: ISBN978-9948-15-771-7



مركز الدراسات والوثائق

ص.ب : 1559 - رأس الخيمة - الإمارات العربية المتحدة

هاتف: 2331111 - 07 - 00971 / فاكس: 2331000 - 07 - 00971

DOCUMENTARIES & STUDIES CENTRE

Tel.: 00971-7-2331111 / Fax: 00971-7-2331000
P.O.Box : 1559 , Ras Al Khaimah, U.A.E
E.mail: dscgrak1@emirates.net.ae
www.dsc.rak.ae

الإمامة الإباضية والاستعمار

دراسة حول الاستعمار البرتغالي
للخليج العربي وإحياء الإمامة الإباضية
بزعامة اليعاربة ومقومات المشروعية

بلال موسى بلال العلي

الطبعة الأولى
2010 م

إهـــداء

إلـــى

والـــدي......................وروحه العطـرة

والــدتي....................وقلـبها الطـيب

زوجتـي.......................وصبـرها الـدائم

ابنــي ....وطفولته الحالمة

أخـواتي......................ومشاعرهم الطيبـة

صديقـي يعقـوب......وذكـراه الغـالية

والـــد زوجتي ....وصبره الـواسـع

والـدة زوجتي............وعينـهـا السـاهـرة

أصـدقائي وجميـع من يحـبنـي أهدي كتابي هذا......

شكر وتقدير

أتقدم بالشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف حاتمي محمد، الذي خص هذا البحث منذ ولادته بالاهتمام والمؤازرة والإرشاد في كثير من الأمور الأكاديمية والمعنوية.

وأقر بالجميل والعرفان لأساتذة كلية الآداب والعلوم الإنسانية المؤطرين لوحدة المجتمعات الإسلامية والمتوسطية والحداثة. لما قدموه من توجيه وملاحظات قيمة.

وأشكر كذلك الدكتور أحمد بوشرب لملاحظاته ومعلوماته القيمة حول الاستعمار البرتغالي بشكل خاص، وكذلك الشكر موصول لجميع العاملين في مكتبة جامعة محمد الخامس/أكدال.

كما أتقدم بالشكر والعرفان والتقدير إلى السفارة العمانية بالرباط، للمعلومات والدعم المعرفي للبحث، وأخص بالتنويه رئيس الملحق الثقافي بالسفارة العمانية، والعاملين فيها وبالأخص الأستاذ عبدالرزاق كبيري. كما لا ننسى الدعم والمساندة من قبل مركز الوثاق والبحوث بدولة الإمارات العربية المتحدة/ أبوظبي. وبالأخص الأستاذ سهيل شعبان.

كما أتقدم بمشاعر العرفان والتقدير إلى جميع العاملين في:

1. المجمع الثقافي/ أبوظبي
2. مركز الدراسات والوثائق/ رأس الخيمة
3. مكتبة آل سعود/الدار البيضاء
4. المكتبة الوطنية /الرباط
5. وزارة الإعلام والتراث القومي والثقافة بسلطنة عمان/ مسقط
6. مركز زايد للتاريخ والتراث / العين

7. مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث/ دبي

8. مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية/ أبوظبي

9. مكتبة زايد التابعة لجامعة الإمارات / العين

10. جميع دور النشر والمكتبات التي دعمت البحث.

وأخيرا الشكر والامتنان لرئيس وحدة المجتمعات الإسلامية والمتوسطية والحداثة، ولجميع الأصدقاء الأعزاء، بالإضافة إلى زملائي الطلاب في جامعة محمد الخامس/أكدال، للدعم والمساندة والتأييد الكاملين، ولجميع من وقف بجانبي.

بلال موسى بلال العلي

فهرس المحتويات

الفصـل الثاني

الاستعمار البرتغالي وتداعيات أزمات المجتمع:

الفصـــل الثالث

الإمامة الإباضية وميـلاد دولة اليعاربـة:

المقدمـة

جسـد الاسـتعمار البرتغالي وقيام دولة اليعاربة، نقطة تحول بـارزة في تاريخ عمان على وجه الخصـوص والخليج بشكل عام، حيث شـكلت صدمة أول استعمار أوربي لمنطقة الخليج (العربي/الفارسي) في القرن السادس عشر الميلادي، فرصة للانتقال نحو العالم الحديث، ومناسبة لتغيير شكل المجتمع، بل وامتداد تأثيره على عقليات وتفكير أبناء الخليج.

لقـد أجمعت غالبية الأبحاث المنجزة في هذا الموضـوع، على أهمية الاسـتعمار البرتغالي كنقطة تحول بارزة في تاريخ الخليج، من الناحية السياسـية والاقتصـادية والاجتماعية، كما تنوعت أسـباب أو دوافع الاستعمار البرتغالي(سياسـية - اقتصادية — دينية-معرفية) إلى حد تضـاربت فيه الآراء حول المحفز الرئيسـي لها، ولكن من الواضح أن جميع تلك الأسباب كانت حاضرة بقوة في بداية مخططات وأهداف الاستعمار البرتغالي للخليج.

إلا انـه كمـا يقول رولان موسـنييه R.Mussenier مـع مرور الوقت، احتلت الأسـباب الاقتصـادية مركز الصـدارة بين الأسـباب الأخرى[1]، كما يذكر لنا سلوت (B.J Slot) أن الهاجس الاقتصـادي كان طاغيا في وثائق الاسـتعمار البرتغالي فيقـول:« ليس هناك وفرة في وثائـق تاريـخ الخليـج يضـاهي الوثائق الموجـودة لدينا حول المسـائل الاقتصـادية [...] فالوثائق الاقتصـادية البرتغالية والهولندية والانكليزية العديدة تعالج ميدانا واحدا فقط في اقتصاديات الخليج، وهو موضوع التجارة الخارجية»[2].

كما أن وصـول اليعاربة الإباضـية للسـلطة وإعادة إحياء الإمامة الإباضـية بعد فترة من الغياب دامت أكثر من نصف قرن، تعتبر نقطة تحول هامة وبارزة. والواقع أن غالبية المصادر

....

(1)- رولان موسنييه، موسوعة تاريخ الحضارات العام-القرنان السادس عشر والسابع عشر، ترجمة للعربية (يوسف اسعد داغر/ فريد م.داغر)، مجلد 4، منشورات عويدات، بيروت/باريس، ص.421

(2)- ب .ج سلوت B.J SLOT ، عرب الخليج 1602-1784 THE ARABS OF THE GULF، ترجمة : عايدة خوري، المجمع الثقافي، ط1، أبوظبي، 1993، ص.95

قامت بعملية سـرد تاريخية لمراحل إحياء الإمامة وانتقال الحكم إلى اليعاربة بزعامة ناصر ابن مرشـد، وغلبت عملية التعليل والوصف الحدثي. وهمشت الحقيقة والعلاقة المتحكمة في الإنسان والمجال.

إن الغرض من هذا البحث هو تحويل الاهتمام في الجانب الأفقي السـردي الحدثي، إلى البحث في مسـتويات عمودية موازية له. فليس الغرض من هذا البحث التركيز على تفاصـيل ودواعي الاسـتعمار البرتغالي للخليج وقيام دولة اليعاربة، وتتبع ذلك الصـراع بينهم ، فلقد أشـبع ذلك الموضوع دراسة وتمحيصـا ، والأمر دفع بي إلى التساؤل عن آفاق البحث في حالة اتبـاع نفس المسـار والمنهجية؟ فوجدت بصـراحة أنه ليـس بالإمكان إضـافة جديد للتراكم الحاصـل في كتابة تاريخ الخليج . ومع ذلك كله سـوف يتم عرضـها بصورة سريعة كخلفية تاريخيـة لتكتمـل معالم الصـراع بين مجتمع الامامة الإباضـية بقيادة اليعاربة والاسـتعمار البرتغالي.

ويتطرق البحث إلى مناقشـة إشكالية انتقال السـلطة، وإحياء الإمامة الإباضية، ورصد مقومات المشـروعية لقيام دولة اليعاربة بزعامة ناصر بن مرشد. ومن ثمة البحث عن أسس تلك المشـروعية. والكيفية التي تمت بها صـياغة مشـروع إحياء الإمامة الإباضـية، والتي لا يمكن دراسـتها وفهمها بشكل صـحيح إلا عن طريق دراسة مبـادئ وأصـول الفكر الإباضي فيما يخص السلطة. والآليات التي تؤسس لها.

لقد كانت عملية إحياء الإمـامة الإباضـية وانتقـال حكـم عمان إلى زعامة دولة اليعاربة (1034هـ/ 1624م) مرحلـة تاريخيـة حصـلت في ظـل الأزمات السياسـية والاقتصـادية والاجتماعية التي كانت تعانيها البلاد. والتي زادت من شدتها الصراعات القبلية التي أنهكت البلاد والعباد، بالإضـافة إلى الاسـتعمار البرتغالي المسـيطر والقابع على سواحلها، والذي حرمهـا من مصـادر دخل مهمة كانت تجنيها عمان والخليج من تجارة المضـاربة كوسـطاء لتجارة وثروات الشرق. حتى قال السالمي : « ولبث سيف بن محمد الهنائي في بهلى. وآل عمير في سمائل. ومالك بن أبي العرب اليعربي في الرستاق. والجبور في الظاهر، والنصارى[1] في مسكد وصحار وجلفار وصور وقريات، وخربت عمان بعد العدل والأمان»[2] .

---

(1)- النصارى: يقصد بهم البرتغاليين.

(2)- نور الدين عبدالله بن حميد السالمي، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج1، مكتبة الاستقامة ، القاهرة 1993،ص. 400

وخلال هذه الفترة الصـعبة، سعى العمانيون إلى إحياء دولة الإمامة الإباضية من جديد لتتولى فريضة الجهاد، وذلك عبر استبدال مقياس العصبية في الحكم الذي أورده بن خلدون بمقياس ديني (المذهب الإباضـي)، وهو ما تمخض عنه توحيد المجال في سبيل قضية وطنية ذات إطار ديني وسياسي.

يهـدف هـذا البحث إلى رصـد درجات تأثـير ذلك الاسـتعمار، وتلك الفوضـى والفرقة والصـراعات القبليـة على عقليـة وبنيات المجتمـع، والنتائج السوسـيو-ثقافية للاسـتعمار البرتغالي لسـواحل عمـان . والطريقة التي واجهوا بها تلك الأزمـة. وذلك من خلال معرفة الأوضـاع السـائدة في عمان قبل مجيء البرتغاليين، وربطها بالكيفية التي سـلكها العمانيون لحل أزمات المجتمع وخاصة بعد دخول الاستعمار البرتغالي.

كما سيتناول البحث إشـكالية انتقال السلطة وإحياء الإمامة الإباضية بزعامة اليعاربة، والتطـرق إلى دور الفاعلـين فيه، وإبراز دور العلماء الإباضـية وتمييزهم من خلال الظرفية العامـة، بمـا في ذلك من الأهمية لمعرفة الأسـس التي قامت عليها تلك الدعوة الإصـلاحية، والدواعـي التـي تم بهـا إصـباغ وإدراج مؤسـس الدولـة ناصـر بـن مرشـد بفئـة الأوليـاء والكرامات.

يناقـش البحـث الكيفيـة التي جمـع بها المذهب الإباضـي بـين الرابطة الدينيـة والقوة السياسـية، ثم المواجهة والمطالبة والسـعي وراء السـلطة، ومن ثمة تأسـيس الملك والدولة ؟ والتي يمكن أن تطرح عدة تساؤلات حول دوافع تلك المطالبة.

كما أنه سـوف يتم التطرق إلى مسـببات الاسـتعمار البرتغالي وعوامـل انهياره، كخلفية تاريخيـة مرتبطة بالموضـوع وإحياء دولـة الإمامة بزعامة اليعاربة، والتي سـيتم تناولها من خـلال مقاربات سـابقة حول الموضـوع، وذلك تفاديا لإعادة إنتاج مـا قيل في هذا المجال من طرف المهتمين بهذا الموضـوع، وبالتالي سـيكون عرضـها مرة أخرى بهدف تقريب وتوضيح الرؤيا لتكتمل معالم قصة الصراع بين المستعمر والعمانيين.

ويرجع سـبب اختياري لهذا الموضـوع بالأسـاس إلى تطلعي لإنجاز دراسة تاريخية حول المجتمـع الخليجي، حيـث إن معظم الدراسـات التاريخية المنجزة عنه تركـزت على التاريخ السياسـي والصراعات القبلية وتعاقب الشـيوخ والأمراء والسلاطين. بينما ظلت الدراسات العربية حول الدولة والمجتمع والدين محدودة للغاية وشبه غائبة، حتى أضحى التاريخ تاريخ

عظام وغزوات وإحداث سياسية، مما أدى إلى قلة الاهتمام بمواضيع المجتمع. ونشأة وتطور هيكل وأيديولوجية الدولة.

لقد حان الوقت لتسليط بعض الضوء على ذلك المجتمع الذي قاسى وصارع الاستعمار عبر التاريخ، وذلك منذ أن فتح القرن السادس عشر الباب على مصراعيه أمام القوى الاستعمارية الإمبريالية الرأسمالية لنهب ثروات الشرق. إذ ترتب عن ذلك إدماج المنطقة في منعطف الإمبريالية والحداثة.

إن هذا البحث محاولة للتعريف بأن تاريخ الخليج ليس صراعات قبلية وذهبا اسودا فحسب، بل يجب علينا البحث والخوض في جوانب أخرى في تاريخ الخليج، والتساؤل: ألم يتأثر أهل الخليج وعمان خاصة بتلك التحولات والأزمات ودخولهم في صراعات مع دول الإمبريالية الاستعمارية وصراعات الرأسمالية ؟

لقد اعتبر عصر اليعاربة العصر الذهبي للإمامة الإباضية بعمان، ويجدر بالذكر أن موضوع الإمامة والأئمة كان من المواضيع الهامة التي انشغل بها العمانيين لفترة طويلة، بالإضافة إلى صعود اليعاربة للإمامة والتي تعتبر نقطة بارزة وهامة لبزوغ عصر إمامة الظهور الثانية [1] .

---

(1)- إبراهيم بن يوسف، في الحكم والسياسة في الإسلام من منظور الإباضية، مطبعة تقنية الألوان، الجزائر، 1991 ، ص. 23

المنهجية

حاولنا من خلال البحث التطرق إلى مقومات المشـروعية لحكم اليعاربة وكذلك المكونات الرمزيـة الأيديولوجية، وذلك لمحاولة ربط الواقع بالرمز، ومـن ثم «إدراج وإعداد الكرامة كموضوع معرفي» [1].

كمـا وجـب علينا منـذ البداية أن نشـير إلى أنه ليس الهدف من هذه الدراسـة التطرق إلى معرفة مدى مصـداقية الكرامة من عدمها، بقدر أنهـا محاولة لقراءة ومحاورة الرموز والأيديولوجيـة ومعرفـة الدور الذي تلعبـه الكرامة، من خلال معرفـة العوامل التي أدت إلى توظيف وربط الواقع بالرمز، وذلك من خلال سياقها الحدثي.

وقد توخينا من هذه الدراسـة هدفا محددا، هو إصـباغ وإدراج مؤسـس الدولة ناصر بن مرشـد في فئة الأولياء وأصحاب الكرامات، وتأسيسا على مقولة الأستاذ عبد الأحد السبتي» فالتصور المناقبي والكرامات من العناصر الأساسية التي تهيكل الذاكرة الجماعية» [2].

فيقول السـالمي عند الحديث عن كرامات مؤسـس دولة اليعاربة ناصر بن مرشد: « وقيل إن رجلا كان نائما في مسـجد قصـري بالرسـتاق فرأى كأن في إحدي زوايا المسـجد سراجا مضيئا، فلما انتبه رأى في تلك الزاوية الإمام مضطجعا وذلك قبل أن يعقد له» [3].

كما أن البيئة الداخلية الجبلية والصـحراوية الفقيرة بمواردها ومحفزاتها الاقتصـادية والاجتماعية، كانت سـبب ليكون البحر هو قبلة نشـاط الإنسـان العماني وعماد اقتصـاده. وعنصـر مؤثر في مجريات الأحداث التاريخية، وهو ما دعانا إلى توضيح العلاقة الأزلية بين الإنسان والمجال، وتأثيرهما المتبادل بعضهم ببعض والإفرازات التي نتج عنها.

(1)- عبد الأحد السبتي،، أخبار المناقب ومناقب الأخبار ،، ضمن كتاب (التاريخ وأدب المناقب)، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، 1989، ص. 112

(2)- المرجع نفسه، ص. 113

(3)- السالمي، مصدر سابق ،ج1، ص. 16

وحاصل القول إن هدف هذه الدراسة هو صياغة نظرة عامة تحاول الربط بين هذه المحاور جميعها، على نحو يسهم في تحديد وضع الإمامة الإباضية داخل إطار المجال والزمن الواسع .

كما أن اختيارنا محدد زمنيا. ينطلق من حدث تاريخي بارز في المجتمع الإباضي العماني هو إحياء الإمامة الإباضية بزعامة اليعاربة في المجتمع ليقوم بدور وحدة الأمة والدفاع عن ترابها وكيانها وبناء المجتمع. لذلك سوف نحاول تفسير ذلك الحدث التاريخي بالرجوع إلى مختلف الممهدات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

المصادر

اعتمدت على هذا البحث على مصادر متنوعة، حاولت أن اجمع قدر المستطاع من النصوص المختلفة والمتون والرموز والتي أرخت لتلك الحقب، والتي تشكل وتعكس التوجهات السياسية والفكرية لمنتجها، وما يعاب على تلك المصادر بالأساس هو قلتها وندرتها.

ولكن لا يجب علينا السقوط في الاعتقاد بأن أهل الخليج وعمان خاصة، لم يهتموا بتأليف وتدوين تاريخهم، فالحقيقة تدل على أنهم اهتموا واعتنوا بالتأليف وخاصة في ميادين التاريخ والسير والعلوم والدين واللغة والأدب. وأما تلك القلة في المصادر التاريخية، فإنما ترجع بالأساس إلى عدة عوامل. يفسرها السالمي باقتضاب بقوله: "إذ لم يكن التاريخ من شغل الأصحاب، بل كان اشتغالهم بإقامة العدل وتأثير العلوم الدينية، وبيان ما لابد من بيانه للناس، أخذا بالأهم فالأهم فلذلك لا تجد لهم سيرة مجتمعة، ولا تاريخا شاملا" [1].

كما أن السير تغطي بالغالب الجوانب المذهبية والفقيه والأحداث المتعلقة بالإمامة والأئمة والأحداث الكبرى التي وقعت بعمان، وفي المقابل تغفل الجوانب الحضارية والاجتماعية.

كما أن انقطاع حكم الأئمة الإباضية كحلقة غير متصلة، بسبب سيطرة القوى الداخلية المحلية أو الخارجية التي كانت تسيطر على الحكم وتقيم دولا حاكمة في عمان، حينئذ كان الأئمة ومؤيدوهم يعتبرون هؤلاء الحكام طغاة ويطلقون عليهم مسمي (الجبابرة)[2]، لذلك امتنع أهل عمان عن كتابة تلك الفترة وحكامها، فيقول السالمي: «وخربت عمان بعد العدل

---

(1)- السالمي، مصدر سابق ،ج1، ص.4

(2)- الجبابرة : مصطلح لا يراعى فيها الانتقائية، بل تشمل كل حاكم حاد عن المذهب الإباضي، بحيث انه يدخل فيه كل من ولي أمر المجتمع الإباضي وانحرف عنه ولم يقم العدل، سواء أكان إباضيا أو سنيا أو شيعيا أو معتزليا، والمراد بهم ملوك الطوائف في عمان ورؤساء القبائل ونحوهم من الأمراء المحليين الذين كانوا يبرزون وقت ضعف الإمامة الإباضية.

والأمان وعاشت فيها الجبابرة»[1].

ونلاحظ الصمت عن ذكر الفترة التي تضعف فيها الإمامة، وكذلك ذكر الفترة التي تم فيها احتلال أرضهم وغزوها من قبل النصارى البرتغاليين، وسيطرة الجبابرة على عمان، كما هو الحال مع حكم بني نبهان، والذي استمر حكمهم ما يقرب خمسة قرون، ورغم ذلك لا نجد صداهم يذكر سوى عند شاعرهم الستالي في ديوانه(ديوان الستالي) حيث أشار لبعض أسمائهم وأعمالهم.

والحقيقة أنهم لم يكونوا جميعهم فاسدين وجبارين، حيث قام بن رزيق بذكرهم كملوك عظام، وذكر بعض أعمالهم ووصفها بالأعمال الجليلة والعظيمة أمثال الفلاح بن المحسن. وكذلك من خلال مشاهدات ابن بطوطة في القرن الرابع عشر ومقابلته للملك النبهاني أبي محمد وذكر شدة كرمه، وبالتالي من التطرف والغلو بأن نطلق حكما مطلقا يرجع سبب تردي الأوضاع في عمان إلى النبهانيين دون غيرهم، بحيث نجد أيضا أن العمانيين لم يعطونا أيضا صورة واضحة وحلقات متصلة حول حكم الأئمة الإباضية أنفسهم، والذين اختلفوا عليهم أيضا كل حسب رأيه، فاشتعلت بينهم البراءات.

ومن الأسباب الهامة أيضا أن عمان شهدت العديد من الأحداث والتناقضات التي أثرت على مجريات تاريخها، بالتالي كان الإنتاج الفكري العماني عرضه لذلك التخريب والدمار والإحراق من جراء قيام الفتن الداخلية والحروب المحلية والهجمات الخارجية، وهذا ما ذكره ابن رزيق صاحب كتاب الشعاع الشائع باللمعان[2]، وكذلك ذكره المؤلف المجهول بكل وضوح فيقول:« واستقامت الحرب في الرستاق [...]وفيما بلغنا أنه احترق مائة رجل، وخمسون رجلا واحترقت كتب كثيرة، مثل: بيان الشرع، والمصنف، وكتب الاستقامة، ومجلبات الطلسمات قدر أربعين مجلبا، واحترقت كتب كثيرة، ولم يكن لها نظير بعمان»[3].

وهكذا نتج بشكل واضح ندرة في المصادر التاريخية القديمة والتي اعتنت بتاريخ عمان وحضارتها والجوانب الاجتماعية والدينية وبالمعلومات الدقيقة المضبوطة، وأثر ذلك النقص

....

(1)- السالمي، مصدر سابق ،ج1، ص.400

(2)- حميد بن محمد بن رزيق، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ،وزارة التراث والثقافة،مسقط ،1978، ص. 289

(3)- مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان، تحقيق وشرح دكتور سعيد عبدالفتاح عاشور، وزارة التراث والثقافة، مسقط ،2005، ص.154 (ملاحظة: لم يذكر بوضوح من صاحب الكتاب ،ولكن جاء في مؤخرة الكتاب بأنه بقلم ، أبي عبيدر فرحان،وانه نسخة لـ ناصر بن محمد بن أحمد المعولي).

في الكتابات التاريخية الحديثة.

إلا أن العمانيين نشطوا في التدوين التاريخي ابتداء من عهد دولة اليعاربة من خلال تقصي تاريخهم وتدوينه، وهذا تغيير بالغ الأهمية، نتج عنه الاهتمام وغزارة الكتابة التاريخية والتدوين ابتداء من القرن السابع عشر الميلادي، واعتمادها على الروايات المتناقلة والشفهية والشعر، ولكن برغم ذلك كان لتلك الكتابات تميز عن غيرها، بأنها كان لها الامتياز في الاطلاع بمصادر قديمة اندثرت لم نستطع الحصول عليها وقاموا هم بالاطلاع عليها وإعادة كتابتها وصياغتها مرة أخرى.

كما يمكن أن يعاب على المصادر العمانية انتمائها إلى مدرسة فكرية واحدة وتضم الفئة المتعلمة، وهذه المدرسة اهتمت بتدوين الأحداث التاريخية وفق منظور وأفكار المذهب الإباضي السائد في عمان والمتجذر بها منذ فجر الإسلام، وبالتالي أنها كتبت وصيغت ضمن خطاب أيدلوجي ومؤسساتي، وتشكلت عناصرها الشكلية والمضمونية، ونجد بأن الأحداث تدون من وجهة نظر المذهب الإباضي، وبالتالي يمكن اعتباره عنصر غير محايد في نقل الصورة إلينا، ومن هنا تكمن المشكلة من خلال الأصوات المشككة بمدى مصداقية تلك الكتابات في نقل الخبر.

ومع ذلك نري بعضهم حاول توخي الصدق والأمانة في النقل بقدر المستطاع من أمثال الشيخ نور الدين السالمي:« وذكر ابن رزيق الشاعر في وجود الإمام بلعرب أخبارا هائلة، أعرضنا عن ذكرها للشك في صحتها والله أعلم »[1]، وكذلك الحال بالنسبة للمؤلف المجهول صاحب كتاب تاريخ أهل عمان.

مع ذلك تعتبر تلك المصادر من الأهمية بمكان، لأنها السبيل إلى معرفة أحوال المجتمع العماني والفكر الإباضي، كما أنها ترسم لنا الأطر العامة التي ظهرت بها كتابات التراث العماني عامة، برغم أن الحديث عن تتبع حركة الناس في مجتمعات لا تهتم برصد تلك الظواهر من الصعوبة بمكان.

سوف نسعى إلى إعادة قراءة المصادر التي استخدمها من قبل الكثير من المؤرخين والمهتمين، ولكن من زاوية ومنظور جديد، وأن أملا ذلك الفراغ بكتابات الرحالة الذين زاروا عمان قبل الاستعمار البرتغالي وبعده، والذين رسموا لنا صورة حيه لمشاهداتهم ،(كابن

(1)- السالمي، مصدر سابق، ج2 ، ص. 95

بطوطة ورحلته) وان كانوا قد نقلوا وعللوا بعض مشاهداتهم دون أن يتبينوا صحة أو علة تلك المشاهدات.

تم كذلك الاستفادة من الكتابات البرتغالية حول الخليج إبان الاستعمار البرتغالي مثل كتابات الفونسوا دلبوكيرك A.Dalboquerque.، وبربروسا Barbarosa، و روى فيريرا اندرادى Roy Andrade Ferreira وغيرهم، فضلا عن الاستعانة بالمصادر والمراجع المختلفة العربية والأجنبية، والتي تساهم في إثراء البحث وأهمها كتابات جون ولنكسون J.C.Wilkinson القيمة حول عمان وخاصة كتابه (الإمامة في عمان The Imamate Tradition of Oman) . والذي يقدم فيه الكاتب دراسة تحليلية قيمة لتطور النظام القبلي في عمان ونظام الإمامة والصعوبات التي واجهتها على مر التاريخ.

خطة البحث

تم تقسيم عناصر هذا البحث إلى ثلاثة فصول رئيسية، تتدرج إلى عدة مباحث وفروع، حيث ستنتظم عناصره على النحو التالي :

• **الفصل الأول:**

بنيات وأوضاع المجتمع العماني قبل الاستعمار البرتغالي،ويتدرج في ثلاثة مباحث رئيسية :

يناقش هذا الفصل مجال البحث والموقع الجغرافي وأهميته الإستراتجية وأبعاده. وانعكاساته وأثاره على المجتمع العماني، أي بعبارة أخرى العلاقة السرمدية بين الإنسان والمجال، وتأثير "الإكراه الجغرافي للزمن الطويل" حسب مقوله فرنان بروديل (F.Braudel)[1]. بالإضافة إلى النسيج البشري وبنيات المجتمع العماني.

من ناحية أخري يناقش هذا الفصل، أوضاع المجتمع العماني قبل الاستعمار البرتغالي والعوامل المؤثرة فيه، وإشكالية التطور والتجاوز والأسباب التي أدت إلى عدم تكامل بنيات المجتمع العماني. بالإضافة إلى إشكالية العصبية والإمامة الإباضية في المجتمع ، من خلال إطلالة على النظرية الخلدونية حول العصبية والدين والدولة.

---

(1)- فرنان بروديل، ،التاريخ والعلوم الاجتماعية ، ، مجلة بيت الحكمة ، العدد 5، تونس 1987 ، ص. 30

• **الفصل الثاني:**

الاستعمار البرتغالي وتداعيات أزمات المجتمع، ويتدرج إلى ثلاث مباحث رئيسية:

تناول هذا الفصل، دواعي وأسباب الاستعمار البرتغالي للخليج، ونظرت أهل عمان للاستعمار البرتغالي كأول استعمار أوربي على الخليج، وصدمة أهل الخليج وعمان خاصة من ممارساته وسياسته الاستعمارية الوحشية، والنتائج السوسيو- ثقافية جراء أزمات المجتمع العماني.

وأخيرا دواعي انهيار النفوذ البرتغالي في الخليج وسقوط إمبراطوريتهم والأسباب الكامنة وراء هذا الانحطاط والانهيار.

• **الفصل الثالث: تأسيس دولة اليعاربة والمساندة وإحياء الإمامة ،ويتدرج في ثلاث مباحث رئيسية :**

ناقش هذا الفصل الفكر الإباضي والسلطة، والآليات التي تحركه نحو السلطة(الدينية –السياسية) ، في محاولة للإجابة عن السؤال الذي يطرح نفسه عن الكيفية التي جمع بها المذهب الإباضي بين الرابطة الدينية والقوة السياسية، ثم المواجهة والمطالبة والسعي وراء السلطة، ومن ثم تأسيس الملك والدولة؟

كما تم التطرق إلى الإرهاصات الداعية إلى إحياء الإمامة الإباضية في عمان من خلال الأوضاع والأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في عمان في تلك الفترة.

كما يناقش هذا الفصل مناقشة أدوات المشروعية الأولى لحكم اليعاربة وبطبيعة الحال مبادئ وأفكار المذهب الأباضي. والذي نتج عنه إحياء للإمامة الإباضية، والتطرق إلى إشكالية انتقال السلطة من فئة إلى أخري ومصدر السلطة.

علاوة على ذلك سوف يناقش هذا الفصل دور المذهب الإباضي وعلمائه في قيام دولة اليعاربة ومساندهم وأثرهم البالغ في تأسيس أركان الدولة، ومناقشة أدوار الكرامات والمناقب وشخصية المؤسس ناصر بن مرشد في صناعة التاريخ وتشكيل الذاكرة الجماعية الاجتماعية، وبالتالي تأسيس دولة اليعاربة، والذي سوف يجرنا بكل تأكيد إلى مخاض وميلاد دولة اليعاربة. وخطوات التأسيس والشرعية والقبول، ومراحل تأسيس الدولة اليعربية.

الفصل الأول

بنيات وأوضاع المجتمع العماني قبل الاستعمار البرتغالي

المبحث الأول

الموقع والبنيات:

تقع عمان في أقصى الركن الجنوبي الشرقي للجزيرة العربية[1]، وتطل على مساحة مائية شاسعة، مما أدي إلى أن يفرض موقعها الاستراتيجي إكراهات على سكانه، ليكون البحر والتجارة قبلة الإنسان العماني ومقصده وعماد اقتصاده ورزقه، وذلك للأسباب الآتية:

1. الموقع الهام في أقصى الركن الجنوبي الشرقي للجزيرة العربية ،جعل التواصل البري بينها وبين المناطق المجاورة بالغة الصعوبة، نظرا للمساحة الرملية الشاسعة بينهم ، بحيث تتداخل أراضي عمان مع رمال الربع الخالي التي شكلت حاجزا في وجه التواصل مع جيرانها، خاصة مع قلة عدد سكانها وشح مواردها الطبيعية.

2. إطلالة عمان على مساحات مائية شاسعة على خليج عمان، وأيضا امتداد شواطئها على بحر العرب الممتد على المحيط الهندي ومدخل البحر الأحمر[2]، كلها عوامل دفعت بالإنسان العماني للتوجه للبحر والاستفادة من خيراته ومصدر العيش التقليدي.

وهكذا برز بالوجود الأهمية البالغة للخليج (العربي/الفارسي) وعمان خاصة كمعبر ووسيط للتجارة العالمية، مما جعل التجارة البحرية المهنة الوحيدة الباعثة للحركة والتغيير.

....

(1)- انظر الملحق خريطة حديثة عامة لسلطنة عمان توضح المناطق .

(2)- يسري الجوهري و ناريمان درويش، جغرافية العالم الإسلامي . شباب الجامعة، القاهرة 1992، ص.58

لقد أضحى البحر للعمانيين بمثابة المجال الذي ينهلون من خيراته ويطورون قدراتهم الملاحية وينمي ثرواته، كما كان البحر المسرح البيئي الذي تجري فوقه ومن حوله الأحداث السياسية وصراعات القوى، ويمارس الإنسان العماني على خشبته نشاطاته المختلفة.

إن البحر عنصر مؤثر في مجريات الأحداث التاريخية، في مقابل ذلك كانت البيئة الداخلية الجبلية والصحراوية الفقيرة بمواردها ومحفزاتها الاقتصادية

والملتهبة بالصراعات القبلية على السلطة والعصبية، تتماهى كرقعة الشطرنج أو كالفسيفساء، تتقاسمها القوى الفاعلة فيما بينها، مما أسهم بدفع العمانيين للاتجاه نحو البحر .

يذكر بروديل F.Braudel "إن البحر-مساحة التنقلات- هو الذي يجلب الثروة [...] والذي يسود على البحر يسود على الثروات» [1]. لقد كان البحر بالنسبة لأهل عمان مصدر العيش التقليدي، وكذلك مصدر الثروة والانتعاش والحركة والتغيير، بينما ظلت المناطق الداخلية تعتمد على نمط استقراري يعتمد الرعي والزراعة وبعض الصناعات التقليدية.

كما أسهمت الأفلاج[2] التي تشتهر بها عمان، في توفير بيئة مثالية ونواة لديمومة الاستقرار والرعي والزراعة[3]، مما كرس نوعا من الاستقرار والتماسك بين أفراد المجتمع العماني القبلي، وبالتالي نلاحظ مدى تأثير البيئة على المجتمع العماني، وفق مقولة موريس دو فرجية Maurice Duverger «بأن تطور المجتمعات إذا كان يرتبط بشروط بيئية، فإنه يؤثر كذلك عليها» [4].

عملت التجارة على صنع شبكة عظيمة وعريقة من العلاقات والنشاطات، وهي إجمالا

(1)- (2) فرنان بروديل F.BRAUDEL ، مرجع سابق ، ص. 99

(2)- الأفلاج: ومفردها (فلج) كلمة محليه تستعمل في دولة الإمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان وهي ذات أصول سامية قديمة،حيث انه نظام للري ويمكن وصف هذا النظام بأنه قناة في جوف الأرض ترتبط بسطح الأرض بواسطة فتحات عمودية، وهذه القناة تتغذى بالمياه من المصدر الأصلي الموجود على عمق عدة أمتار من سطح الأرض وتنقلها إلى الحقول الزراعية التي تقع على بعد عدة كيلومترات من المصدر الأصلي لتلك المياه، بحيث انه يتم تجميعها في مجري ليتم استغلالها كمصدر للمياه العذبة. (انظر الملحق شكل رقم 1)

(3)- للمزيد انظر: جون سي. ولكنسون J.C.WILKINSON، الإمامة في عمان، مركز الوثائق والبحوث، ابوظبي2007، ص.38

(4)- موريس دو فرجيةDUVERGER MAURICE، علم اجتماع السياسةPOL - LA DE SOCIOLAGIC TIQUE ، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع، ط1 ،1993،ص. 56

شبكة متباينة النمو والنضج على امتداد المجال العماني تسير في اتجاهين، ففي الساحل أدت إلى نمو المدن التجارية الساحلية وثرائها. إما في الداخل فنجد تولد النشاط الزراعي والصناعات التقليدية الداعمة للمناطق الساحلية، وترتب عن قوة التكامل الاقتصادي والاجتماعي بين المجالين ظهور التحالفات القبلية التي تربط مدن وقرى الداخل الاستراتجية، بحيث وضح جون ولكنسون بأن الساحل بتجارته الخارجية كان كأساس وداعم للمناطق الخلفية الداخلية، من تبادل تجاري ودخول منتجات زراعية جديدة مستوردة مثل الذرة ذات اللونين. بالتالي كان هنالك التداول والتواصل ونظام المقايضة في كافة أجزاء عمان، برغم أن لكل إقليم-بدرجة ما- له هويته المستقلة [1] .

I - الموقع الجغرافي وأهميته:

لقد كان لموقع عمان في أقصى جنوب شرقي الجزيرة العربية أثر بالغ في تاريخ البلاد، وتغلغل انتشار المذهب الإباضي وانتعاش اقتصاده وتشعب علاقته التجارية مع الصين والهند والسواحل الشرقية لإفريقيا، ويقف المتتبع لحجم النشاطات التجارية والسلع التي كانت تمر عبر الطرق البحرية وتجارة التبادل والمضاربة في عمان، على حجم وضخامة النشاط التجاري ومدى ما وفرتها من ثروة وإمكانيات.

فابن خرداذبة (282هـ/885م) يذكر أهمية موقع بلاد عمان في التجارة الدولية. بحيث أوضح أن التجار يقصدونها في طريقهم من (الإبلة)[2] في جنوب العراق إلى الهند والسند والصين[3]، كما يشير ابن حوقل (380هـ/990م) إلى اتساع أهمية تجارة صحار فيقول في كتابه صورة الأرض: «وعمان ناحية ذات أقاليم مستقلة فسحة كثيرة النخل والفواكه الجرومية من الموز والرمان والنبق ونحو ذلك، وقصبتها صحار وهي البحر، وبها من التجار والتجارة مالا يحصى كثرة وهي أعمر مدينة بعمان وأكثرها مالا، ولا يكاد يعرض على شط بحر فارس بجميع بلاد الإسلام مدينة أكثر عمارة ومالا من صحار. ولعمان مدن كثيرة»[4].

....

(1)- للمزيد انظر: جون ولكنسون ،مرجع سابق، ص52 – 58

(2)- الإبلة :بلدة على شاطئ دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة وهي أقدم من البصرة..

(3)- ابن خرداذبة ، المسالك والممالك، طبعة ليدن ، بريل 1889 ، ص.149.

(4)- ابن حوقل ، صورة الأرض، طبعه ليدن، لندن 1938،ص. 45-44

أما المقدسي(390هـ/999م) فيذكر صحار بأسواقها العجيبة وأبنيتها الشاهقة فيقول عنها: «قصبة عمان، ليس على بحر الصين اليوم(القرن4هـ/10م) بلد أجل منه،عامر أهل حسن وطيب نزه ذو يسار وتجار وفواكه وخيرات [...]وهي أيسر من زبيد وصنعاء، أسواق عجيبة وهي بلد ظريفة ممتدة على البحر. دورهم من الآجر والساج، شاهقة نفيسة والجامع على البحر له منارة حسنة طويلة في آخر الأسواق ولهم آبار عذيبيه وقناة حلوة، وهم في سعة من كل شيء، دهليز الصين وخزانة الشرق والعراق، ومغوثه اليمن [...]والمسقط أول ما يستقبل المراكب اليمنية ورايته موضعا حسنا كثير الفواكه [...]وأهل هذه المدن التي ذكرنا عرب شراة» [1].

كما يصف أبو عبيد البكري(487هـ/1094م) عمان بكثرة مغاصات اللؤلؤ والتجارة الواسعة،كما بنيت فيها الخانات خدمة للتجار القادمين إليها والمقيمين فيها من البلدان الأخرى، وأن خراج عمل عمان على المقاطعة (80) ألف دينار، ويذكر انه قيل في الأمثال: (من تعذر عليه الرزق فعليه بعمان). وبسبب ثراء أهلها فقد أهدى صاحب عمان بعد سنة (420هـ/1028م) إلى الكعبة محاريب فضية زنة المحراب أزيد من قنطار وقناديل من فضية متقنة الصنع حيث سمرت المحاريب في جوف الكعبة مما يقابل بابها [2].

ويتفق الإدريسي(565هـ/ 1169م) في كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مع ياقوت الحموي (626هـ/1228م) حول مدى أهمية الثروة والتجارة في صحار، حيث ذكر صحار ومدى ثروتها وكثرة أموالها وسعة عيش أهلها والتجارة المربحة بكونها مقصد سنوي للتجار «من لا يحصى عددهم مركز لتبادل البضائع»[3]. أما ابن المجاور(690هـ/1291م) فيذكر عمان بوفرة خيراتها وتجارتها الواسعة، حيث كان يوجد في مدينة صحار(192) قبانا لوزن البضائع للطالب والمطلوب [4].

إن ذكر أخبار عمان لدى الجغرافيين العرب وغيرهم، تعطي صورة توضيحه لمدى الدور الهام الذي لعبته عمان في التجارة الدولية في القرون الوسطى، وهو ما تؤكده الارتسامات

(1)- المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة خياط، بيروت، ص. 93-92

(2) أبي عبيد البكري، المسالك والممالك ج1، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات ،بيت الحكمة،تونس 1992، ص. 370-367

(3)- الإدريسي محمد بن محمد بن عبدالله، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ج2، الجامعة الإسلامية، عليكرة، الهند 1954،ص. 157-156

(4)- ابن المجاور، صفة اليمن ومكة وبعض الحجاز،، منشورات المدينة ،ط 2، 1986، ص. 284

التي عبر عنها ودونها الرحالة الذين زاروا المنطقة خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر، فبعض الرحالة زاروا عمان، ودونوا بعض الملاحظات والمشاهدات من بينهم ماركوبولو الايطالي وابن بطوطة[1].

والملاحظ أنه انطلاقا من هذه الفترة بدأت صحار تفقد أهميتها تدريجيا، وحلت محلها ظفار وقلهات ومسقط والتي يذكرهم دوارتي بربروسا 1518 «بالمدن التجارية الكبيرة بتجارتها وتجارها ونبلائها»[2]، أما سوزا SOUSA فيذكر قلهات بالمدينة الجميلة والقوية[3].

II - النسيج البشري وبنيات المجتمع:

تقضي دراسة بنيات المجتمع العماني الإحالة على البيئة العمانية ورصد تأثيرها على تشكيل الفرد القبيلة والعشيرة، وعلى المذهب الإباضي ومفهوم الإمامة بشكل خاص، وبالتالي فلا محيد عن الإلمام بمجمل المؤثرات الجوهرية التي كان لها نصيب في صهر العقليات والتكوين الاجتماعي والسياسي والثقافي والاقتصادي لعمان، فهذه كلها مؤثرات جوهرية تساهم وتساعد في تحليل الكيفية التي نما فيها نظام الدولة الجامعة بين الإمامة والقبيلة وكذلك في سير الأحداث وآلية وطرائق تفكير المجتمع العماني.

فإذا نظرنا إلى النسيج البشري في عمان، نجد أن أغلبية السكان هم من القبائل الأزدية التي استوطنت عمان منذ القدم، "فلم تزل الأزد تنتقل إلى عمان، حتى كثروا بها، وقويت يدهم، واشتدت شوكتهم، وملؤوها حتى انتشروا إلى البحرين وهجر»[4].

وبالنظر لانفتاح البلاد وخاصة من جهة البحر وامتهان أهلها للتجارة الإقليمية، كل ذلك أدى إلى أن يتنوع المجتمع تدريجيا ليشكل البعد التجاري البحري بعدا أكثر من البعد

....

(1)- للمزيد انظر : رحلات ماركوبولو- ج 3 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص. 97-93

وأيضا ابن بطوطة شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي ، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، المجلد 2، أكاديمية المملكة المغربية 1417هـ/1997م، ص.137

(2)- الموسوعة البرتغالية ، تاريخ البرتغاليين في الخليج العربي-مذكرات دوارتي بربروسا1518، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع،البحرين1996، ص.60

(3)- SOUSA ,MANUEL DE FARIAY, THE HISTORY OF DISCOVERY AND CONQUEST OF INDIA, TRANS.BY JOHN STEVENS 2ND VOL.1 ,W.GERMANY1971, P126

(4)- مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان، مصدر سابق ، ص.25

الزراعـي ضـمن نمط حيـاة (المجتمعات القبليـة)، ومع مجيئ الإسـلام تحقـق المزيد من الاسـتقرار ومشـاركة أهل البلاد في الفتوحات ونشـر الدين الجديد، لتشكل بعد ذلك الفتنة والخـلاف والتفـرق حول موضـوع الخلافة نقطة تحول بـارزة في تاريخ عمـان، وذلك بتبني مجتمعها المذهب الإباضـي ومفهوم الإمامة للسـلطة، والذي أصـبح نقطة محورية في تاريخ عمـان وبداية مجتمع الإمامة ومرحلة صـراع حول الثروة والسـلطة والاحتـواء والأيدلوجية الدينية .

لقد كونت عمان منهجا ورأيا سياسيا مخالفا لما قامت عليه خلافة بني أمية، ثم استقلت تمامـا عـن الدولـة الأموية منذ سـنة 37هـ/ 657م، ولكنهـا برغم ذلـك لم يمنعها بالنظر لعلاقتها التجارية الإقليمية، بأن تظل مركزا لنشـر الإسـلام دينـا وحضارة وظاهرة مميزة، تمثلت في عملية التأثير والتأثر العميقين في شـتى مجالات النشاط الإنساني، وذلك بالتوازي مع توسع النشـاطات التجارية، عن طريق التجار بشكل خاص.

لقد مثلت الإباضية المذهب والفكر السـائد في عمان، ولكن برغم ذلك وجدت بعض المذاهب الأخرى إلى جانب الإباضـية، ظهرت ونمت في المناطق السـاحلية على وجه الخصوص، بينما حافظت المناطق الداخلية على تمسكها بالمذهب الإباضي كإرث أيديولوجي حاولت المحافظة عليه، والذي سـوف يشـكل من بعـد نقطة الانطلاق والانفجـار بين المركـز والمحيط (المدن الساحلية-المدن الداخلية).

لقد تعددت وتنوعت الكتابات حول عمان وأهمية موقعها الاسـتراتيجي وشـبكة علاقاتها التجارية وثروتها بدءا من القرن الثالث وحتى التاسـع الهجري، بالإضـافة إلى كثرة ربابنها ومرشديها البحارة، أمثال ابن ماجد[1] وسليمان المهدي[2]، بحيث تراكمت الخبرات البحرية والملاحية والطاقة البشـرية العقلية، والتي لا تقل بحال من الأحوال عن مثيلتها لدى الغرب، وكذلك الثروة والمال كوسطاء لتجارة الشرق.

ولكن مع كل تلك المقومات الاقتصادية والسياسية والمعرفية الهامة، لا يسعنا سوى التساؤل

(1)- ابن ماجد : هو شهاب الدين أحمد بن ماجد بن محمد النجدي، ولد حوالي عام 836هـ/1432م في مدينة جلفار من عائلة اشتهرت بالملاحة، ولقد واكب الاستعمار البرتغالي للخليج في بداية القرن16م ، اشتهر بالملاحة ومعرفة البحر وخرائطه وصاحب كتاب (الفوائد في أصول علم البحر والقواعد) وأراجيز ملاحية كثيرة منها (السفالية-الملعقية-التائية).

(2)- يذكر (أبو زيد الحسن السيرافي٥٦٥هـ/١١٦٩م) في كتابه أخبار الصين والهند،أن بلاد عمان كانت تشتهر بالربابنة والإدلاء لتزويد المراكب الصينية والهندية والعربية بهم.

عن الأسـباب التي أدت إلى عدم تطـور البنيات الاجتماعية والاقتصـادية للمجتمع العماني ومؤسسـاته وإمكانياته البحرية والملاحية والزراعية حسـب المسـار التاريخي. إذا ما صحت مقارنتـة بالدول الأوربيـة وبالمدن الايطالية (كالبندقية وجنـوه)، وفي نفس المرحلة والفترة، وعدم اسـتفادتها من موقعها كوسيط وحلقة وصل بين الشرق والغرب ومن حجم الإمكانيات الاقتصادية وتراكم الثروة.

كمـا أن عمـان لم تشـكل جزء مـن إمبراطورية واسـعة، يقوم اقتصـادها على النشـاط الزراعـي. فنجـد بأنه حينمـا أتى البرتغاليون إلى عمان في القرن السـادس عشـر الميلادي وجدوا عالما بحريا لم يتغير أساسا منذ آلاف السنين[1].

كمـا يتضـح بأن عمان لم تـبرز فيها طبقة اجتماعيـة يمكن تسـميتها بورجوازية تجارية حقيقية تقود المجتمع ومؤسساته وإمكانياته للتطور والازدهار.

لقـد رأينا بأن الخصـائص الطبيعـة لم تكن عائقا لازدهـار المدن العمانية والسـاحلية خاصة، وبالتالي فانه لا يبدو منطقيا أن نرجع الأسباب الرئيسية لذلك الانحطاط إلى العوامل الطبيعية، وإن كانت تلك الشـروط الطبيعة لا يمكـن إلغائها من معادلة التطور والانحطاط. كما ينفي ايف لاكوسـت Yves Lacoste أن يكون للدين والإسـلام بشـكل خاص. عائقا في سـبيل التقـدم والانحطاط فيقول: «إن الإسـلام قـد تجلى في عصـوره الأولى وحتى القرن الحادي عشـر، أثناء ازدهار الحضارة الإسلامية وبلوغها الأوج. دينا يشيد بالنجاح ويشجع المبادرة في المجالين الفكري والتجاري، وبالعكس فان الإسـلام تعرض لتفسـير قدري بعد أن دخل العالم الإسلامي في فترة الركود أو انحطاط»[2].

(1)- يتحدث الإدريسي عن صناعة السفن في سواحل عمان في القرن(١٢م) وبالأخص في مدينتي صحار ومرباط، وبأن صناعة السفن كانت تتم بخشب النارجيل وسعف النخيل، وكانوا يربطون تلك الأخشاب بعد صنعها بحبال يصنعونها من ليف النارجيل،كما كانوا يفتلون من خوصه حبالا. وفي القرن (١٤م) زار ابن بطوطة عمان ولاحظ نفس الملاحظة من صناعة حبال من النارجيل وربطها بسفن بدل مسامير الحديد، وكذلك الحال بالنسبة (فرير أودريكFRIAR ODORIC1321م) الذي زار هرمز ووصف سفن الخليج بعدم استخدامهم المسامير.

للمزيد انظر: طارق نافع الحمداني، "السفن التجارية العربية والهندية بين القرن الثالث عشر والسادس عشر"،ضمن ندوة رأس الخيمة التاريخية الثانية21-19نوفمبر1988، الصلات التاريخية بين الخليج العربي والدولة العثمانية، (مجموعة أبحاث)، سلسلة الندوات التاريخية2، مركز الدراسات والوثائق رأس الخيمة، الإمارات العربية، ص.171-160

وكذلك انظر: BOXER، R.C.THE PORTUGUESE SEABORNE EMPIRE1415-1825، BERKELEY، 1969

(2)- ايف لاكوست YVES LACOSTE، البلاد المتخلفة SOUS-DEVELOPPES، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، ص. 63

وقد أوضح مكسيم رودنسون Maxiem Rawdnson في كتابه الإسلام والرأسمالية ، عدم نجاعة الفكرة القائلة بأن الدين الإسلامي كان سببا لذلك التخلف والانحطاط والتأخر، كما بين بأن الإسلام لم يعترض قط على صيغة الإنتاج الرأسمالية. وإن تعاليمه لم تكن عائقا أمام نمو هذه الصيغة على الطريق إلى تكوين وضع اقتصادي اجتماعي رأسمالي[1].

والواقع أن بطء وتيرة نمو مجتمع الإمامة ربما يرجع إلى عدة عوامل تاريخية بنيوية تراكمية في جوهرها ، سوف نحاول أن نتتبعها من خلال المصادر المتوفرة من خلال دراسة أوضاع المجتمع العماني قبل الاستعمار البرتغالي لتعطينا نظرة عامة لذلك المجتمع وتفسير بعض الظواهر والمسببات.

(1)- للمزيد انظر: مكسيم رودنسون، الإسلام والرأسمالية، دار الطليعة للطباعة والنشر،ط2، بيروت 1974

المبحث الثاني

أوضاع المجتمع العماني قبل الاستعمار البرتغالي:

إن معرفة الأوضاع السائدة في عمان قبل الاستعمار البرتغالي تمكننا من الوقوف والتعرف على مدى صلابة وتماسك بنيات المجتمع العماني في مواجهة المد الإمبريالي الاستعماري، ومعرفة ردود الأفعال التي استفزها ذلك الاستعمار، وإعطاء صورة وتفسيرات لبعض الظواهر والأحداث لمجتمع طالما عد مجتمعا منغلقا على ذاته.

لذلك وبرغم اقتناعنا بترابط الأحداث والمعطيات وتكاملها وتداخل نتائجها، وبرغم قلة المصادر المتاحة، وجدت من الضروري تصنيف وتقسيم أوضاع المجتمع العماني قبل الاستعمار البرتغالي، من خلال المصادر المتوفرة لتسهل عملية تتبعها.

I - الأوضاع الاجتماعية:

مجتمع عمان مجتمع ذو تركيبة قبلية. فسكان البلاد هم في الغالب كانوا مجموعات من القبائل المتحالفة أو المتطاحنة حسب الظروف والمصالح. فالمجتمع برغم تبنيه للمذهب الإباضي ظل مخترقا بالعصبية القبلية، وبشكل جعلها تفرز مسببات أثرت على مجريات الأحداث وتخلق صراعات على السلطة والثروة بين المركز والمحيط، وبروز أطماع القوى الخارجية حول عوائد التجارة الخارجية.

لقد زاد من تعقيد الأمور احتداما التصادم والصراع بين أيديولوجية الدعوة الإباضية ضد العصبية القبلية (أئمة - ملوك جبابرة)، مما ترتب عنه بروز أزمات مستديمة وانعدام الاتزان. وأيضا سيكون عاملا في حالة الضياع الذي سوف تعيشه البلاد على مر قرون عدة.

يمكـن أن نصـف أحوال عمان قبيل الاسـتعمار بحالة التدهور وانعـدام التوازن وفقدان الديناميـة بحيث خف سـكانها وتناقص عمرانها وتلاشـت وسـاءت أحـوال أهلها وتفرقت كلمتهم وتغلب «الجبابرة» عليها، فكثرت المشاحنات والصراعات وسقطت الإمامة وتعرضت لفترات من الانقطاع في مقابل غلبة المعادلة العصبية القبلية. فتزاحمت الأزمات على المجتمع العماني.

فيصف السالمي أحد علماء الإباضية أحوال عمان قبل الاستعمار البرتغالي بقوله: «وتفرقت الجماعات وضـعفت دولة المسـلمين ووهت قوتهـم وطمع فيها من كان لا يطمع فصـار الملك متفرقا في أيدي الرؤساء. من النباهنة وآل عمير وآل هلال وهم رهط الجبور وصارت الشدة علـى أهـل عمان ولم تبق دولة المسـلمين إلا في مكان دون مـكان» [1]. أما ابن بطوطة (القرن الرابع عشر الميلادي) فيصف أحوال وأوضاع المناطق الداخلية بعمان بقوله:« ووصلنا قاعدة هذه البلاد وهي مدينة نزوا [...] والحرب قائمة بينهم أبدا » [2].

كما سـاهمت العمليات التي قامت بغية إخضـاع عمان بالقوة للسيطرة الفعلية المباشرة للحكومـة المركزيـة للخلافـة الإسـلامية ابتـداء مـن عهـد الخليفـة الأموي عبـد الملك بن مروان (705-685م) مرور بالخلافة العباسـية بالإضـافة إلى غارات الفرس ومملكة هرمز على مدن الساحل التي كانت سببا في تزعزع وانهيار بنيات المجتمع بأكملها وعدم استقرارها واختلال وتزعزع توزيع وتمركز السلطة والثقل السياسي والاقتصادي والثقافي في عمان.

ويمكـن اعتبـار نقل العاصـمة ومركز الإمامة الأولى صـحار، ذات الأهمية الاقتصـادية والإسـتراتيجية، إلى مناطق عمان الداخلية في بداية عهد دولة الإمامة (سنة177هـ/ 793م) في عهـد الإمام غسـان بن عبدالله اليحمدي نقطة تحول. وذلك لأسـباب يذكرها السـيابي فيقول:«إنه لما توالت الغزوات على مركز الزعامة العمانية في صـحار، وتوالى الغزاة الأشرار من العرب والفرس وغيرهم على الإمارة العمانية. ولـم تزل الجيـوش تساق من جهات شتى، وكـان مركـز الإمامة لا يـزال في قلق منذ قتـل الجلندي وهلم جرا إلى عهد غسـان الإمام، ومهاجمة قراصـنة الهند البوارج وغيرهم. وما قبل ذلك أيضا رأي المسلمون تحويل عاصمة الإمامة من صـحار إلى داخلية عمان في مكان يكون صـالحا لاسـتقرار كرسـي الإمامة، وأن كونه في صـحار لا يزال مهددا مرميا من أعداء عمان وأعداء مذهبهم بأسـوأ العدوان، رأوا

(1)- السالمي، مصدر سابق ،ج1، ص. 387

(2)- ابن بطوطة ، مصدر سابق ،ص.137

نزوى أمنع لهم وأصـون لزعامتهم، وأقر لسلطانهم فإنها في قلب الداخلية والى الشرق منها أقـرب من الغرب، وأكثر الغزاة من الجانب الشـمالي الغربي دائمـا فاتفق نظرهم إلى هذا ورأوها أصـلح بلا جدال، فأمروا أن يكون الإمام بها ولا يخرج منها إلا لمهم أو لداع يسـتدعي الخـروج» [1].

إن نقل مركز الثقل السياسي إلى المناطق الداخلية واختيار نزوى لتكون العاصمة الجديدة للإمامة، يرجع بالأساس إلى وجودها في قلب عمان وتبعد كثيرا عن البحر الذي شكل مصدر خطـر واضـطراب على الدعوة والإمامة الإباضـية. كما أن الجبل الأخضـر من جنوبها وهو بذلـك بمثابة السـور والجدار، بالإضـافة إلى ذلك أنها تبعد عن حدود عمـان الغربية والتي كانت دائما الطريق التي اعتاد غزاة عمان القدوم منها وتهديدها منه [2].

فنجـد أنه ما كادت الدعوة الإباضـية تسـتقر في صـحار المدينة السـاحلية ذات الأهمية الاقتصادية لكي تبحث وتؤسس لها جذور تزكي وتقوي مجتمع الإمامة، حتى تم نقل العاصمة إلى نزوى، وفي هذا الإطار يمكن أن نفهم بما سوف يشكله هذا التحول من نقل الثقل السياسي إلى المناطق الداخلية، والذي سـوف ينتج عنه بطبيعة الحال انتقال ثقل وقوة الدعوة والفكر الثقافي للإمامة الإباضية إلى المناطق الداخلية وبروز التحالفات القبلية الجديدة حول نزوى كقاعدة رئيسـية في عمان الوسـطى ذات الأسـاس القبلي المختلط، مما جعلهم يطلقون على نزوى تسمية (بيضة الإسلام).

كما أسـهم نقل عاصـمة الإمامة الإباضية إلى رسـوخ وتجذر المذهب الإباضي بين قبائل عمـان الداخليـة كأيديولوجيـة دينية تبنتها السـلالات الحاكمـة القبلية الراغبـة في توحيد المجال بمسـاندة العلماء بغية كسـر حاجز التنظيم السياسي الاجتماعي العماني القائم على العصـبية القبلية، لقد ارتبطت الإباضـية في أذهان القبائل بالاسـتقلال [3]، والذي ينـاسب التنظيم والعقلية القبلية في اللامركزية السلطة وممارسة الشورى.

إن تبني عمان للدعوة والفكر الإباضـية ومعارضتها للسلطة المركزية للخلافة الإسلامية

---

(1)- سالم بن حمود بن شامس السيابي ، عمان عبر التاريخ، ج2 ، وزارة التراث القومي والثقافة ، ط4 ،مسقط ، 2001، ص.45

(2)- سعيد بن محمد الغيلاني ، « مكانة نزوى التاريخية» ، ضمن كتاب نزوى عبر التاريخ، جامعة السلطان قابوس، حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي في نزوى، الفترة من 17-16 جمادي الآخر 1419هـ/الموافق8-7أكتوبر1998 ، ط1، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط 2001،ص.66

(3)- كيلي(ج.ب) ، بريطانيا والخليج ، ج2، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط 1979، ص.13

أسهم في ترسيخ لامركزية السلطة لتحافظ عمان بكيانها واستقلالها والذي عارضته الخلافة الإسـلامية الأموية والعباسية وحاولتا تغيره بالقوة، وفضـلا عن ذلك فالإباضية تجيز تعدد الأئمة حسـب تعدد المواضـع والبلدان، ما لم تتصل ببعضـها البعض وليس لأحدهم الانقياد للأخر.

وبالتالي فهي تسمح لكل جماعة في أي مكان كانت أن تختار لنفسها الإمام الذي ترتضيه ولكن بشـروط، وفي ذلك يذكر الأسـتاذ إبراهيم بن يوسـف في كتابه (الحكم والسياسـة في الإسـلام من منظور الإباضـية). أنه ورد في المصـنف عن الشـيخ محبـوب قوله:«الأئمة في الأمصار كل إمام في مصره، فإذا اتصل حكم المسلمين كانت شوري بين المسلمين. ولا يسمى أمير المؤمنين إلا أن يملك جميع أرض الإسـلام»، وكذلك قول أبي الحسـن بجواز إمامين في مصر واحد بشرط: « إذا فصل بين الإمامين جبار لا يطيقاه»[1].

وربما نجد تفسـيرا لتسـاهل الإباضـية في موضـوع تعدد مراكز الإمامة إلى المشـاكل والمعاناة التي عانت منها الدعوة الإباضية منذ نشأتها، وربما هذا ما يفسر قيام عدة إمامات إباضية في أماكن متفرقة في العالم الإسلامي، وخاصة في عمان أوقات ضعفت فيه الإمامة.

وهكذا شـكل المذهب الإباضـي في عمـان جدار. اتخذ منه الإباضـية العمـانيون وسـيلة فاعلـة للوقـوف في وجه أي دولة أو عقيدة تريد أن تبسـط نفوذها علـى بلادهم مهما كانت الظروف، وذلك باستغلال عامل الموقع الجغرافي وطبيعته، فينسب إلى أبي قحطان خالد بن قحطان. قوله:« ففي الحق علينا وعليكم أن نكون تبعا للأسلاف مفارقين لأهل الخلاف»[2]، وقولهم كذلك:« لا يجوز في باب الدين أن يدفع عن الدولة بالدين، وإنما يدفع عنها بالرجال والمال»[3].

ولكن برغم ذلك السـور المذهبي المتين الذي أنشـأه الإباضـية في عمان. لم تخل الأمور مـن ظهـور بعض الطوائف الدينيـة التي اعتبرت ضـالة ويجب محاربتها، ومنهـا (القـدرية والمرجئة) بصـحار في عهد الإمام عبدالملك بن حميد (840-823م)، وقد نادى أصـحابها الناس إلى اعتناق معتقداتهم ووجدوا استجابة كبيرة. فالسالمي يذكر بأن دعوتهم امتدت إلى توام وغيرها، فيقول السالمي: «وفي زمانه -رحمه الله تعالى- أظهر قوم من القدرية والمرجئة

(1)- إبراهيم بن يوسف، مرجع سابق، ص.38-37

(2)- السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان. ج1، وزارة التراث القومي والثقافة ،مسقط 1986، ص. 143

(3)- السالمي، مصدر سابق ،ج1، ص. 95

دينهم بصحار ودعوا الناس إليه وكثر المستجيبون لهم، حتى صاروا بتوام وغيرها من عمان»، ثم يردف بأن الشيخ هاشم بن غيلان أبلغ الأمر الإمام عبد الملك وحذره من ازدياد خطرهم على الوحدة المذهبية للبلاد: «فإنا نخاف أن يعلو أمرهم في سلطان المسلمين، فأمر يزيد أو أكتب إليه أن لا يترك أهل البدع على إظهار دعوتهم، حتى يطفأ الضلال» [1].

يذكر ابن رزيق صاحب كتاب الشعاع الشائع باللمعان، بأنه سمع عدة روايات من عدة ثقات من أهل عمان وذلك في سنة 906هـ/1500م « أن سليمان بن سليمان النبهاني كان في أيام محمد بن إسماعيل المذكور هو جرثومة[2] بني نبهان ومسكنة يومئذ في بلدة بهلا، وحصنها في حكمه. ولم يقدر أحد في ذلك الزمان من أهل عمان أن يخالفه [...] وكان متظاهرا بالفسوق والفجور، فسمع ذات يوم هاتفا يقول له: يا بني نبهان قرب ذهاب دولتكم وزوال عزكم، فليس لكم في عمان سلطان إلا أيام قلائل، وسليمان لا يري شخص ذلك الهاتف. فتطير من ذلك وشكا أمره إلى بعض أصحابه فقالوا له: هذه وسوسة من وساوس الشيطان، فليس لغيركم سلطان بعمان، والرأي أن تمضي إلى نزوى لينفرج عنك الهم [...] فلما سارا إلى نزوى ووصلاها [...] فرأى سليمان امرأة من أهل نزوى قاصدة إلى فلج الغنتق لتغتسل فيه [...] فتبعها وهي لا تراه، فلما نزعت ثيابها، ووقعت في الفلج هجم عليها، ففرت هاربة وهي عريانة، فجعل يعدو خلفها وهي تصيح: الجارة الجارة، فلما كانا دون حارة الوادي رآها محمد بن إسماعيل، فرمي إلى المرأة عمامته وصادر سليمان بن سليمان، فصرعه على الأرض وداس صدره برجله ونعلها ثم ذبحه ذبح الخروف [...] فسر ذلك أهل نزوى كافة [...] ولما رآه أهل نزوى وغيرهم من المسلمين أهل عمان، أهلا للإمامة بايعوه»[3].

إن الرواية الميتولوجية المتنقلة لهذه القصة برغم طول سردها يمكن أن تمثل بعدا آخر، إذا تم انتزاعها من سياقها القصصي السردي ومدى مصداقيتها، بحيث يتم وضعها في دلالات وسياق الرمز / الحدث وخلفيات السرد، فهي تبين أهمية مدينة نزوى (بيضة الإسلام) وعاصمة الإمامة الإباضية منذ قرون ومركز ثقلها السياسي والثقافي الديني، فعملية انتقال أحد « الجبابرة» سليمان بن سليمان النبهاني من بهلى مقر حكمه وعصبيته إلى نزوى له

(1)- المصدر نفسه، ص. 140-138

(2)- جرثومة الشئ بالضم: أصله

(3)- ابن رزيق، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، مصدر سابق، ص. ٨٦-٨٧

دلالات رمزية، للقيمة التي تمثلها هذه الحاضرة دون غيرها من المدن الداخلية وعمان بشكل عام. ليتم بعد ذلك إعادة بعث الإمامة (دولة الإسلام الحقيقي) بشكل دراماتيكي وعنيف وتولية وتنصيب محمد بن إسماعيل إماما للإباضية.

كما أثرت المشاكل والأزمات الطبيعية والسياسية والاقتصادية في النمو الديموغرافي والاقتصادي للسكان، وتخلخلت وتأزمت أحوال المجتمع، بحيث نتج عنها تهجير ونزوح العديد من السكان، فلقد قام محمد بن بور[1] عامل الخليفة العباسي المعتضد (279هـ/ 892م) على البحرين بموافقة منه، بمهاجمة عمان بتأييد من بعض القوى المتنافسة على السلطة بعمان أثناء الفتنة التي أعقبت وفاة الصلت بن مالك في فترة الفوضى والتنازع على السلطة.

فيذكر لنا صاحب كتاب (قصص وأخبار جرت في عمان) فيقول: « ثم اتصل خبره بعمان واضطربت عمان ووقع بين أهلها الخلف والعصبية وتفرقت آراؤهم وتشتت قلوبهم، فمنهم من خرج من عمان بأهله وماله ومنهم من أسلم نفسه للهوان لقلة احتياله» [2]، وكذلك يذكر تلك القصة نفسها المؤلف المجهول صاحب كتاب تاريخ أهل عمان فيقول: « وخرج سليمان بن عبدالملك السليمي[3] ومن تبعه إلى هرموز .وخرج أهل صحار بأهلهم وأموالهم إلى شيراز والبصرة» [4] .

كما أن الكوارث الطبيعية ساهمت أيضا في اختلال توازن عملية توزيع السكان والنمو الديموغرافي، ففي سنة 250هـ /864م تعرضت عمان عامة وصحار لسيل ضخم دمر الحرث والزرع والأموال والعمران ومات فيه أناس كثيرون في ليلة واحدة، وشرد وهجر الكثير خارج أوطانهم، حتى أصبح على حد قول السالمي: «السالم الموسر منهم فقيرا، يطلب الأكل والشئ اليسير»، فلقد كان ساحل الباطنة المعروف بغناه الزراعي والتجاري وكثافته السكانية أكثر المواقع تضررا وزاد سوء أحوال منطقة الباطنة الهجمات التي كانت تعرضت لها من قبل «الجبابرة» وتغلبهم عليها مما اضطر السكان إلى الفرار والهجرة، بحيث «ركبوا البحر بأهاليهم [...] ولم تعمر الباطنة كلها مدة أعوام كثيرة» [5].

....

(1)- بعض المصادر تذكره باسم (محمد بن نور)

(2)- مؤلف مجهول ، قصص وأخبار جرت في عمان، ،وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط ،ص.60-59 (ملاحظة : يذكر السالمي وغيره بأن مؤلف قصص وأخبار جرت في عمان هو (لابي سليمان محمد بن عامر المعولي)

(3)- في الأصل: السلمي

(4)- مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان، مصدر سابق ، ص. 72

(5)- السالمي، مصدر سابق ،ج1، ص. 165-163

كما حدثت رجفة (زلزال شديد) بصحار في عهد الوالي غدانة بن محمد في سنة (256هـ/ 869م). لقد كانت كل تلك المؤثرات والأحداث والأزمات عاملا سلبيا تم خلاله تدمير بنيات المجتمع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، بحيث تم تدمير الطاقة البشرية، وتخريب وتقليص الرقعة الزراعية، وانهيار ودفن الأفلاج والأنهار، وحرق العديد من الكتب القيمة، وانخفاض النمو الديموغرافي إما بسبب التقاتل والحروب أو بسبب الهجرة والكوارث.

II - الأوضاع السياسية:

اتسمت الأوضاع السياسية في عمان في تلك الفترة بعدم الاستقرار والصراعات، بحيث فقدت الإمامة الإباضية فعاليتها كقوة سلطوية مؤثرة في المجتمع،ودخلت مرحلة من التذبذب والانهيار، وعاش المجتمع رهن الأزمات والفتن والصراعات من طرف القوى الداخلية المؤثرة في المجال أو القوى الخارجية.

فنجد أن الفتن والانشقاق والصراعات الداخلية حول السلطة، سهل المجال لتتعرض عمان لهجمات خارجية من أعداء الإمامة الإباضية وشكل ذلك الانهيار والأزمات التي عاشها المجتمع، نقطة تحول بارزة ومصدر الانشقاق الداخلي للإمامة والمجتمع وتحديدا بعد فتنة الإمام الصلت بن مالك (885-851م) بحيث مثلت تلك الفتنة حدثا هاما وحاسما في تاريخ الإمامة العمانية لا يمكن إغفالها في لحظة مؤسسة لعلاقة صداميه وانشقاق خطير بين رجالات الدين الإباضية، وصراع الإيديولوجية الدينية والعصبية القبلية.

كانت بداية تلك الفتنة في اختلاف وانقسام علماء الإباضية في مسألة عزل الإمام الصلت ابن مالك من طرف أحد علماء الإباضية موسى بن موسى ومبايعته لراشد بن النظر. فتكونت مدرسة وفريق واتجاه فكري رأى أن ذلك الإجراء باطل لأنه خروج على الإمام العادل وسموا بالرستاقية (نسبة إلى مدينة الرستاق)، ومدرسة واتجاه فكري وفريق آخر رأى عكس ما رأى الفريق الأول وحجته أن الإمام قد بلغ من العمر مرحلة لا يستطيع معها القيام بإدارة الدولة وسمي بالنزوانية (نسبة إلى مدينة نزوى)، « فاختلفوا في دينهم وافترق رأيهم ووقعت بينهم البراءة، وعظمت الإحن واشتدت العداوات، وكثر بينهم السير والأقوال، وعظم القيل والقال، واشتد بينهم القتال [...] فلم تزل الفتن تتراكم بين أهل عمان، ويزيد بينهم الإحن

وصار أمر الإمامة بينهم لعبا ولهوا وبغيا وهوى» [1].

ومن ذلك التاريخ، قامت كل مدرسة بتنصيب أئمتها معارضة لأئمة المدرسة الأخرى[2]، مما أثار جدلا دستوريا وفقهيا قرونا عدة، أفرز غزارة في الإنتاج الفقهي والمذهبي والتشريعي والدستوري من قبل العلماء الإباضية.

والواقع أن تلك الواقعة والمسأله شكلت منعطفا في تاريخ عمان. وجوهر سؤاله عن مدى جواز أو عدم جواز عزل الإمام إذا فقد قدرته الجسدية دون العقلية والذهنية دون أن يشكل عجزه عائقا لقيامه بمهام وظائفه؟

والحقيقة أن تلك المسألة واجهت أيضا الإمام المهنا بن جفير اليحمدي(851-840م) من قبل، بعد أن اقترح بعض علماء الإباضية على الفقيه موسى بن علي الأزكوي عزل الإمام المهنا بن جفير، ولكن قوة وصلابة الإمام ورده على الفقيه موسى بن علي، قطع دابر الفتنة والانشقاق، بحيث قال له « والله لئن أطعت أهل عمان على ما يريدون لا أقام معهم إمام سنة واحدة»، وعندما تمادى معه الفقيه موسى بن علي بالكلام، أبدى صلبة وحزما في ردة بقوله: « ارجع إلى موضعك فما أذنت لك في الوصول ولا استأذنتني ولا تقل بعد هذا القول» [3].

والواقع أن مسألة الخلاف أدهى وأعمق من مجرد جدل فلسفي أو الحرص على سلامة الدولة والمجتمع والعقيدة الإباضية، لتتجاوز في جوهرها إلى مسألة(السلطة والرياسة).

وهو ما ذكره الإمام المخلوع الصلت بن مالك [4] ، بحيث كما يقول السالمي:« نشأ في الدولة شباب وناس يتخشعون من غير ورع ، يظهرون حب الدين ويبطنون حب الدنيا ، ويأكلون الدنيا بالدين، فلما طال عمر الصلت بن مالك عليهم ملوه لما كبر وضعف» [5].

وبما أن أهل الحل والعقد هم في الحقيقة رجال سياسة في عباءة رجال دين، فهم يشكلون في منظومة الإمامة سلطة اختيار الإمام ويتولون المناصب الهامة في الدولة كالقضاة

---

(1)- مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان، مصدر سابق ، ص. 69- 70

(2)- عبدالله بن ناصر بن سليمان الحارثي، الرستاق ومكانتها السياسية قبل الإسلام وفي العصر الإسلامي، ، ضمن كتاب الرستاق عبر التاريخ-حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي في الفترة من 7-6 شعبان1422هـ/ الموافق24-23 اكتوبر 2001، وزارة التراث والثقافة،ط1 ، مسقط2002، ص.31

(3)- السالمي، مصدر سابق ، ج1، ص. 114-110

(4)- فاروق عمر فوزي ، الإمامة الإباضية في عمان-دراسة تاريخية لأحوال عمان في ظل الأئمة الإباضية في الحقبة من منتصف القرن2هـ/8م ومنتصف القرن 6هـ/12م، جامعة آل البيت، عمان 1997، ص.49

(5)- المصدر نفسه ، ص.163

والولاة والفتوى، ولهم توكل مهام محاسبة ومراقبة تصرفات الإمام وتزكيته وعزله إذا لم يلتزم طريق الحق والاستقامة والحكم بكتاب الله وسنة نبيه، وبالتالي فإن أي انقسام في تلك المنظومة يؤدي بطبيعة الحال إلى انقسام سياسي في مجتمع الإمامة، وكذلك بروز واشتعال المعادلة العصبية والقوى القبلية في الواجهة.

كانت نتيجة الانقسام والفتنة قيام تحالف قبلي بين اليحمد والعتيك الازدية ومالك بن فهم ثم بني هناءة من بعد. وذلك لنصرة ابن الإمام المخلوع شاذان بن الصلت، ويعتبر هذا التحالف من أوائل التحالفات القبلية في الدولة الإباضية بحجة الدفاع عن الإمام الشرعي، وأصبح أساسا لتحالف اليمانية في عمان في مقابل التحالف النزاري.

وكانت نتيجته معارك أهلية أشدها معركة الروضة أو كما تعرف بتنوف، ثم معركة أزكي(278 هـ/891م)، فكانت نتيجة تلك الصراعات والحروب الأهلية سقوط الإمامة وفقدانها شرعيتها ككيان سياسي لصالح العصبية القبلية، «حتى إنهم عقدوا في عام واحد ست عشرة بيعة، ولم يفوا بواحدة حتى بلغ الكتاب أجله»[1].

كما ينسب إلى أبي قحطان خالد بن قحطان أحد علماء الإباضية (القرن التاسع- العاشر الميلادي) يذكر فرقة أهل عمان وعدم اتفاقهم. والفراغ سياسي الحاصل جراء الفتن والأزمة وتفشي العصبية القبلية إثر خلع الإمام الصلت بن مالك، فيقول: « فصار أهل عمان بمنزلة الجبابرة إذا هزم الأمير اتبع أصحابه الأمير الآخر، وذهبت الديانة [...] ثم جعلوا الإمامة وفرضها وما أوجب على أهلها لعبا ولهوا. كلما أرادوا صافقوا رجلا ببيعة ثم خذلوه حتى بويعوا ست عشر بيعة أقل أو أكثر، لم يفوا لله بواحدة ولا ساروا بحق الإمامة ولا اتبعوا من قدموه في بيعتهم بأثر الأسلاف المسلمين» [2].

ثم في نفس العام(278 هـ/891م) في شهر شوال(فبراير) كانت الدائرة على التحالف النزاري بهزيمته في موقعة القاع. فبادروا بالاستنجاد بالقوى الخارجية وبالتحديد الخلافة العباسية ووليها في البحرين محمد بن بور، حيث خرج محمد بن أبي القاسم وكذلك بشير ابن المنذر من بني سامة بن لؤي بن غالب إليه «فلما قدما عليه شكيا إليه ما أصابهما من الفرقة الحميرية» [3].

(1)- مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان، مصدر سابق، ص. 70

(2)- السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، مصدر سابق ،ج1، ص. 140-138

(3)- ابن رزيق، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، مصدر سابق، ص.55

إن العبارة المستعملة هنا شديدة المعنى. فهي تضع العالم القبلي والعصبية في مقدمة الخلاف، بينما جرى تغيبها بقوة أثناء صراع الطرفين وتبادل الاتهامات والحجج بينهما، أما نصرة الدعوة الإباضية فكانت وقفا على أقلية بحيث تم نسيانها وسط زحام العصبية القبلية، وهكذا فمن هذا النص يتضح نوعية الصراع القائم على الانقسام القبلي والعصبية بين قوى يمانية (حميرية) وقوى نزارية (مضرية) وليس صراعا لصالح أيديولوجية الدعوة الدينية بين الإباضية والجبابرة، صراع قالبه سياسي تعززه العصبية القبلية ومظهره ديني.

لقد أكدت الأحداث بأن المجتمع وزعاماته كان انتماؤهم القبلي أقوى وأرسخ من المبادئ والشعارات العقائدية[1]. بحيث ظل هذا الافتراق والصراع زمنا طويلا حتى عهد الإمام ناصر بن مرشد (1624م). وبالتالي يقودنا هذا الحديث إلى النظرية الخلدونية حول العصبية والدين والعلاقة الرابطة بينهما.

وبعد تلك الأحداث تغلب العباسيون وحلفاؤهم من نزارية على عمان، ومنذ حينئذ «لم تأتلف كلمة أهل عمان. ولا اجتمعوا على إمام من بعد الفتن التي وقعت بينهم»[2]. فسادت مرحلة من الفرقة والضعف والتذبذب في سلطة الإمامة بين الاختفاء والظهور. وغلبة القوى الخارجية، فضلا عن غلبة رؤساء القبائل «الجبابرة» على عمان.

والظاهر أن ذلك التكتم وعدم الرغبة في تدوين تاريخ البلاد في تلك الفترة، إنما يعود إلى أن الإباضية اعتبروها فترة مظلمة في تاريخ الإمامة والدعوة، بحيث أن هنالك ثغرة طويلة في التاريخ عند هذه النقطة في الروايات المتناقلة عنها. فنحن لا نعلم عما حدث في البلاد حتى منتصف القرن الثاني عشر الميلادي عندما سيطر بني نبهان (الملوك الجبابرة) على السلطة بعمان لما يزيد من أكثر من خمسمائة عام، فيذكر السالمي ذلك بقوله: «وذلك لما أراد الله تعالى من إنفاذ أمره في أهل عمان فأنهم لما افترقوا فرقتين وصاروا طائفتين نزع الله دولتهم من أيديهم وسلط عليهم قوما من أنفسهم يسومونهم سوء العذاب[3] [...] إلا

....

(1)- فاروق عمر فوزي، الإمامة الإباضية في عمان، مرجع سابق، ص.55

(2)- مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان، مصدر سابق، ص. 80

كذلك انظر: ابن حوقل، صورة الأرض، مصدر سابق، ص. 45-44

القوى الخارجية :يقصد بها (العباسيين ،القرامطة، البهويين، الفرس، مملكة هرمز)

(3)- يقصد بهم النبهانيين

أنه كان فيما بعد هذه السنين يعقدون للأئمة والنباهنة ملوك في شئ من البلدان والأئمة في بلدان آخر والله اعلم »[1].

لقد ترتب عن تلك الفوضى أثار سلبية على المجتمع ككل، فتم تقسيم البلاد وتوزيع الثروات بين رؤساء القبائل والقوى الخارجية، مع ارتفاع وتيرة الصراعات والانشقاقات حول السلطة والثروة .

ومما ذكره دلبوكيرك Dalboquerque في مذكراته عن المدن العمانية الساحلية عند وصول البرتغاليين فيذكر قلهات بقوله:« مدينة كبيرة مثل مدينة سانتاريم Santarem [...] وثمة سور ارتفاعه يقارب ارتفاع الرمح يهبط من قمم الجبال حتى يصل إلى البحر، وقد أقامه أهل المدينة لحمايتهم من مسلمي المناطق الداخلية فلم يكونوا على وفاق معهم وقد تصادموا معهم في مناسبات عدة وهذه المناطق الداخلية يحكمها حاكمking يقال له ابن جبر شيخ الجبور Benjabar لديه كثير من الفرسان [...] وكل مؤن أهل الجزيرة من قمح وشعير وذرة شامية وذرة رفيعة (دخن) وتمور ترد إليهم من المناطق الداخلية حيث تتوفر هناك » [2].

كما يذكر مدينة صحار فيقول عنها:« وفي صحار شيوخ (رجال ذوو قدر) أكثر مما هو موجود في المدن الأخرى على طول الساحل فالمدينة أكثر اتصالا -من ناحية الجبال- بالمناطق الداخلية [...] والمناطق الداخلية تحت سيطرة الجبور، وهم في حالة السلام مع ملك هرمز، وعندما ينشب أي نزاع بينهم يقبل الجبور لمهاجمتهم (أهل صحار) فيحتمون ساعتها في الحصن»[3].

تغيرت الخريطة السياسية على المستوى الخارجي تغيير إذن بشكل ملحوظ لصالح القوى الخارجية والجبابرة، وتقلص في المقابل نفوذ الإمامة، وبرز الاختلال والاضطراب السياسي والاقتصادي والاجتماعي مما ترتب عنه تفكيك بنيات المجتمع التقليدي.

ولكن ورغم ذلك يذكر السالمي رد على ما كتبه ابن بطوطة (القرن الرابع عشر الميلادي)

....

(1)- السالمي، مصدر سابق ،ج1، ص.352

(2)- أفونسو دلبوكيرك AFONSO DALBOQUERQUE، السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك AFONSO DALBOQUERQUE، المجلد الأول، المجمع الثقافي، أبوظبي2000 ، ص. 163

(3)- أفونسو دلبوكيرك AFONSO DALBOQUERQUE ، مصدر سابق، ص. 193

أيام حكم بني نبهان فيذكر بأن الإباضية استمروا في نشاط دعوتهم برغم كل تلك الانتكاسات والإحباطات وذلك لتجذرها في المجتمع والبلاد فيقول:« ولم نعلم أنه أتى على الإباضية في عمان وقت لا يقدرون على إظهار مذهبهم فيها، وأن تسلط بعض النواحي ملك من ملوك الآفاق وقليل ذلك فمذهبهم في تلك الناحية شاهر ظاهر والملك الأجنبي يداريهم وإنما ملك قلهات وغيرهم في هذا الوقت لاختلال الدولة بجور النباهنة» [1].

III - الأوضاع الاقتصادية:

شهدت الأوضاع الاقتصادية قبل الاستعمار البرتغالي تدهورا كبيرا جراء الأزمات السياسية والطبيعة والاجتماعية، ولكن برغم ذلك ظل التبادل التجاري بين جميع أجزاء عمان، مع حفاظ كل جزء بشخصيته بكيانه وخصائصه المميزة واستقلاله،وبروز نمط الإنتاج القبلي القائم على التعاون والتضامن.

ويلاحظ بأن غرض ومحاولات القوى الخارجية لسيطرة وإخضاع عمان كان يهدف بشكل رئيسي إلى التحكم بالموقف والمدن البحرية لعمان وثرواته، بينما ظلت المناطق الداخلية القليلة بجاذبيتها الاقتصادية والأهمية مقارنة بمدن الساحل تتمتع بنوع ونمط من الاستقلال الذاتي وتمثل الخطر الأكبر للإمامة فيها بظهور الجبابرة وأهل البغي[2] والصراعات القبلية فيما بينهم على السلطة والسيادة والثروة، مع انتشار بعض المذاهب المخالفة. وبالتالي أحدثت تلك الازدواجية الجيوبولتيك (الجيو- سياسية) لعمان (مدن الساحل – والمدن الداخلية) صراع وتقسيما أثر على مجمل تاريخ عمان.

كما يتضح لنا سوء الاستغلال الاقتصادي لفائض الإنتاج جراء الأزمات التي تمر فيها البلاد . فنرى دلبوكيرك يذكر أثناء احتلاله لمدينة مسقط بأنه « حدث ذات يوم بينما كان أحد الجنود يدخل منزلا حاملا معه رمحا ثقيلا قصيرا، أن غرس هذا الرمح - بالصدفة - في الجدار الأمامي للمنزل، فأحدث فجوة فدخل الجندي منها، فوجد بضائع كثيرة، وتفسير ذلك أن مسلمي مسقط كان الواحد منهم يشيد داخل منزله مخزنا مستقلا لا أبواب له ولا

(1)- السالمي، مصدر سابق ،ج1، ص. 362

(2)- أهل البغي: هم أهل البلاد الذين ارتدوا عن الدعوة الإباضية، بسبب التأثيرات الدينية الوافدة ،كما يقصد بهم الذين يخرجون عن طاعة الإمام.

نوافذ ليكدس فيه البضـائع، ليجعلها بمنأى عن سـكان الداخل (البـدو) الذين قد يهجمون ليسـرقوا هذه البضـائع.وما إن علـم جنودنا بهذه المعلومـة لم يتركوا منزلا قائمـا إلا نقبوه فوجدوا أشياء كثيرة ثمينة» [1].

إن عدم الاستفادة بفائض الإنتاج وتكديسه بهذا الشكل، لا يخدم أبدا عملية بناء المجتمع وازدهاره وعطل عجلة اقتصاده وتطوره وتقدمه.

أما المنتوجات الزراعية، فكانت برغم أهميتها إلا أنها لم تشـكل مداخيل هامة بالتناسب مع التجار والحركة الاقتصـادية. فهي قليلة ولا تسـمح سوى بالاكتفاء الذاتي فقط، وإن كان موضوع مختلف فيه[2]، فالأراضي الزراعية لم تقدم فوائض إنتاج مركزية، نظرا لعدم تتطور الأنماط والأساليب الزراعية، فـ « أكثر الحروث لا تكفي مغرم ما عليها» [3].

وكذلـك نلاحـظ أن تجـار السـاحل ومناطـق العبور (الترانزيـت)، برغـم ثروتهـم لم يشـكلوا ثقلا سياسيا، وامتزجوا مع السـلطة الحاكمة خدمة لمصالحهم، حيث صار الحاكم وحاشـيته (التاجر الأكبر). فيذكر ابن المؤثر فيقول:« فقد ذكر عن ابن موسـى[4]، أنه يكتب إلى تجار صحار يسألهم القرض ويسألهم أن يتجروا له، ولم يكن من قبل يسألهم هذا، ولكن

(1)- أفونسو دلبوكيرك AFONSO DALBOQUERQUE، مصدر سابق، ص. 179

(2)- يذكر جون ولكنسون بأن عمان كانت تنتج ما يكفي حاجتها،ولكن من ناحية أخري لم يكن ذلك مهما ،وذلك من خلال الاقتصاد التقليدي لأحدي المنتوجات المحلية الأساسية ، وهي (التمور)وبأن فائض الإنتاج تراوح ما بين 25000 طن إلى 75000 طن في السنة الواحدة،وبأن الأسماك والفاكهة المجففة جزء من منتوجات التصدير بالإضافة إلى بيع اللؤلؤ، والذي يعتبر عنصر أساسي في الاقتصاد المحلي لبلدان الساحل المتصالح. (للمزيد انظر: جون ولكنسون ،الإمامة في عمان ، مرجع سابق، ص. 59)

وهكذا فإذا كان الاختيارات الغذائية هي الركيزة الأولى للهوية الثقافية وتمايز والتراتبية الاجتماعي، فنري بأن البلح والأسماك كانت من العناصر الغذائية المتوفرة بكثرة وتعكس مدي القيمة الغذائية المهمة لساكنة المجال والتمايز الاجتماعي بينهم، بحيث يذكر لنا ماركو بولو13م بقوله عن سكان قليهات: (إن قلاياتي مدينة كبيرة. [...]وعلى الإجمال يعيش سكان هذه المنطقة على البلح والسمك سواء - منه الطازج والمملح وذلك لأن لديهم على طول المدى مقادير ضخمة منها كليهما ،على أن ذوي المكانة أو القدرة المالية من الناس يحصلون على القمح ليتغذوا به من بلاد أخري،

(3)- حاول الإمام غسـان بن عبدالله أن يختـبر التجار والـزراع وحاشـيته ليعـرف رد كل واحد منـهم، فكان رد أصحاب التجار:، أصحاب الأموال أهل حرث وأكثر الحروث لا تكفي مغرم ما عليها، (للمزيد انظر: السالمي، مصدر سابق ،ج1،ص. 126)

(4)- موسى بن موسى: من علماء الإباضية في القرن 3 هـ، ولعب دور في الأحداث السياسية وكان ممن اشترك في عزل (الصلت بن مالك) سنة272هـ وتولية راشد بن النظر ، ثم اشترك مرة أخري في عزل راشد بن النظر سنة 277هـ وتولية عزان بن تميم الخروصي إماما، ثم وقع الخلاف بينهم فخاف (عزان) أن يفعل به موسى كما فعل بمن قبله من الأئمة، فكلف من قتلة في (أزكي) سنة 278هـ.

تقوى عليهم بسـبب السـلطان، ثم خرج موسى إلى صـحار فروي عليه من أخذ أموال الناس أشنع مما كان يروى عن شاذان» [1].

والحاصل انه لم تخلق تحالفات تجارية تحمي مصالح طبقة التجار ضد سطوة السلطان وحاشيته، تؤهلهم لتشكيل ثقل سياسيا.

لقـد بقيت التقاليد البدوية من عصـبية قبلية ومصـاهرة وقرابة تاريخية بالنسـبة لهم أكثر تأثيرا وفاعلية وارتباطا وولاء من المصالح السياسية والاقتصادية لتلك الفئة التجارية، وكذلـك الحال بالنسـبة إلى الفئات الاجتماعيـة التي نزحت وهاجرت نحو المدن السـاحلية واستقرت فيها[2]. فكما يقول جورج لوكاش George lukocs:« إن الاقتصاد في المجتمعات ما قبل الرأسـمالية لم يكن قد وصـل بعد إلى مسـتوى (الكائن-مـن أجل-ذاته) لذلك فإن الوعي الطبقي لم يكن قادرا بسبب من طبيعته ذاتها. لا على الظهور بمظهر واضح، ولا على التأثير بوعي في الحوادث التاريخية. ومن ثمة فإن الوعي بالانتماء إلى العصـبات كان وحده السائد» [3].

إن السـيطرة على الساحل هي السمة الهامة لاكتسـاب القوة الخارجية، وكذلك مصدر للثروة، أما المناطق الداخلية فلم تجد اهتماما كبيرا لعدم قدرتها على إنتاج فوائض مركزية ذات قيمـة، وعليه فإن عامل التكامل كما يذكر جون ولكنسـون: « لم يكتمل في بنيات أي من الدويلات التي ظهرت في عمان لتصبح دولة حضرية كاملة دائمة»[4]، فلم يكن في عمان دولة مركزية قوية تحقق الوحدة والاندماج والتكامل بين المؤسسات والقوى الاجتماعية السائدة في عمان في إطار الأمة الجامعة. إلا أن تلك القوى كانت ترتبط ببعضـها البعض بشبكة محكمة من النشاطات والعلاقات المتصلة والمصالح المشتركة.

وأخيرا فيمكن القول أن الأيديولوجية الدينية الإباضية بمثابة خطاب يقدم للجماعة شبة

....

(1)- السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، مصدر سابق ،ج1، ص. 62-61

(2)- فوزية العطية ، «الأوضاع الاجتماعية في الخليج العربي» مجلة الوثيقة، العدد 26، مركز الوثائق التاريخية- البحرين 13 يوليو1994، ص.102

(3)- محمد عابد الجابري ، العصبية والدولة- معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء 1984. ص. 380

(4)- جون ولكنسون ، مرجع سابق ،ص.57

منظـور تبرر وجودها من حيث هي جماعة تحتل موقعا اجتماعيا محددا[1]. كانت تسـير في خط متوازي وصـراع مسـتمر مع العصـبية القبلية التي تعتبر الإطار الاجتماعي والسياسـي السـائد قبل ظهور المدينة – الدولة. فنجد بأنهما ترعرعا معا وتناوبا على حكم عمان حيث أوجدا وأحدثا التاريخ العماني بكل وقائعه وتداعياته. فنجد أن الأيديولوجية الدينية الإباضية ومفهوم الإمامة رغم ترسخها لم تستطع إلغاء النظام القبلي وشرطه الأساسي العصبية[2]، لتتحول وتساعد في بناء مجتمع وحكومة حضرية.

إن المجالات في بلاد عمان ليست ثابتة في حدودها. فإذا كان المجال ارتبط ظهوره تاريخيا ككيان تبني مرجعية دينية وذلك باعتناقه الأيديولوجية الإباضية، حيث كان عملا في توحيد المجال ضمن الهوية الثقافية(عرب أزدية- شراة[3]) ، لذلك كان غياب سلطة مركزية قوية في المجال قد قلل من الوحدة العضوية المركزية. بين مكوناته ولكن دون أن يؤثر على التفاعل بين سـاكنه المجال(أفراد المجتمع) وشـعورهم بالانتماء إلى هوية ثقافية واحدة برغم ما قد يتخللها من خصوصـيات محلية جهوية، فلكل منطقة محيطها وهويتها المسـتقلة، فكما يقول أنتوني غدنز Anthony Giddens: " تتميز جميع المجتمعات بصـفات مشـتركة منها: أن ثمـة بنية من العلاقات الاجتماعية تنتظم أعضـاءها وتنظمهم وفقا لتوجهات ثقافية فريدة ومميزة" [4].

لقـد بلغـت الإمامـة أوج قوتهـا في عهـد الأئمـة الأوائـل كالإمـام غسـان بـن عبـد الله اليحمـدي(822-808م) الذي أنشـأ أول أسطول بحري(الشذاة والغرف)[5]، للدفاع عن شـواطئ عمان ضد هجمات القراصنة الهنود، وكذلك سار على نهجه الإمام المهنا بن جفير اليحمـدي(851-840م)، بحيـث « اجتمعت له من القوة البرية والبحرية ما شـاء الله، قيل

---

(1)- B.ETIENNE:"PORBLEMES DE LA RECHERCHÉ ISLAMOLOGIQUE AU MAROC", IN ISLAM ET POL - TIQUE AU MAGHREB.C.N.R.S PARIS-1981- P. 202

(2)- ايف لاكوست YVES LACOSTE ، العلامة ابن خلدون IBN KHALDOUN ، دار ابن خلدون، ط1، 1974، ص.134

(3)- الشراة: اسم كان يطلق على الإباضية ،ويقصد بتلك التسمية بأنهم الناس الذين باعوا دنياهم الفانية في سبيل آخرتهم أو شروا الآخرة بالدنيا.

(4)- أنتوني غدنز ANTHONY GIDDENS ، علم الاجتماع SOCIOLOGY، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4، 2001، ص. 79

(5)- (الشذاة) و(الغرف) :نوع من أنواع السفن المتداولة في ذلك الوقت في عمان والخليج.

إنه اجتمع له في البحر ثلاثمائة مركب مهيأ لحرب العدو»[1]، وكذلك ضخامة مراكب عمان في عهد الإمام الصلت بن مالك والذي قادة حملة ضد نصارى سقطرى،» وقيل إن جملة المراكب التي اجتمعت في هذه الغزوة مائة مركب ومركب» [2].

إلا أن تلك الإنجازات أخذت تتباطأ وتتوقف في كثير من الأحيان، نظرا للأوضاع التي مرت بها الإمامة وعدم قدرتها على الاستمرارية. وجراء أحداث واضطرابات مؤلمة وصراعات وجدت الإمامة نفسها في بني جامدة أو متقوقعة منكمشة في بعض المدن الداخلية تبرز وتختفي حسب الظروف والأوضاع السائدة، ويشرح لنا جون ولنكسون بصورة عامة أحوال المجتمع وأسباب عدم تطوره فيقول:« ظل التواصل الاقتصادي والسياسي مع العالم الخارجي مهما جداً للمجتمع العماني، ولكنه غير كاف لتوفير القوة الدافعة باتجاه (التطور) لم تكن هنالك تحولات للأراضي، وكذلك لم يحدث التمدن، ولم تتشكل البنى الطبقية. ولم تنشأ فيها مؤسسات» [3].

فنرى مدن الساحل تمتص الثروة القادمة من الخارج ويتم تكديسها وعدم استغلالها للنهوض بالبلاد وحرمانها من عدم الاستفادة من فائض الإنتاج، أما المدن الداخلية والإمامة فقد فقدت الدينامية والتطوير وأضحت بني جامدة منكمشة منغلقة. كما ساعد على ذلك تشتت الزعامات وانعدام الاستقرار السياسي والكوارث والأزمات الطبيعية والسياسية والاقتصادية. وعدم وجود سلطة مركزية قوية توحد المجتمع وتقوده للنهوض والتقدم. بحيث ظل نمط تفكير الإنسان القبلي العماني لا يتجاوز حدود المنظومة القبلية للمجتمع.

....

(1)- السالمي، مصدر سابق، ج1، ص. 150

(2)- المصدر نفسه ،ص. 168

(3)- جون ولكنسون ، مرجع سابق، ص. 17

المبحث الثالث

جدلية الإمامة والعصبية في المجتمع العماني:

لقد كان لعامل الدين في الفعاليات الاجتماعية دور هام وبارز في تاريخ الحضارة الإسلامية على مر العصور، وخاصة تأثيره على العصبية، فالإسلام ظهر في مجال قبلي أدى إلى جمع العصبيات العربية وقيام الدولة الإسلامية وتوسعها.فهو عنصر موحد قوي وجامع لكل العصبيات، ويسمو فوقها ويخترق تأثيره الحدود والمسافات.

إن عامل الدين بمفهومه الواسع كأيديولوجية كان عاملا حاسما وأساسيا في التاريخ الإسلامي، لذلك كان لابد لعمان من عامل يتجاوز العصبية القبلية، بحيث يقلب أطباعها ويوحد صفوفها ويوجه قوتها ونشاطها في وجهة الصراعات القبلية التي ينخر كيانها باستمرار و يحبط أي وحدة سياسية بينهم ويمنع قيام سلطة مركزية موحدة وقوية، تواجه التحديات الجديدة المقبلة.

لقد حاولت الإباضية وحسب منظورها بناء المثل الديني الأعلى للحكم والسلطة، من خلال تصور مثالي للإمامة مشروط بشروط معينة.

ففي البداية نجد أن انتشار الإمامة في عمان يمكن إرجاعه إلى عدة عوامل منها البعد الجغرافي عن مراكز سلطة الخلافة الإسلامية، وأسباب سوسيو-ثقافية وعاطفية من خلال الأدوار التي لعبتها بعض الشخصيات الأزدية وبروزهم أثناء قضية التحكيم كقراء للقرآن ينتمون إلى نفس المجال، أولا ثم كقادة للخوارج ومساهمين ومجاهدين في سبيل نشر الدعوة من بعد . أمثال عبدالله بن وهب الراسبي الأزدي، والعالم أبو الشعثاء جابر بن زيد الأزدي العماني، والعالم الربيع بن حبيب الأزدي، بحيث أسهم انتماؤهم القبلي للمجال والمناطق الداخلية على وجه الخصوص في كسب المؤيدين للدعوة ونشرها في عمان .

وبما أن عمان مجتمع ذو تركيبة قبلية تخضع كل قبيلة لسلطة الأمير أو شيخ القبيلة تعززها وتقويها وحدة المجال الترابية والعصبية والنسب. لذلك كان لتقارب نهج أيديولوجية الإمامة مع المنظومة القبلية في لامركزية السلطة، والاستقلال السياسي والقضائي والإداري للمناطق التي تخضع لسلطة الإمامة دور ايجابيا في تدعيم واستمرارية وتماسك أيديولوجية الإمامة في عمان. بحيث عملت الإمامة بنفس الدور الذي يقوم به الأمير أو شيخ القبيلة في الدولة القبلية، ولكن بفارق أن المجموعة الآن ليست متحدة برباط الانتماء القبلي فحسب، بل وأيضا برباط أيديولوجي ديني ترسم ملامحه وتحدد علاقته[1].

ثم إن محافظة ووجود عدد من العلماء الإباضية المميزين وتوارثهم لمرجعيات وعقيدة ترفض الدخيل من المذاهب الأخرى وتقاوم تغلغله بين صفوفها أسهم في قوة استمرارية الدعوة الإباضية[2]. وفي المقابل كان لتلك المنظومة التقليدية القبلية للإمامة في للامركزية السلطة سبب أو عائق أسهم بصورة سلبية في تكوين الدولة المركزية الموحدة وتحديث مؤسساته. وإعطاء تفسيرات للإمامة كنظام قبلي عتيق لمنظومة الحكم كما حصل في تقرير ريبينج Ripanj سنة 1963م[3].

وتأسيسا على القول بأن الإمامة والعصبية القبلية قد أوجدا التاريخ العماني. وأن نظام الإمامة كان متأقلم مع المجال القبلي، ولكن مع ذلك كله يجدر الإشارة أيضا إلى أن فقدان التوازن القبلي والاختلال في منظومة الإمامة داخل المجتمع القبلي غالبا ما تفرز وتكون فرصة لبروز واشتعال العصبية القبلية التي يمكن أن تسهم في إسقاط وانهيار الإمامة نفسها[4]. والغالب أن الدعوة الإباضية وأيديولوجية الإمامة الراغبة في بناء المجتمع الإسلامي المثالي فشلت في أن تقضي على العصبية القبلية بأكملها. بل أنها عملت على نقلها فقط من إطار ضيق ضمن حدود القبيلة والمجال إلى إطار أوسع وأشمل ضمن الانتماء للوحدة الروحية الدينية .

حاولت الدعوة الإباضية في عمان أن تفرز أساسا للدولة والحكم ضمن منظومة الإمامة ومبدئها، وكان بداخلها الفكر الاتحادي الجامع للأمة وبناء المجتمع الإسلامي الحقيقي حسب المنظور الإباضي .

....

(1)- جون ولكنسون ، مرجع سابق، ، ص. 283

(2)- السالمي، مصدر سابق ،ج1، ص. 140-138

(3)- محمد علي القوزي ، دراسات في تاريخ العرب المعاصر، دار النهضة العربية ، ط 2 ، بيروت 1999، ص. 428- 429

(4)- حسين غباش ، عمان الديمقراطية الإسلامية – تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث ،دار الفارابي، ص.24

ولكن ظل ذلك الحلم يصطدم بواقع كون المجتمع مخترقا بالإكراهات القبلية والعصبية الذي حاولت عبثا تجاوزه، فكان لابد من التوفيق بين جميع تلك العناصر المتنافرة وإن كانوا لم يفصحوا على ذلك، فتأتي مقولة الإمام الغزالي "الإمامة إنما تقوم على ذوي الشوكة"[1]، بمعني أن قوامها الوزن السياسي والديني، وهو أمر ضروري لنجاح وقيام أي حركة سياسية مرتبطة بالدين في ظل التركيبة الاجتماعية القبلية. والتي أدركها ابن خلدون في القرن الرابع عشر في مقدمته فصرخ بأن « الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم»[2].

لقد أرادت الدعوة الإباضية أن تجمع بين وحدة الدين والدولة والتي تجسدها الإمامة، ولكن ذلك أدى إلى صراع خفي وتنافس بين الدين والعصبية وأيهما يحكم؟ فقد خلقت الدعوة الإباضية في عمان فئة اجتماعية دينية تناظر وتزاحم رجالات القبيلة والعصبية، فانتخاب الإمام ليشكل رمزا للسلطة الدينية والسياسية يتم انتخابه بطريقة ديمقراطية جماعية يشرف عليها النخبة من العلماء (أهل الحل والعقد) فكما يقول أبوالمؤثر: « إن الإمامة لا تكون إلا عن مشورة من علماء المسلمين »[3]، وهو ما جعل تلك الفئة الاجتماعية من العلماء يصبح لها تأثير بالغ في إدارة وتسيير شؤون دولة الإمامة تنافس رؤساء القبائل وتقضي على نفوذهم وسيادتهم في حين أن العصبية كانت ما تزال تلعب دورها. فكان الصراع حتميا بين الطرفين.

وختاما فان أيديولوجية الإمامة كانت من العناصر الأساسية للدعوة الإباضية والتي منحت أتباعه تماسكهم وشدت من عزيمتهم رغبة في بناء دولة الإمامة الإباضية، ولكن من زاوية خارجية عن محيط الدعوة الإباضية كان ينظر إليها نظرة سلبية بحكم ماضيها أكثر من حاضرهم كحركة انفصالية متمردة مبنية على معارضة السلطة واحتكارها وكفرقة دينية مارقة تصنف ضمن فئة الخوارج وخلفيات أحداث الفتنة الكبرى ومعارضة الدولة الإسلامية مما جعلها في مواجهة السلطة سواء الخلافة الإسلامية أو مقارعة رؤساء القبائل المحليين ومواجهة العصبية القبلية.

---

(1)- أبي حامد الغزالي، الاقتصاد في الاعتقاد، دار ومكتبة الهلال، ط1، 1993، ص.258-257

(2)- ابن خلدون ، المقدمة ، دار الفجر للتراث، ط1، القاهرة 2004، ص. 207 - (ملاحظة يقصد بالمسلمين :هنا الإباضيين.)

(3)- السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، مصدر سابق، ج1، ص. 41

إن ما يميز الإباضــية عن الكثير من الفرق الإسلامية أنهم كانوا من أكثر الفرق اهتماما بمن يحكم ؟ وكيف يحكم ؟ وعلى أي الأســس يحاكم من يحكم ؟ وبأي الأســلوب يعزل؟ مما جعلهم أكثر الفرق الإسلامية صراعا مع السلطة.

الفصل الثاني

الاستعمار البرتغالي
وتداعيات أزمات المجتمع

المبحث الأول

الاستعمار البرتغالي والصدمة

صور العديد من المؤرخين القرن السادس عشر بأنه قرن تخترقه التوترات والصراعات والتناقضات، بينما وصف الأستاذ عبدالله العروي التاريخ الحديث في كتابه عوائق التحديث، بأنه قرن عرف بصراع متواصل بين الفئات والأنظمة والأفكار.

والواقع أن العصر الحديث كان انطلاقا للمغامرة الأوربية نحو الاستحواذ على خيرات الشرق، بعد أن أصبح الأوربي يشعر بالتفوق والقوة التي تؤهله لبناء وتشييد إمبراطورية مترامية الأطراف، فكانت الكشوف الجغرافية أهم نتائج النهضة الأوربية .

لقد تعرض العالم والإسلامي منذ أواخر القرن الخامس عشر وأوائل القرن السادس عشر للمد الإمبريالي الأوربي الاستعماري، الذي امتزجت أسبابه الدينية والسياسية والاقتصادية. والحقيقة أن هزيمة المماليك في معركة(ديو Duo) البحرية1509 على يد الأسطول البحري البرتغالي، نبه العثمانيين إلى مدى خطورة وقوة المشروع البرتغالي وأهدافه. لذلك بدأ العثمانيون النظر بجدية للمشروع البرتغالي في المحيط الهندي والبحر الأحمر، والاستعداد لمواجهة هذا المشروع والصدام بينهما.

كما أن التفكك السياسي والصراعات وغلبة المصالح أدى إلى غياب قوة إسلامية متماسكة وقوية في المحيط الهندي والخليج (العربي/الفارسي)، فضلا عن ضعف تماسك وترابط القوى الإسلامية الرئيسية الفاعلة على الساحة العالمية (المملوكية- العثمانية- الصفوية) وانشغالهم في صراعات مذهبية وتوسعية. وبمشاكلهم الداخلية والخارجية.

فالمماليك تمت هزيمتهم في معركة مرج دابق1516 على يد الدولة العثمانية بزعامة سليم الأول، والذي أعلن نفسه خليفة على المسلمين. مع استمرارية الصراع

(العثمـاني السني-الصـفوي الشـيعي) الذي كانت تسـتغله القوى الأوربية كورقة سياسـية رابحة للتوسع والضغط، بينما القوى العربية في الخليج تعاني من التفكك السياسي والضعف واشتعال العصبية القبلية، وعدم وجود قوة فاعلة موحدة في المجتمع.

I- دوافع الكشوف الجغرافية والاستعمار البرتغالي

تعددت الأسـباب وخلفيات الاسـتعمار البرتغـالي لمنطقة الخليج (العربي/الفارسـي)، بحيث اختلطت فيها الأسباب الدينية والاقتصادية والسياسية، إلا أن مع مرور الوقت اكتسبت العوامل الاقتصـادية مركز الصـدارة ما بين كل المسـببات، حتى أضـحت التجارة تسير في مقدمة الصـليب والسياسـة، وهكذا يمكن تحديد أسـباب تفوق ودوافع الاستعمار البرتغالي بنقاط التالية:

1. استغـلال النهضة الحقيقة التي مرت على أوربا الغربية منذ القرن الثالث عشر، بحيث عرف ميدان الملاحة خاصـة نهضة وتطور في البوصلة والأشرعة ورسم الخرائط وبناء السفن، كما وفر المجال للبرتغال فرصة لاقتحام البحر وإنشاء إمبراطوريات فيما وراء البحار، في ظل عدم القدرة على التوسـع البري لوجود قوة أوربية أخرى بجوارها، بالإضـافة إلى قلة عدد السكان، لذلك كان البحر الملاذ الوحيد للتوسع وتنويع الثروة.

2. دعم وتحفيز الدولة الراغبة بالتوسع وبناء وتكوين قوة وإمبراطورية عظمى مترامية الإطـراف والباحثـة عن الثروة بإرادة ونظرية الحق الإلهي المكتسـب وسـلطة مركزيـة موحـدة وقوية بعقليـة الحروب الصـليبية ونتائج حروب الاسـترداد والعداء للإسـلام، ومطاردة المسـلمين، وخاصة بعد وصـول أسرة أفيز Aviz إلى الحكـم في البرتغال. وقد برز هذا التوجه من خلال رسـالة الملك عمانويل Emmanuel ملك البرتغال إلى البابا بولس الثاني عام1505. جاء فيها :«إنه ليس عازما على المضـي في القضـاء على التجارة المملوكية فقط، بل سيجاهد

في سبيل المسيحية حتى يجعل من مكة هدفا لمدافعه وجنوده». ولذلك تم وضع وتسخير العلم في خدمة التوسع[1].

3. ترتب عن مجمل الأزمات التي عرفتها القارة العجوز خلال القرن الرابع عشر، اشتداد الرغبة والدافع لركوب البحر وتخطيه، فلقد عانت أوروبا من تفشي الطاعون الأسود (1348م)[2] ،وهو ما دفع البرتغاليين والأسبان إلى التهافت للحصول على العبيد لمواجهة النقص الديموغرافي في جراء الطاعون الأسود وتبعاته الاقتصادية[3]، كما كان لبروز أزمة النقد والذهب في القارة الأوربية وانحسار التبادل التجاري وارتفاع الأسعار وقلة الإنتاج، عامل محفز للبحث والحصول على المعادن الثمينة والذهب خاصة في نهاية القرن الخامس عشر.

4. ازدياد التفكير في الاتصال بالشرق الأقصى وكسر احتكار الوساطة العربية والايطالية، وذلك لأسباب تجارية وتبشيرية وإستراتجية[4]، وذلك من خلال استغلال موقعها الجغرافي ونهضتها العلمية وثرواتها. وازداد الوضع تأزما مع الضغط والتوسع العثماني الإسلامي في آسيا الصغرى والبحر المتوسط، ومحاولة كسر احتكار المسلمين والايطاليين لتجارة الشرق وطريق الحرير والحصول على التوابل والتخلص من الرسوم الجمركية،وخاصة بعد إغلاق

....

(1)- BAILEY W.DIFFIE , FOUNDATIONS OF THE PORTUGUESE EMPIRE1415-1580 , UNIVERSITY OF MINNESOTA PRESS, MINNEAPOLIS , P. 113-122

(2)- بعض الكتابات التاريخية تذكر بأنه ليس الطاعون الأسود 1348م بحد ذاته هو الذي أثر في الديمغرافيا، وإنما تعدد الطواعين المتقاربة في الزمن التي جاءت بعد ذلك التاريخ، بحيث إن الدفعات الدورية للوباء كانت تحول دون سد الفراغ الحاصل بسرعة.

انظر: نور الدين حاطوم، تاريخ العصور الوسيط في اوربه من القرن 12 – 15، ج 2، دار الفكر،ط1، دمشق 1993،ص. 363

كذلك انظر: جاك لوغوف، التاريخ الجديد ،المنظمة العربية للترجمة-توزيع مركز دراسات الوحدة العربية،ط1، 2007، ص.177

(3)- أحمد بوشرب، ، أسباب ومراحل اكتشاف البرتغاليين للسواحل الإفريقية خلال القرن 15، ، مجلة المؤرخ العربي، العدد 31 سنة 1987،ص.61

(4)- أحمد بوشرب، ، المخططات البرتغالية خلال القرنين15و16، ، ضمن كتاب (في النهضة والتراكم- دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية)، مساهمة مهداة للأستاذ محمد المنوني ،دار توبقال للنشر، دار البيضاء، ص.183 - 222

الطريق البري بعد ظهور الأتراك العثمانيين، بالإضافة إلى محاولة للالتفاف على بلاد المسلمين وضربها من الخلف.

5. دعم وتحريض الكنيسة والبابوية والتي نجدها بدأت تفقد هيبتها وثروتها وخاصة مع ظهور حركة الإصلاح الديني واستقطابها لجماعات كبيرة من المؤيدين في القرن الخامس عشر . واشتداد الأزمات الاقتصادية والديموغرافية. فلقد شكلت الكشوف الجغرافية والتوسع الاستعماري فرصة لإعادة هيمنتها ونفوذها دينيا ودنيويا على العالم النصراني الأوروبي[1]. فجاءت فكرة التبشير والحرب المقدسة الدينية الصليبية والبحث عن مملكة القديس يوحنا (Priest John). فقد حظيت الكشوف الجغرافية باهتمام بالغ من البابوية ،حيث أصدر عدد من البابوات مراسيم متلاحقة يعطون بموجبها ملوك البرتغال وأسبانيا الحق في ملكية كل إقليم جديد أو بحر جديد يتم اكتشافه في الحاضر أو المستقبل[2]. بالإضافة إلى صكوك الغفران لمن يقتل أثناء القتال أو رحلة الكشوف الجغرافية، وغيرها من المميزات الروحية والمادية.

6. دعم ومساندة المجتمع وفئة التجار على الأخص لحركة الكشوف الجغرافية والتوسع ، بغرض البحث عن الثروة وتنويع مداخيله ، والهارب من تردي الأوضاع الاقتصادية والسياسية في المجتمع. ولكن وبرغم قلة عدد سكان البرتغال وصغر مساحتها وقلة موارده[3]، كان لديها الحافز والرغبة. ولتملك مجتمع شديد الاندماج ذي قوى تراكمية.

....

(1)- محمد حميد السلمان ، الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج 1525-1505، مركز زايد للتراث والتاريخ، ص.22-21

(2)- أحمد محمد عبيد بطي ، الصراع البرتغالي العثماني في القرن السادس عشر، ندوة الثقافة والعلوم ،ط1، دبي ، 1991، ص.43

تعتبر معاهدة توردسيلاس (TORDESILLAS) 1494م، من أهم المعاهدات لتقاسم العالم المرشح للاستعمار فيما وراء البحار من طرف (البرتغال- اسبانيا) ،بحيث وضعت تلك المعاهدة حد للصراع بين الطرفين.

(3)- للمزيد انظر : أحمد بوشرب ، مغاربة في البرتغال خلال القرن 16، كلية الآداب والعلوم الإنسانية-جامعة محمد الخامس، رسائل وأطروحات رقم36، الرباط 1996، ص.99-71

7. كانت الكشوف الجغرافية والتوسع البرتغالي فرصة مؤاتية للدولة لتصدير مشاكلها وأزماتها السياسية والاقتصادية ومعارضي الحكم فيها إلى الخارج وخاصة بعد ثورة 1383م السياسية والاجتماعية. بالإضافة إلى زيادة المعلومات المعرفية الجغرافية والعلمية وتصحيحها، واكتشاف المجهول من العالم الشرقي، المتصور بمخيلتهم بأساطيره وثروته وجواريه[1].

وهكذا يتضح بأن العامل الاقتصادي كان حاضر بقوة في الاندفاع الأوربي بحيث احتل مركز الصدارة بين الأسباب الأخرى[2]، فكانت المغامرة البرتغالية في الشرق في القرن السادس عشر بمثابة نقطة التحول والسيطرة وبروز القوى الإمبريالية الاستعمارية، وبداية لحقبة جديدة من مرحلة السيطرة والتفوق الأوربي نحو ثروات الشرق[3]، بحيث امتزجت أسبابها الدينية والاقتصادية والسياسية.

II- الاستعمار البرتغالي لعمان :

يصف النهروالي الأحداث التي وقعت في بداية القرن السادس عشر بقوله:« وقع في أول القرن العاشر من الحوادث الفوادح النوادر دخول (الفرتقال)[4] اللعين من طائفة الفرنج الملاعين إلى ديار الهند»[5]. ومن جانبه يذكرهم المؤرخ اليمني بامخرمة بداية ظهورهم واشتداد نفوذهم وضررهم فيقول:»السنة الثانية عشرة (بعد تسعمائة)[6] [...] وفي هذه السنة قويت شوكة الفرنج وحصل على المسلمين منهم ضرر عظيم في ناحية الهند وهرموز»[7].

لقد تعرضت عمان للاحتلال البرتغالي، عندما وصلت أول حملة بقيادة الفونسو البوكيرك عام913هـ/1507م، حيث تم من خلالها إحراق السفن ومراكب الصيد، واحتلت

---

(1)- عمر عبدالعزيز عمر، التاريخ الأوروبي والأمريكي الحديث، دار المعرفة الجامعية، القاهرة1997، ص.84

(2)- للمزيد انظر: رولان موسنييه، مرجع سابق، ص.421

(3)-RONALD WATKINS , UNKNOWN SEAS-HOW VASCO D AGAMA OPENED THE EAST , P.193

(4)- المقصود بالفرتقال والفرنج: البرتغاليين

(5)- النهروالي، البرق اليماني في الفتح العثماني، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض، ص. 18

(6)- يوافق شهر مايو1506

(7)- بامخرمة، البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولي للسيطرة عليه-نصوص جديدة-مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني بامخرمة 1465/1540م كما سجلها في مخطوط قلادة النحر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة1980، ص. 99

قلهات وقريات ومسقط وصحار وصور، وأقام البرتغاليون عددا من الحصون لتوطيد نفوذهم في عمان، وقاموا بإرهاب العمانيين سـواء بالقتل أو التمثيل بهم بجدع الأنوف أو قطع الآذان وإحراق المدن. حيث إنهم اتبعوا سياسـة الأرض المحروقة[1]، مسـتغلين عدم قدرة العمانيين وأهل المنطقة بشكل عام على صدهم.

كمـا يذكـر ابن إياس أنه في سـنة 916هـ/ 1510م كانت بداية طلب النجـدات، وتوافد الرسـل من ملوك الهند وعلى أيديهم مثالات للسـلطان المملوكي قانصـوه الغوري، تتضـمن سـرعة تجهيز (تجريدة) حملة إلى جهات الهند بسـبب تعبث الفـرنج (البرتغاليين) هناك وتزايد أمرهم وطمعوا في أخذ البلاد[2].

لقـد حـاول أهل الخليـج التخلص من ذلك الاسـتعمار .عندما قاموا بعـدة ثورات ومنها ثـورة عامـة انطلقت وخطط لها من هرمز لتشـمل موانـئ الخليج وعمـان وفي توقيت واحد عام (1521م)[3]، ولكنها فشـلت بسبب ضـعف الإمكانيات والتسـلح نظرا لتفاوت القدرات بين الطرفين من حيث الأساطيل القوية الكبيـرة ذات الأسلحة النارية والمدافع. وغياب سلطة تدعم التوسـع وتخطط له. وجيش منظم ذي خبرة عسـكرية ويعتمد على تحصـينات منيعة ومجموعة من المتعاونين والبرغماتيين تساعد الاستعمار البرتغالي .

لقـد كان للاسـتعمار البرتغالي آثار مباشـرة بالنسـبة لتطور البلاد، حيـث خلق أزمات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، زادت من تدهور بنيات المجتمع العماني.

لقـد كان المجتمع عندئذ في حالة فوضـى بسـبب تشـتت السـلطة والحروب بـين القبائل والأمـراء المحليـين وسـيطرت القوى الخارجيـة على السـواحل العمانية،« وبقيـت عمان في اضطراب من الخوف والجور وما بقي فيها للعدل ذكر»[4].

لقد سـببت أوضاع المجتمع ردود أفعال من الخوف والشـعور بالظلم[5]، وخاصة من قبل

---

(1)- FREDERICK CHARLES DANVERS , THE PORTUGUESE IN INDIA, VOL 1, FRANK CASS& CO.LTD 1966 , P.160

(2)- ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج4 ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1984، ص. 182

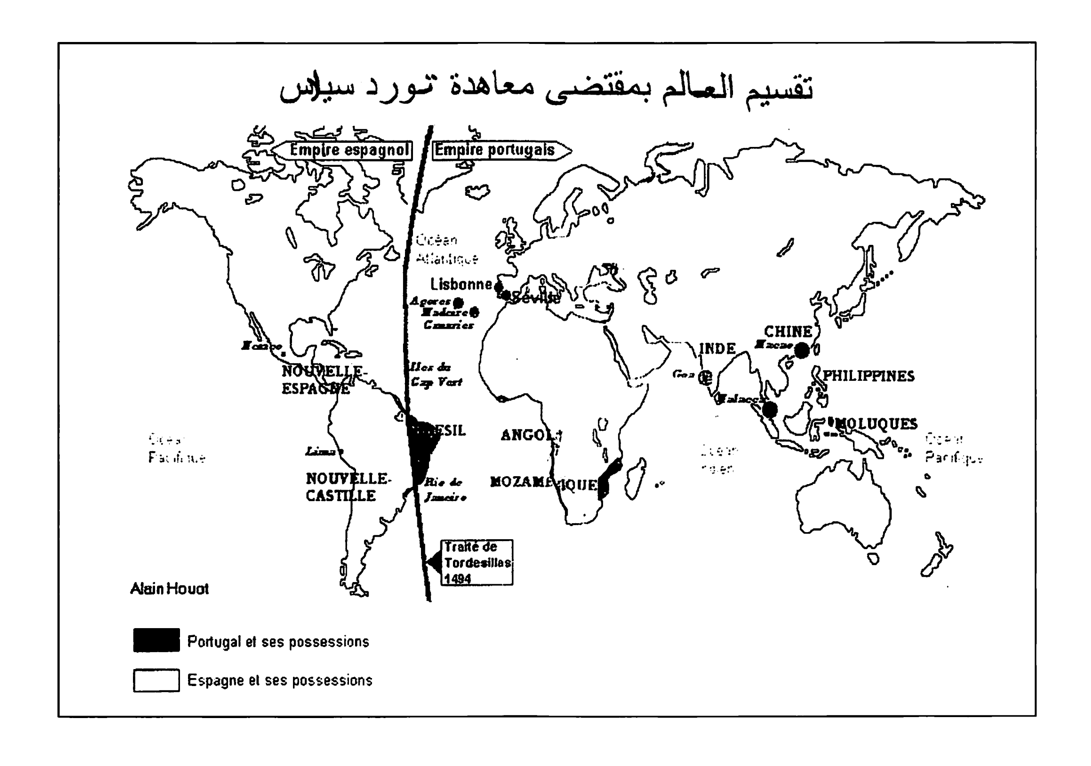
(3)- ADAMIYAT FEREYDOUN –BAHRAIN ISLANDS ,NEW YORK 1955, P.21

(4)- ابن رزيق ، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ، مصدر سابق، ص. 88

(5)- سالم بن محمد بن سالم الرواحي ، الدعوة الإسلامية في عمان في عهد اليعاربة 1034هـ/1133هـ، مطبعة الألوان الحديثة، 2003، ص.18

أنصـــار الدعوة الإباضــية والإمامة، فكان الصمت عن ذكر أخبار تلك الفترة التي لم يجد به العمانيون ما يشرف الأمة ليكتب ولا يعكس طموحهم ومتخيلهم بالنسبة للمجتمع والدولة.

ويمكن أن نشــبهه بذلك الشخص الذي يفضل الصمت والتكتم على الخوض في مناقشة حديث في موضــوع قد يزعجه أو يثير حفيظته وشــجونه ولا يتقبله، فنجد عدم تقبل المجتمع لواقع ســيطرة الأجنبي (النصارى) لأراضيهم الســاحلية والذي يعد أكبر انتكاسة وامتدادا لحالة الفوضــى والضــعف وانهيار الإمامة ككيان سياسي متماسك وقوي، وكذلك استمرارية لتدهور أوضاع العمانيين، لذلك أعرضوا عن تدوينه عمدا [1].



....

(1)- تذكر بعض الدراسات بأن الإمامة الإباضية نظرا لطبيعة تجمعها في داخلية عمان لم تشعر بالغزو البرتغالي، حيث لا يوجد ذكر للغزو البرتغالي في المصادر المحلية، والواقع أن هذا الأمر ربما يعتبر غير منطقي ضمن نطاق يعتمد على التواصل بين بعضه البعض في قضاء حاجياته، كما إن الإمدادات التي قدمت من مدن الداخلية لمساندة مدن الساحل أكبر دليل على ذلك التواصل والعلم بوصول بالاستعمار البرتغالي.

المبحث الثاني

النتائج السوسيو-ثقافية والسيكولوجية لاختلال المجتمع:

تولدت جراء تلك الأزمات أزمة وعي وضمير تجلت بوضوح في التفسير الذي أعطاه العمانيون لمشاكل عصرهم. والحقيقة أن تلك الأزمة عبارة عن امتداد وتراكمات للأوضاع الصعبة التي عاشتها البلاد قبل وصول البرتغاليين في القرن السادس عشر الميلادي، ولكنها أزدت بشكل حاد وعميق بمجيء البرتغاليين، واحتلالهم لثغور العمانية.

ويوضح ذلك التكتم والصمت الشديد عن الاحتلال البرتغالي في محاولة لتناسي الواقع المؤلم الذي تمر به الإمامة، بعكس ما يلاحظ عند ذكر باقي تداخلات وسيطرة القوى الأجنبية الأخرى على عمان [1].

فمن خلال المصادر، يتضح لنا تغيب البرتغاليين في المصادر العمانية. حيث وجب علينا انتظار ظهور الإمام ناصر بن مرشد وانتصاره عليهم، لتبرز كتابات حول التواجد البرتغالي في عمان «وفشا العدل في جميع أقطار عمان ونواحيها [...] ولم يبق إلا طائفة من النصارى متحصنين في سور مسقط وحصونها» [2].

والواضح أن مع بداية قوة وبروز الدعوة الإباضية وتغلبها على خصومها بصعود الإمام ناصر بن مرشد 1624، بدأ العمانيين يعبرون عن أحاسيسهم ومشاعرهم والتي تفصح عن أزمة وسوء الأحوال في تلك الفترة في عمان وعدم الرضا عن زمانهم وعصرهم وتفسيرها بطريقة كلاسيكية مرتبطة بالماضي وتمجيده واتخاذ منهج الوعظ والعبرة من السلف

---

(1)- القوى الأجنبية: المقصود بها القوي الخارجية التي خضعت لها عمان وهم: الأمويين و العباسيين والقرامطة والبهويين والفرس ومملكة هرمز.

(2)- الشقصي (خميس بن سعيد بن علي بن مسعود الرستاقي)، منهج الطالبين بلاغ الراغبين ج1. وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ص.637

الصــالح، واعتبار ما وقع عقاب إلهي لابتعادهم عن الكتاب والسـنة والتي تمثلها أيديولوجية الإمامة والدعوة الإباضية.

فمن خلال المصـادر يتضـح لنا بعض مظاهر الأزمة التي كان يعـاني منها العمانيون في تلك الفترة، والتي خلقت بعض المظاهر والنتائج سوسـيو-ثقافية، حتى وصول الإمام (ناصر ابن مرشد 1624) وظهوره بمظهر المنقذ للبلاد بإحيائه الإمامة الإباضية .

I- انتشار الخوف وعدم الأمان:

برزت ظاهرة الخوف في المصادر العمانية جراء الفتن والحروب، فلقد تعرضت سواحل العمانيــة ابتداء من سـنة 1507م إلى الاحتلال البرتغالي الـذي كان متفوقا عليه على جميع المستويات، حيث وجد البرتغاليون عالما بحريا لم تتغير مظاهره وإمكانياته منذ آلاف السنين، ويمتلك من الثروات الشيء الكثير.

لقـد قام الاسـتعمار البرتغالي بنهج سياسـة الأرض المحروقة وعمليات القتل والسـلب وتخويف السـكان وممارسات اتسمت بالوحشـية وعقلية حروب الاسترداد[1]. لفرض إرادته علـى مدن السـاحل العمانية وإجبار أهلها على الخضـوع له وإلزامهم بدفـع إتاوات[2] كانوا يفرضونها من قبل على احتكار تجارة الشرق.

بينمـا ظلـت المناطق الداخليـة تعاني الفرقـة والتطاحن بين رؤسـاء القبائـل حتى قال السالمي:« ولبث سيف بن محمد الهنائي في بهلى، وآل عمير في سمائل، ومالك بن أبي العرب اليعربـي في الرسـتاق، والجبور في الظاهر، والنصـارى في مسـكد وصـحار وجلفار وصـور وقريات، وخربت عمان بعد العدل والأمان»[3].

والملاحظ أن سـلطة البرتغاليين لم تشـمل المناطق الداخلية العمانية وهي الصفة العامة المميزة للاسـتعمار البرتغـالي، نظرا لإدراك البرتغاليين لمدى ارتفـاع كلفة تلك الإجراءات،

(1)- للمزيد انظر: أفونسو دلبوكيرك AFONSO DALBOQUERQUE ، مصدر سابق، ص.203-165

(2)- ابتدع البرتغاليين نظام الرخص الملاحية(الورقة) CARTAZ للسيطرة على تدفق السلع الشرقية عبر البحر الأحمر إلى موانئ البحر المتوسط ،وبالتالي مراقبة التجارة بالشرق وتوجيها إلى البرتغال،حيث اعتبرت الرخص الملاحي CARTAZ من أهم مصادر الدخل للخزانة الملكية.

(3)- السالمي، مصدر سابق ،ج1، ص. 400

التي سـوف تسـتنزف منهم جهـود طائلة ومنهكة تبعدهـم عن مراكز إمدادهـم إذا حاولوا السـيطرة على تلك المناطق. بالإضـافة إلى ضـرورة التذكير بقلة عدد سكان البرتغال الغير متناسب مع حجم إمبراطوريتهم، لذلك تم الاكتفاء بالسيطرة على الجانب الساحلي وتأمين الطرق التجارية البحرية.

لقـد أسـهم البرتغاليـون في بـث وزيادة عمق الانشـقاق بين مـدن الداخليـة عن طريق مساعدة ومساندة رؤساء القبائل المتنافسين على السلطة في المدن الداخلية، فتذكر المصادر أن أحد رؤساء القبائل المتخاصمين عمير بن حمير سنة1025هـ/1615م قام بطلب مساعدة البرتغاليين على خصومه[1]، وذلك للحصول على مكاسب سياسية.

كمـا أن البرتغاليـين قامـوا بخلـق بعضـ المتعاونين معهـم والأصـدقاء كما يذكـر ميلز Miles[2]، تعيين وال أو حاكم عربي للسـواحل العمانية تطلق عليه المصـادر البرتغالية اسم (الشـيخ راشـد)[3]، مما كان له أكـبر الأثر في تعميـق الخلافات بين ورؤسـاء القبائل وزع الفتنة، وبالتالي سـاهمت تلك الفرقة في مزيد من الانشقاق وعدم الالتحام في سبيل مقاومة المستعمر البرتغالي الذي كان يستغل ويخضع الساحل لسيطرته ونفوذه.

لقـد عانـى العمانيون من تلك الأزمة، وتفشـى عدم وجود الأمـان والخوف من الحروب وازديـاد التقاتـل والفتن في جميع أجزاء البلاد «ولو كانوا في شـواهق الجبال»[4]،فيذكر لنا الشقصـي مدى وعمق الفتنة والحروب وتأثيرها على المجتمع وذهنياته بقوله: «ولم يبق بدو ولا حضـر ،ولا أهل ماشـية ولا مدر، إلا وقد تجرعوا غصص المخاوف. وصار الدين والأنفس والأموال إلى أشـد التالف»[5]. ويشـير ابن رزيق إلي حالة الخوف جـراء تلك الفتن بقـوله: « وبقيت عمان في اضطراب من الخوف والجور وما بقي فيها للعدل ذكر»[6].

والواقع إن تلك مرحلة تعتبر مفصـلية ومأسـاوية في تاريخ الإمامة والعمانيين بحيث كثر فيها الفتن والحروب والقتل « وصار بعضهم على بعض كالذئاب»[7].

---

(1)- هما محمد بن جفير - محمد بن مهنا الهديفي

(2)- MILES , SOMUL B, THE COUNTRIES OF THE PERSIAN GULF, 2ND ED IN ONE VOLUME, LONDON,1966, P159

(3)- SOUSA,MANUEL DE FARIAY, THE HISTORY OF DISCOVERY AND CONQUEST OF INDIA, TRANS.BY JOHN STEVENS 2ND VOL.1 , W.GERMANY1971, P263

(4)- الشقصي، مصدر سابق ،ج1، ص.637

(5)- المصدر نفسه، ص.637

(6)- ابن رزيق، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، مصدر سابق، ص. 88

(7)- مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان، مصدر سابق، ص. 123

II- تفشي ظاهرة الانحلال الأخلاقي والديني:

من خلال المصادر، يظهر تفشي ظاهرة الانحلال الأخلاقي وانتشار الفساد بين المجتمع وضعف الوازع الديني في تلك الفترة، فيقول ابن قيصر " إذ واظبوا على معاطاة الخمو، وتواثبوا إلى المحرمات من الأمور، وتعاهدوا على سلوك سبل الغواية والفجور، وجاهدوا على الأخذ في الملاهي وآلات الزمور، وسلك أكثرهم مسالك الفساد. وسفك معاشرهم الدماء على العناد [...] وصاروا لم يقفوا من كتاب الله لوعظ آية إذا سمعوا آيات كتاب الله تزخرفوا وتفرقوا، وإن شاهدوا نغمات الرباب فرحوا وصفقوا» [1].

كما ابن رزيق يذكر انتشار الفواحش والاعتداء على الأموال والأنفاس حتى وصلت تلك الفواحش إلى الاعتداء في «المخدرات» [2]، وفي مناسبات أخر يبرر الوضع الشدائد التي مرت بأهل عمان بقوله: « لميلهم للهوى ومقتهم للهدى والعدل» [3].

كما أن ابن بطوطة كان شاهدا على الأزمة، ووقف على تفشي ظاهرة الفساد والانحطاط الأخلاقي والانحلال الذي كان يعاني منه المجتمع، فيذكر في معرض حديثه عن زيارته لعمان في عهد بني نبهان قصة حول هذا الموضوع فيقول» ونساؤهم يكثرن الفساد ولا غيرة عندهم، ولا إنكار لذلك [...] كنت يوما عند هذا السلطان أبي محمد بن نبهان، فأتته امرأة صغيرة السن حسنة الصورة بادية الوجه فوقفت بين يديه، فقالت له يا أبا محمد! طغى الشيطان في رأسي، فقال لها :اذهبي واطردي الشيطان، فقالت له:لا استطيع وأنا في جوارك يا أبا محمد .فقال لها:اذهبي فافعلي ما شئت، فذكر ليلا لما انصرفت عنه أن هذه ومن فعل مثل فعلها تكون في جوار السلطان وتذهب للفساد ولا يقدر أبوها ولا ذو قرابتها أن يغيروا عليها، وإن قتلوها قتلوا بها لأنها في جوار السلطان» [4].

---

(1)- ابن قيصر، سيرة الإمام ناصر بن مرشد، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ص.13

(2)- ابن رزيق، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، مصدر سابق، ص. 204(المخدرات: يقصد بها النساء المستورات ويعني بهن الحرائر من النساء).

(3)- المصدر نفسه، ص. 89

(4)- ابن بطوطة، مصدر سابق، ص. 137- 140

III- قلة العلم والعلماء:

تشــدد المصــادر في وصفها للأوضــاع الاجتماعية بتفشي وبروز المفاســد وضعف الوازع الدينــي وطغيان الانحطاط الأخلاقي من انتشــار المعازف واللهو، والذي كان امتدادا للازمة وانهيار الإمامة في مقابل بروز العصــبية والقبلية وسيطرة الأجنبي المستعمر، بحيث تم ربط الأزمة الأخلاقية والدينية التي كان يعاني منها المجتمع بتفشي ظاهرة أخرى ملازمه له وهي قلة واختفاء العلم والعلماء في عمان حيث «سقط ما بينهم كل مرتقي عالم» [1].

لقــد أضــحت البلاد تعــاني من نقص وقلة العلماء الإباضــية. والــذي كان نتيجة انهيار الإمامة وضعفها في مقابل سطوة المستعمر والجبابرة من رؤســاء القبائل، فيصف لنا السالمي عمــان تلك الفترة أيضــا بقولــه:« وعاثت فيها الجبابــرة وقل فيها العلم والخير، وانضــمت العلماء في بيوتها ولازمت سربها» [2].

يشــير ابن رزيق مــن جانبه لتلك الظاهــرة والمرحلة ويربطها أيضــا بالأزمة التي كانت تعــاني منها عمان، فيشــدد على انتشــار وازدياد مدعــي العلم والجهلة وقلــة العلم والعلماء الإباضية فيذكر لنا ذلك بقوله:« لما كثر الجهل من الفساق، واضمحل العلم وأهله من عمان على الإطلاق» [3].

وفي مناسبة أخرى أشار بقوله» [...] تفاقم واندراس العلم بعمان، فصار أهلها في هوان وتناهي، امتهان أعراضهم وأموالهم [...] لا ذائد لهم مجير ولا قائد لهم خفير ولا نابه يقوم بإصابة الصواب ولا عالم عيلم في المسألة والجواب» [4].

لقد أشــارت المصــادر ببروز تلك الظاهرة وشيوعها في المجتمع، والواقع أن تلك القلة بين صفوف العلماء الإباضية، ليست قلة عددية وكمية بقدر أنها قلة وضعف في الفاعلية والكيفية، بحيث تولد إحساســا لدى المجتمع بتلك القلة، فنجد أن العلماء الإباضــيين ضعفت سلطتهم كقوة اجتماعية فاعلة بالمجتمع، والواضح أن العلماء الإباضية تعرضوا للاضطهاد والتضييق

(1)- ابن قيصر ، مصدر سابق ، ص.13.

(2)- السالمي، مصدر سابق ،ج1، ص. 401-400

(3)- ابن رزيق ، الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، وزارة التراث والثقافة ،ط5 ، مسقط 2001 ، ص. 232-231

(4)- المصدر نفسه ، ص. 232-231

مــن قبل الجبابــرة مخافة إحياء فكرة الإمامــة بين مريديها حتى لازمــوا بيوتهم، ومع ذلك ظل أمر الدعوة الإباضــية وهاجس إحياء الإمامة مرة أخرى باقيا في مخيلتهم ويتم بالخفاء والكتمان، فيشير الأزكوي إلى تلك الحالة فيقول: « وآل العلم والعلماء إلى النقصان والأخر إلى النسيان وحصل بينهم التواصل والتراسل، وطفيت بينهم تلك الإحن من القلوب » [1].

كما تروي لنا المصــادر قصــة عن شــيوع تلك الظاهرة في المجتمع، بحيث يذكر أن أمير مــن اليعاربة في منطقة وبل من الرســتاق، وهم من رؤســاء القبائل الذين كانوا يتقاســمون السلطة في عمان قبل إحياء الإمامة الإباضية بزعامة ناصر بن مرشد . قد احتاج إلى قاض فلم يجد قاضــيا إباضــيا من أهل الوفاق مع الســلطة، لذلك لجأ إلى خدمات قاض من أهل الخــلاف[2]، حتى ذكر فيه السـالمي بقوله: « فهم أن يضل الناس ويزلهم عن بصيرتهم» [3] ويغير مذهبهم، فسمع به أهل عمان فأرسلوا شكواهم إلى ذلك الملك من الجبابرة فعزله، ثم أرسل إلى أهل (وبل) عالما من أهل الدعوة الإباضية، ويذكر الأزكوي بأن لهذا العمل اثر كبير فيقول:« فتعلم منه العلم ناس من أهل الرستاق وتمسكوا بمذهبهـم» [4].

إن نقصــ وقلة العلم يجرنا أيضــا إلى النظرية الخلدونية حــول ارتباط العلم بالعمران، فنقص العمران يجر إليه كما وضح وبين صاحب المقدمة إلى نقص في العلم فيقول: «كسدت لهذا العهد أسواق العلم بالمغرب، لتناقص العمران فيه. وانقطاع سند العلم والتعليم» [5] .

والواقع أن تلك الأوضاع التي تمر بها البلاد والجبابرة الخائفين على سلطتهم من إحياء وبث الدعوة الإباضــية وفكرة الإمامة مرة أخرى، كل ذلك لم يســاعد على خلق مناخ وحركة فكرية نشطة مبدعة ومنتجة ونامية تسمح بالتفكير في العلم وأهله.

IV- أزمة قيام الساعة والمنقذ:

استثارت حدة الأزمة موجة من ردود الأفعال وشكلت صـدمة ورجة نفسية لدي العمانيين، لاعتقادهم بأن تلك الأزمات والمشاكل التي تعاني منها البلاد نذر وعلامات لقرب الساعة.

....

(1)- الازكوي ، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة-،ج2 ، دار البارودي ، ص. 945

(2)- أهل الخلاف : هم أصحاب المذاهب الأخرى المخالفة للمذهب الإباضي.

(3)- السالمي، مصدر سابق ،ج1، ص. 400

(4)- المصدر نفسه، ص. 945

(5)- ابن خلدون ، المقدمة ، مصدر سابق ، ص. 526

والواقع أن ارتباط قرب الساعة بالأزمات هي من المواضيع الكلاسيكية في ثقافات الأديان السماوية والإسلامية بشكل خاص . فكلما إزدات واشتدت الأزمات والمشاكل لدي المؤمنين مع انتشار الانحلال الأخلاقي والديني في مقابل ضعف المجتمع عن إيجاد حلول لتلك المشاكل ومواجهتها. كلما زاد الشعور بقرب الساعة وبقرب وصول المنقذ المخلص الذي سوف يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا .

فمع بداية القرن السادس عشر الميلادي ودخول وسيطرة المستعمر البرتغالي كأول استعمار أوربي نصراني لسواحل للخليج بآلياته وأفعاله الوحشية وأساليبه التجارية الغريبة وإخضاعه لبلاد المسلمين[1]، وسيطرة الجبابرة من الأمراء المحليين ورؤساء القبائل على باقي بلاد عمان. مع انتشار الفساد والمناكر، والفتن والحروب والاقتتال. ومظاهر الخوف والانحطاط الديني والأخلاقي، وضعف الدعوة الإباضية. وانهيار أيديولوجية ومفهوم الإمامة في المجتمع، كل ذلك شكل نكسة في منظور مجتمع الإمامة، فتكالب واشتداد الأزمات وضعف قدرة العمانيين على رد تلك المشاكل ومواجهتها أدي إلى الاعتقاد لديهم بقرب الساعة.

فيذكر لنا السالمي قصة وقعت في الرستاق لها أكثر من دلالة فيقول:« ويوجد أنهم استطولوا ليلة من الليالي، فظنوا ذلك بدء الساعة، كلما قاموا وصلوا ما شاء الله، ورقدوا ما شاء الله. وقاموا وصلوا ما شاء الله. وجدوا الليل على حاله، فقال لهم الشيخ صالح بن سعيد الزاملي: انظروا إلى البهائم إن كانت تجتر فليست هذه ليلة الساعة. وان كانت تجتر فإنها ليلة الساعة، وبقيت عمان كذلك حتى أظهر الله الإمام الأرشد والهمام الأمجد إمام المسلمين ناصر بن مرشد»[2].

والواضح أن ربط قرب الساعة بالإمام ناصر بن مرشد كان تعبيرا عن عمق الأزمة التي يمر بها المجتمع. وأن الإمام جاء بمثابة المنقذ المنتظر الذي سوف يخلص البلاد من تلك الأوضاع التي تمر بها . بحمله راية الدعوة الإباضية وتبنيه مفهوم الإمامة. فكما يقول الأستاذ الجابري : «لقد كانت الأنظار دوما تبحث عن منقذ . فأصبحت فكرة المهدي المنتظر ليست خاصة بالشيعة فقط، بل إنها كانت أمل المسلمين جميعا في هذا العهد والعهود المماثلة»[3].

(1)- PESCE ANGELO-JIDDAH: PORTRAIT OF AN ARABIAN CITY-ITALY, FALCON, 1974-P.75

(2)- السالمي، مصدر سابق ،ج1، ص. 401

(3)- محمد عابد الجابري ، مرجع سابق ، ص 37-36

المبحث الثالث

انهيار النفوذ البرتغالي في الخليج:

تمكن البرتغال أن يبني في وقت قصير نسبيا إمبراطورية مترامية الأطراف مما يثير الإعجاب والدهشة على حد سواء، والواقع أن هذه الإمبراطورية البرتغالية، مختلفة عما عهد من الإمبراطوريات الكلاسيكية، لأنها لا تقوم على مبدأ إخضاع المجال بأكمله، إنما تكتفي بالاحتلال والتحكم بنقاط ساحلية إستراتجية معينة ابتداء من لشبونة وانتهاء بالهند، وذلك حرصا على تأمين تدفق ثروات الشرق والعبيد إلى لشبونة. بالإضافة إلى استخدامها لإمداد وتموين القوات البرتغالية المتمركزة على السواحل.

والجدير بالذكر أن السياسة التي اتخذها البرتغال لبناء إمبراطورتها اتسمت بالمنطقية العقلانية، تأخذ بعين الاعتبار الإمكانيات المادية والبشرية المحدودة للبرتغال، والتي حاولت دائما المحافظة على تفوقها لأكثر من قرنين من الزمان، ولكن تقلبات الأوضاع في شبة الجزيرة الأيبيرية وموازين القوى الدولية، رسم وعجل في نهاية الحلم البرتغالي وأفول إمبراطوريتها.

لقد فشلت البرتغال في المحافظة على المرتكزات والمكتسبات التي جعلت منها إمبراطورية وقوة عظمى، نظرا إلى عدة عوامل منها داخلية وأخرى خارجية مرتبطة بتغيير خريطة القوى الفاعلة في القارة الأوربية، وتوالي ثورات الشعوب ضد السياسات البرتغالية ومؤسستها (الاستادوا إنديا Esta-doa-Endia) التي أصبحت مثالا لتوزيع العنف المنظم مقابل رسوم الحماية عن طريق (الرخص الملاحية أو الورقة Cartaz)، وبالتالي لم يكن البرتغاليون سوى محتكرين لثروات الشرق وجامعي ضرائب، وإجمالا يمكن تحديد عدد من الأسباب التي أسهمت في انهيار النفوذ البرتغالي في الخليج (العربي/الفارسي):

I - اندماج التاج البرتغالي-للاسباني:

كانت هزيمة البرتغال على يد الدولة السعدية بالمغرب في معركة وادي المخازن (986هـ/1578م) ومقتل ملكها دون سباستيان Don Sebastian[1]، نقطة تحول بارزة، شكل منعطفا لفقدان وتخلخل الأوضاع الداخلية والمالية في البرتغال[2]، وترتب عنه فراغ سياسي واضطرابات وخاصة بعد وفاة الكاردنال العجوز هنري Henryالذي بويع بالحكم بعد وصول خبر مقتل الملك سباستيان .

وقد فقدت من خلاله البرتغال استقلالها ككيان سياسي بعد أن تمكن الجيش الاسباني من سحق المقاومة البرتغالية الضعيفة، ليتم ضمها إلى التاج الملكي الأسباني (1580م) بقيادة فيليب الثاني Philip II، وظلت كذلك حتى حصلت على استقلالها عام(1640) تحت قيادة أسرة براغزا [3].

لقد كان لأصداء تلك المعركة ونتائجها بالغ الأثر ،حيث أسهمت في إضعاف البرتغال ودخوله في حالة من الضعف والتفكك والفساد والرشوة في إدارته والصراعات الداخلية على السلطة، والذي أفضى إلى اندماج التاج البرتغالي بالتاج الأسباني1580، وظهور بوادر عصيان مسلح وحرب أهلية ضد التسلط الأسباني على البرتغال[4].

لقد أضعفت الإدارة الاستعمارية في الهند وهرمز ومسقط ماديا ومعنويا نتيجة فقدان الدعم والاهتمام من وطنها الأم، وتشتت جهودها، برغم أن الملك فيليب الثاني قد أقسم بعد انضمام البرتغال للتاج الأسباني على أن يحافظ على المستعمرات البرتغالية في العالم، وأن يحافظ على تجارة الهند والقواعد البرتغالية الموجودة فيها وفي هرمز والسواحل العربية في الخليج العربي[5]. وبرغم أن البرتغال حصلت على استقلالها في عام1640 ولكن كان الوقت قد مضى على أن ترتب نفسها ومستعمراتها، بحيث دخلت قوى أوربية جديدة زاحمت البرتغال على ثروات الشرق.

---

(1)- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ج2، دار الرشاد الحديثة2000، دار البيضاء ،ص. 260-258

(2)- أحمد بوشرب ، وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه ، دار الأمان، ط1، الرباط 1997،ص.124

(3)- محمد حسن العيدروس ، سقوط الحكم البرتغالي في الخليج، دار المتنبي للطباعة والنشر، ط1، أبوظبي، ص.31

كذلك انظر: نور الدين حاطوم، تاريخ القرن17 في أوربه ، دار الفكر ، دمشق1986، ص.362-361

(4)- فالح حنظل، العرب والبرتغال في التاريخ ، المجمع الثقافي، ط1، أبوظبي1997، ص. 509

(5)- فالح حنظل، المرجع نفسه ، ص. 481

II - الثورة الصناعية وصعود انكلترا كقوة عالمية:

جاء دخول الإنكليز كقوة فاعلة في موازين القوى العالمية متأخر. فعندما كانت دول غرب أوربا تجوب البحار ويجنون الثروات، كان الإنكليز منكمشين على أنفسهم في جزيرتهم يعيشون على الزراعة والرعي.

وحتى عهد الملكة إليزابيث كان البحارة الإنكليز لا يغامرون إلى أبعد من البحر الأبيض المتوسط، ولكن بعد تغلبهم في معركة الأرمادا البحرية على الأسبان1588، بدأوا يشعرون بالتفوق ونهضوا من سباتهم بسرعة مذهلة[1] يبتكرون الوسائل للحلول محل البرتغاليين في المحيط الهندي[2].

فمع نهايات القرن السادس عشر، أضحت الصناعة الركيزة الأساسية في العجلة الاقتصادية، وإيذانا لبداية الثورة الصناعية في إنكلترا، مما جعلها تتجه باستثماراتها واقتصادها باتجاه التجارة والصناعة.

انتشرت الصناعات الكبرى بالقرب من المناجم، وازدهر الاقتصاد وتبدلت قواعد توزيع الثروات في المجتمع، وتراكمت الأرباح والأموال وازدهرت الصناعات الثقيلة، مع ازدياد نفوذ الطبقة البرجوازية الصناعية (الرأسمالية) في الدولة والمجتمع.

إلى أن جاء القرن السابع عشر وبدأ يطفو على السطح الوجه الآخر للتغير البنيوي في الاقتصاد الإنكليزي[3]، حيث ارتفعت البطالة وارتفعت أسعار الحبوب، وانبرى شح الموارد عند المزارعين جراء القحط الدوري للمواسم، مما أدى إلى تضخم الإنتاج الصناعي في مقابل ضعف القدرة الاستيعابية للسوق المحلي.

لقد دعت تلك الأمور طبقة البرجوازية الصناعية (الرأسمالية) إلى التفكير بالحاجة الملحة والسريعة إلى تصريف منتجاتهم إلى الأسواق الخارجية وإلى تحقيق المزيد من تراكم رأسمال وتسريع عجلة الازدهار الصناعي، وذلك بإشراك الحكومة كشريك فعال في

....

(1)- محمد عدنان مراد، صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي، دار دمشق للطباعة والنشر1983، ص. 159

(2)- أرنولد ت ويلسون ARNOLD.T. WILSON، تاريخ الخليج، وزارة التراث القومي والثقافة1981، مسقط، ص. 95

(3)- فوزية الجيب، تاريخ النفوذ البرتغالي في البحرين، المؤسسة العربي للدراسات والنشر بالتعاون مع مملكة البحرين وزارة الأعلام الثقافة والتراث الوطني، ط1، 2003، ص.219

تلك المشـــاريع الكبرى ،وبداية عهد الاهتمام بالشــرق[1]، والذي ســوف يخلق فيما بعد ولادة شركة الهند الشرقية 1600م(East India Company)، وبداية عهد التقارب الإنكليزي-الإيراني على حســاب كل مــن الأتراك العثمانيــين والبرتغاليين في منطقــة الخليج[2]، مما أســفر عن حلف (أنجلو- فارســي) ضــد البرتغاليين[3]. والذي كانت تبعاته ســقوط هرمز 1622 فكما يقول روي فيريرا أندرادي « لقد كان ســقوط هرمز بالنســبة لنا غروب شــمس البرتغاليين »[4].

III - بروز روح المنافسة ومحاولة كسر الاحتكار:

انبهــر الأوربيــون بحجم الأرباح والثروات البرتغالية والاســبانية التــي جنتها من تجارة الشرق، فالإنكليز من خلال التقارير المتواترة التي تضخم مدى اتساع وعظمة ثروات الشرق، ومنهــا عندما اطلع الإنكليز عــن طريق المدعو دريك Drake 1578 على أرشــيف التجارة البرتغالية، عندما ســطا على الســفينة (فيليب)، حيث كشــفت تلك الصــفحات عن الأرباح الطائلة والأسطورية التي كان يجنيها البرتغاليون، بالإضافة إلى تقرير المستر فيتش Fitch الــذي غادر إنكلــترا (1581م) وجمع معلومات قيمة حول هذا الموضــوع، وغيرها الكثير من التقرير التي أشعلت الحماسة والرغبة في نفوس الإنكليز[5].

وهكذا جعلت تلك المعلومات بعض الدول الأوربية تفكر في دخول في سباق الثروة والسيطرة فيما وراء البحار، بطريقة مباشــرة، وذلك بكســر احتكار الوســاطة الأســبانية والبرتغالية للتبادل التجاري والمعادن الثمينة.

---

(1)- ابتداء ظهور الإنكليز في مياه الخليج بعد دراسة متأنية لخريطة القوى الفاعلة فيه والشرق على العموم، فبدأت بالبعثات الدبلوماسية، عندما أرسلت الملكة إليزابيث(ELIZABETH) مبعوثا إلى الشاة عباس الصفوي يحمل رسالة ودية لرغبة الملكة في إقامة علاقات تجارية مع الفرس، وكذلك أرسلت بعثات أخري للشاة الصفوي أهمها بعثة (شيرلي SHIRLEY 1598م.

(2)- حامد عبدالله ربيع، « النظام الدولي الإقليمي في منطقة الخليج العربي خلال فترة الاستعمار البرتغالي »، ضمن كتاب (الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق إفريقيا)،سلسلة الندوات التاريخية (1)- ندوة رأس الخيمة التاريخية الأولي اغسطس1987، مركز الدراسات والوثائق، رأس الخيمة، ص.65

(3)- عبيد طويرش، الصراع حول مضيق هرمز ، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات،ط1، 1990 ،ص.54

(4)- يوم سقطت هرمز (مذاكرات القائد البحري روى فيريرا اندرادى)، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، البحرين، ص. 9

(5)- للمزيد انظر: قدري قلعجي، الخليج العربي بحر الأساطير، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط3، 1995 ، ص. 377

كانت أسبانيا في أواخر القرن السادس عشر أكبر مركز لاستيراد الذهب والفضة من أمريكا وازداد ثراؤها جراء ذلك، أما البرتغال فكانت من أكبر محتكري تجارة التوابل، مما شجع الأوربيين على التوجه نحو المغامرة والاستثمار وكسر الاحتكار، وخاصة مع اتخاذ الأسبان إجراءات منع خروج الذهب والفضة من بلادهم في سياسة دعيت بالسياسة المعدنية أو التجارية وذلك بعد هزيمتهم في معركة الارمادا 1588.

كانت سياسة التوسع التجاري والاحتكار بالنسبة للبرتغال والأسبان محركا لرفاهيتها الاقتصادية ولتكدس الثروة فيها، مما حذا بها نحو إقامة الحفلات وتبذير البلاط والرفاهية وبناء القصور، ولم يتم الاستفادة من تلك لثروات في التنمية الصناعية والزراعية بعكس الدول الأوربية الأخرى الانكليزية والهولندية والفرنسية، التي اتخذت سياسة الشركات الاحتكارية(شركات الهند الشرقية) التي ترعاها الدولة وتفرض وجودها في مناطق نفوذ البرتغالية[1]عن طريق التفاوض والمعاهدات أو التدخل العسكري إذا اقتضي الأمر.

IV - توالي الثورات العربية:

إن استخدام البرتغال سياسة العنف والقوة العسكرية والتعصب الديني لفرض سيطرتهم على المناطق الخاضعة لها، بالإضافة إلى ما يشكله الساحل والبحر بالنسبة لسكان تلك المناطق كمصدر للعيش والاقتصاد التقليدي، جعل البرتغال عرضه لسخط وثورات شعوب تلك المنطقة ضد وجودها العسكري، وتحين الفرصة للانقضاض على البرتغاليين والتحرر منهم، والتي بدأت منذ مجيء البرتغاليين ابتداء من عام (1515)[2].

استمرت وتيرة تلك الثورات في أوقات متفاوتة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلادي حتى ظهور الإمامة الإباضية اليعربية بزعامة ناصر بن مرشد اليعربي1624، حيث استطاعت دولة اليعاربة تحرير ثغور عمان وتوحيد البلاد وملاحقة القوات البرتغالية فيما وراء البحار وطردهم، بحيث يعترف البرتغاليون بأن سقوط مسقط 1650 كان انهيارا تاما للوجود البرتغالي في الخليج العربي، بل نهاية قصة البرتغال كدولة وإمبراطورية عالمية

....

(1)- فالح حنظل، مرجع سابق، ص. 513

(2)- محمد حسن العيدروس، مرجع سابق، ص.23

مستعمره منذ ذلك التاريخ[1].

لقد كانت تلك الثورات بالإضافة إلى الصراع العثماني- البرتغالي، سببا في أن تستنزف جهود وإمكانيات البرتغاليين وذلك عن طريق تعزيز الحاميات والإكثار من السفن ورفع أعداد الموظفين[2]. على الرغم من قلة العنصر البشري للبرتغال وصغر مساحتها مقارنة بالمساحة الشاسعة لإمبراطوريتها ونقاط تحكمها التجارية[3]. وأيضا في مقابل صعود قوى أوربية جديدة على الساحة العالمية طامحة للعب ادوار في معادلة الثروة والتوسع نحو ثروات الشرق، وبأساليب وعقلية تجارية–سياسية نفعية بحتة.

....

(1)- فالح حنظل، مرجع سابق، ص. 520-518

(2)- أحمد بوشرب ، مغاربة في البرتغال خلال القرن 16، مرجع سابق، ص.95

(3)- يذكر الأستاذ (أحمد بو شرب) أن عدد سكان البرتغال لم يتجاوز خلال العقد الثاني من(القرن 15) مليون نسمة.

الفصل الثالث

الإمامة الإباضية

وميلاد دولة اليعاربة

المبحث الأول

الإباضية: النشأة وأيديولوجية الإمامة

يمكننا أن نتصور في عمان عالم تتشكل فيه الحياة الجماعية على وقع الدين والقبيلة، بحيث شكلا الذاكرة الجماعية للمجتمع، باعتبار الإمامة والدعوة الإباضية إرث أيديولوجيا تبنته عمان ذات التركيبة القبلية منذ أولى محاولاتها الرامية إلى الإنسلاخ عن السلطة المركزية للخلافة الإسلامية، كما تميز محيطها القبلي بتبنيه أيديولوجية ومفهوم الإمامة القائم على عدم الاعتداد بالنسب الشريف أو العصبية القبلية في اختيار الإمام، وذلك عن طريق اختيار إمام ذو مؤهلات وشروط خاصة، وعن طريق الشورى من طرف (أهل الحل والعقد)، وبالتالي بناء مجتمع تسوده ديمقراطية الحكم ومفاهيم الدعوة الإباضية.

ولكن علينا في البداية أن نفسر الكيفية التي تم من خلالها جمع المذهب الإباضي بين الرابطة الدينية والقوة السياسية، ثم المواجهة والمطالبة والسعي وراء السلطة، ومن ثم تأسيس الملك والدولة؟

I - الدعوة الإباضية: بوادر التكوين والانفجار:

قامت الدعوة الإباضية كبديل رافض للأمر الواقع المترتب عن الأحداث المأسوية التي عرفتها دولة الخلافة والخلاف بين المسلمين حول مسألة الخلافة، والتي تشير إليها الأدبيات الكلاسيكية بالفتنة الكبرى[1]. فكان من تبعاتها التكوينية قضية النزاع والتحكيم بين الإمام

(1)- الواقع أن مصطلح الفتنة الكبرى ما هو إلا تعبير اختزالي، لمجموعة من الفتن وجملة من الصراعات المجتمعة السياسية والحربية والأيديولوجية والنفسية والدبلوماسية، ومجموعة من تراكمات الأحداث في مسلسل طويل من الفتن والأحداث، منذ مقتل الخليفة عثمان بن عفان وانتهاء بمقتل الإمام علي بن أبي طالب، واستيلاء معاوية بن أبي سفيان على السلطة والخلافة.

علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ومعاوية بن أبي سفيان في حوالي سنة (37هـ/657م).

لقد تمخض عن معركة النهروان، بروز فرقة المحكمة أو الخوارج أو الشـراة أو أهل الحق كما سموا به أنفسهم وبرنامجها (لا حكم إلا لله).

وبما أن نواة ومؤسسـي الحركة من معظمهم من قراء القرآن(القراء) الذين انفصـلوا عن علي بن أبي طالب، وكان رأيهم بأن قضية الخلافة تحدد مصير الأمة التي يجب أن تكون بيد الله وحده حسـب النص القرآني وبمرجعية القرآن دون غيرها، وذلك من خلال رؤيتهم كقراء ومفسرين للقرآن.

والحقيقـة أنـه يمكننا القول بأنهم كان لهم قراءة معينة للقرآن والإسـلام بشـكل عام، بحيـث تم ترجمـة تلك القناعات بشـكل عملـي، من خلال تبنـي مواقف مختلفة في قضـية التحكيم والخلافة والسلطة.

فبعد وفاة النبي محمد صـلي الله عليه وسـلم انقطع الوحي القرآني، وكان على المؤمنين بعـده أن يقتفوا أثر تعاليمه[1]، ليصـبح القـرآن المرجعية الدينية والملاذ للأمة الإسـلامية لتسـير أمور دينهم ودنياهـم، بحيث تم تغلغله في البنى الفكرية الدينية والحركة السياسـية كمرجعية تتخطي القبيلة والدولة على حد سواء وأداة فاعلة في الأمة الإسلامية .

لقد ذهب الخوارج أو المحكمة إلى أن السـلطة مؤسسـة ضـرورية، ولكن بشـرط أن تكون مفتوحـة أمـام كل رجل ورع وقـادر، وأن تكون مشـروطة بالتعهد باحترام القـرآن بدقة[2]، وبالتالي فالإمامة لديهم ليست حكرا على آل البيت أو القرشية والعصبية.

والواقع أن أصل الخلاف ونواة أيديولوجية الخوارج وأسس رفضهم لمبادئ وأسس اختيار الإمـام، ترجع جذورها التاريخية إلى فترة سـابقة لقضـية الخلاف بـين الإمام علي بن أبى طالـب ومعاوية بن أبي سـفيان، فأثناء حكـم الإمام عثمان بـن عفان(23هـ/644م) برزت تراكمات أدت إلى انفجار الكوفة سنة(33هـ/653م) وظهور شعور عام معارض ضد الهيمنة القرشية وخاصة من قبل القراء، والتي أججتها بعض قرارات الإمام عثمان بن عفان وبعض القرشيين المقربين منه.

---

(1)- هشام جعيط، الفتنة، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 5، بيروت 2005 ،ص.258.

(2)- توماس ارنولد، الخلافة، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ص.124

لقد بدأوا يشعرون أن دولة عثمان القائمة على التضامن الأموي ، لم تعد سوي دولة قرشية (أي دولـة قبيلـة) ، فـرأوا في ذلك زيغـا أدى إلى هيمنة عصـبية قبليـة قريش على حسـاب المبادئ الإسلامية أو على الأقل على هيمنة قبيلة قريش على القبائل الأخرى، وأخذوا يشككون في شرعية خلافة عثمان[1]. حيث عارض القراء ذلك المبدأ بشدة ورأوا أنه ليس للقرشية مزيد فضل عليهم لتستحوذ على كل تلك الميزات والثروات جراء الفتح الذي هم بأنفسهم شاركوا فيه.

ومـع مـرور الوقت ازدادت وتـيرة الأمور قوة وحدة، خاصـة بعد مقتل الإمـام عثمان بن عفان بطريقة تراجيدية ومأسـوية بشعة. وصولا إلى ظهور بوادر صريحات وأصوات وجهات تنادي وتشـكك في شـرعية السـلطة والخلافة. والذي تسبب في صـراع دموي انتهى بقضية التحكيم وخلاف الخوارج مع الإمام علي ابن أبي طالب، وأخيرا معركة النهروان التي كانت المرحلة الحاسـمة في حركـة الخوارج لتأخذ طابعها الثائر على السـلطة على الدوام، وتغذي أيديولوجيتهـم وقناعتهـم وتزيدهم ثباتا ورؤية تؤسـس لقناعتهم وعدالة قضـيتهم بكونهم يمثلون أهل الحق.

أدت كل تلـك الأحـداث إلى تراكمات ومواقف واضـحة وجلية حول أسـس الإمامة، التي ترفض مبدأ القرشية والنسب الشريف في اختيار الإمام. لتتجاوز الشخص إلى مفهوم أعمق وأشـمل يقوم على أسس العلم والتقوى والقوة والالتزام بمبدأ الشورى والإجماع والتعاقد من خـلال العلماء (أهـل الحل والعقد) اسـتنادا إلى الآية القرآنية الكريمـة **﴿وأمرهم شورى بينهم﴾**[2].

والواقع أنه ترسخت لديهم قناعات ترفض الانصياع بشكل قاطع لأي طاعة عمياء للإمام مهما كان تاريخه وسـيرته وامتيازاته. حيث كانوا يرفضـون أي سـلطة لا تقبل أن تكون تحت طائلة المحاسـبة ولا تجسـد معني الحق، ذلك المعني الذي التصـق في مخيلتهم منذ أحداث الفتنة الكبرى.

هكذا تكون الخوارج أو المحكمة في أول أمر كجماعة إسـلامية وحركة إصـلاحية سياسية ثوريـة ذات قناعات دينية تري في نفسـها الممثـل الحقيقي للأمة الإسـلامية، والعدو اللدود للمدينـة الإسـلامية وللسـلطة على حـد سـواء[3]، وبتوالي الزمان انشـقت وانقسـمت تلك

(1)- للمزيد انظر : هشام جعيط ،مرجع سابق ، ص. 106-105

(2)- سورة الشورى ، الآية رقم: 38

(3)- هشام جعيط ، مرجع سابق ، ص.267

الجماعة إلى عدة جماعات وصل عددها إلى ثماني فرق كبري[1] أهمها الازارقة والنجدات والصفرية وأهل الدعوة أو الشراة والذين عرفوا فيما بعد بالإباضية نسبة إلى أحد أعظم أتباعها عبدالله بن إباض (المتوفى86هـ/ 704م) [2].

والواضح أن الدعوة الإباضية نشأت في وسط الثورة والهياج الأيديولوجي حول شرعية السلطة والخلافة وأسسها، وتولدت نتيجة صراع أيديولوجي ديني- سياسي وبطريقة مأسوية وجنونية نتيجة الفتنة الكبرى، والتي تمخضت عنها فرق دينية ذات مرجعيات وأيديولوجيات مختلفة، كلها تدعي الانتماء للصيغة الحقيقية للإسلام، والتي كرست الفرقة والشتات وعائقا أمام تحقيق وحدة الموقف والأمة.

II - الإمامة في الفكر الإباضي:

إن الدعوة الإباضية مذهب ديني امتزج بالمؤثرات السياسية منذ بداية نشأته. وولد بشكل مأساوي وثوري بحيث شكل الدين-السياسة وجهان لعملة واحد. وبعبارة أخرى أن الديني والسياسي ممتزجان مع بعضهما البعض.

لقد شكل الخوارج أول حزب سياسي/ديني في الإسلام، إلا أنه مع مرور الوقت تطورت الدعوة الإباضية وصيغت أسسها العقائدية والفكرية والتنظيمية لتكتسب وتتحول إلى مذهب فقهي مستقل كغيره من المذاهب الإسلامية. عموده الأساسي وعصبه مفهوم وأيديولوجية الإمامة الباحثة والمدفوعة بدوافع أيديولوجية نحو السلطة وإنشاء دولة الإسلام الحقيقية. فامتلأت الأدبيات وكتب السير والفقه والتاريخ (الاستطوغرافية الإباضية) بذلك الموضوع حتى أصبحت الإمامة عمود مبادئها، وهو ما عبر عنه المصطلح الإباضي بكونها الرئاسة العامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم. فيقول أبو المؤثر «الإمامة من الدين» [3] .

....

(1)- مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، ط2، ص.125

(2)- يعتبر المذهب الإباضي من أكثر فرق الخوارج اعتدالا والبعد عن الغلو، وتشابه مع مذاهب السنة والجماعة، فهم لا يحللون دم وأموال أصحاب المذهب المخالفة لهم، كما أنهم يرفضون بشده نعتهم بالخوارج، ويعتبرون أنفسهم حركة مستقلة عنهم.

(3)- السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، مصدر سابق ،ج1، ص. 41

1 - صفات ومؤهلات الإمام:

يتـم اختيـار الإمام بغض النظر عن نسـبه أو عصـبيته، عن طريق الشـورى ومصـادقة وموافقـة أهل الحل والعقد، وبطريقـة الإجماع والتعاقد الرافض لمبدأ توارث السـلطة الذي قامت عليه دولة بني أمية.

يقول أبو المؤثر في موضـوع طريقة وآلية اختيار الإمام والشـروط الواجب توفرها « وإذا ظهر المسـلمون اجتمع في الأرضـ فقهاءهم ذوي الرأي وأهل الفضـل منهم واجتهدوا لله في النصـيحة واختاروا رجلا لطاعة الله لا لطاعتهم [...] ثم يختارون لله أفقهم، وأقواهم على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعلى الحكم بالعدل وعلى محاربة العدو والذب عن الحريم وعلى جباية مال الله من حله وإنفاقه في أهله»[1].

ونلاحـظ أن الشـروط لا تولي أدنى أهمية للون أو جنس الإمـام، وهو وما يؤكده أبو المؤثر بتشـدده على الصـفات العملية والفعلية لتنصـيب الإمام، والتي من أهمها (القوة – العلم- التقـوى)[2]، فكمـا يقول أبو المؤثـر:« والإمام لا يكون ضـعيفا ولا مداهنا، وإذا ضـعف عن إعطاء الحقوق وتنفيذ الأحكام، فقد زالت إمامته. وان داهن فقد كفر»[3].

2 - موانع ومبطلات الإمامة:

أما عن موانع الإمامة، فالإباضـية لا تقبل إمامة العبد و ترفض أصـلا انتخابه للمنصب انطلاقا من «مبدأ من لا يملك حريته فكيف يستطيع أن يحكم الآخرين»[4]

كما ترفض كذلك إمامة ولد الزنا وإمامة القاصر«إمامة الصبي لا تجوز على كل حال لأن إمامته لا تجوز في الصلاة. فكيف يكون إماما يتولى الإحكام من لا يملك أمره»[5].

والواقـع أن الدعوة الدينية بشـكل عام، كانت تـدرك بأن تولية العبد وابـن الزنا والابن

(1)- المصدر نفسه، ص. 77

(2)- سالم بن حمود بن شامس السيابي، الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، ص.22.

(3)- المصدر نفسه، ص. 41

(4)- حسين غباش، مرجع سابق، ص.75.

(5)- الازكوي (سرحان بن سعيد)، تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط 1976، ص.111

القاصر في مجتمع ذو تركيبة قبلية تفرض فيها معادلة العصبية والقوة رأيها في المجتمع، لا تؤدي إلى استمرارية أو قوة ونجاح الدعوة الدينية الإباضية وأيديولوجية الإمامة.

إن الإمامة كمؤسسة ضرورية للإباضية اتخذت شروطا معينة لاختيار الإمام، وجعلت ضوابط لها تجعل الباب مفتوحا لخلع الإمام إذا خالف التعاليم الدينية وحاد عن الطريق الحق والاستقامة وذلك عن خلال مؤسسة الشورى والإجماع(أهل الحل والعقد) مرة أخرى[(1)] .

3 - **مسألة البراءة والولاية:**

برزت مع أحداث الفتنة الكبرى وخلفيات المحكمة، علاوة على الأزمات التي مرت بالدعوة الإباضية، مسألة هامة في الفقه الإباضي هي مسألة البراءة والولاية، وقد جاء في قاموس الشريعة من بيان الشرع:« الإمام إذا شهر في الدار أنه من أهل دعوة الحق وجبت ولايته حتى يظهر جوره، وإذا عرف المسلمون من الإمام أحداثا مكفرة مستترة وخافوا إن شهروها وقع الاختلاف ستروا ما علموا وبرؤوا منه سرا ولم يكلفوا من لم يعلم من المسلمين»[(2)]، والمقصود بالولاية هي ولاية إيمان ونصره وطاعة وتصديق، وذلك تأييدا لقوله تعالى :**﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾**[(3)].

أما البراءة فهي التبرؤ من الفعل المكفر والأفعال السيئة التي حرمها الله، والإنكار على صاحبها وعدم الرضى عنه حتى يتوب ويرجع عن أخطائه، كما حدث عندما طلب الخوارج من الإمام علي بن أبي طالب-رضي الله عنه أثناء قضية التحكيم بالتوبة والرجوع إلى القتال ضد معاوية بقولهم:» لابد له أن يتوب، وأن يلتزم بقتال عدوه وعدونا، وأن يقلع عن التحكيم»[(4)]. وترى الإباضية أن سيرة الشيخين أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب بمنزلة الولاية ووجبت وصحت ولايتهما وسيرتهما، أما من جاؤوا من بعدهما عثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان فهم بمنزلة البراءة»[(5)].

....

(1)- علي أحمد السالوس، الإمامة عند الجمهور والفرق المختلفة، مكتبة ابن تيمية، ط1، الكويت1978، ص.15

(2)- إبراهيم بن يوسف، مرجع سابق، ص. 40

(3)- سورة التوبة، الآية رقم: 71

(4)- الطبري، الرسل والملوك،ج5، ص. 64

(5)- السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، مصدر سابق ،ج1، ص.371 - 377

وقد برزت المسألة نفسها أثناء فتنة الصلت بن مالك في القرن التاسع الميلادي، وافتراق أهل العمانيين إلى رستاقية و نزوانية، بحيث يقول المؤلف المجهول عن ذلك:« فاختلفوا في دينهم وافترق رأيهم ووقعت بينهم البراءة »[1].

4 - مسالك أو حالات الإمامة:

إن الأزمات التي مرت بالدعوة جعلتها تتبنى حالات أو مسالك للإمامة، وهي مراحل انتقالية يتم اختيارها حسب الأوضاع والظروف المؤاتية للدعوة، وتسمى المسالك الدينية الأربعة.

ومن الواضح أنه تم استخلاصها وشرعنتها استنباطا من المراحل والمعاناة التي مرت بها الدعوة الإسلامية المحمدية خلال مسيرتها في سبيل نشر الدعوة الإسلامية.

الحالة الأولي وهي الكتمان ويعمل بها عندما تجد الحركة الإباضية نفسها في حالة تراجع أو سرية[2]، بحيث ينحسر النشاط السياسي للحركة. ويقتصر على الشأن الديني مع انتظار الانتقال للمرحلة التالية للدعوة، ولا توجد سنوات محددة لتلك الفترة بحيث أنها قد تستمر إلى سنوات طويلة قد تصل إلى القرن.

ولقد دخلت الحركة الإباضية أكثر من مرة مرحلة الكتمان خاصة في وقت ضعف الإمامة. أولاها بعد سقوط إمامتها الأولى بزعامة الإمام الجلندي بن مسعود حوالي (131هـ/748م).

وبعد هذه المرحلة. يتم الاختيار إما الانتقال إلى مرحلة الشراء أو الدفاع . فيقول أبوالمؤثر «فإن شاؤوا بايعوا على الشراء وإن شاؤوا بايعوا على الدفاع.وفيها شروط لا يعلمها كثير من أهل هذا الزمان»[3]، بحيث إنهما ليستا في مستوى الوجوب والفرض كحالة إمامة الظهور، حيث تزولان بزوال ظرفيهما.

أما الحالة الثانية فهي حالة الشراء وتعني الذي يشري نفسه لله. وذلك استخلاصا من

....

(1)- مؤلف مجهول، تاريخ أهل عمان، مصدر سابق، ص. 69- 70

(2)- حسين غباش ،مرجع سابق ،ص.68

(3)- السير والجوابات لعلماء وأئمة عمان، مصدر سابق ،ج1، ص. 78

قوله تعالى: ﴿إن الله اشتري من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة﴾[1].

وتعني التضحية في سبيل الدعوة حيث إن الإمام فيها لا يمكنه التراجع، ولا يتم الانتقال إلى هذه المرحلة إلا في حالة إعلان الحرب على السلطة سواء لاستبدادها أو لمحاولة تغيير الأمور ونشر الدعوة ومواجهة السلطة، ولكن يبقي إعلان هذه الحالة متعلق بمدى قوة أو ضعف العلماء واستجابتهم لقضايا أمتهم.

وثمة شرط آخر أساسي يحيل إلى بدايات الإسلام، إذ يجب أن يتفق أربعون عالما على ضرورة الانتقال إلى هذه الحالة، والإسهام في الثورة، كما حصل أثناء انعقاد البيعة للإمام ناصر بن مرشد (1624)[2]، فنجد بأن شرط اتفاق أربعين عالما هو تعبير ومحاكاة للرسول (صلى الله عليه وسلم)، حيث لم يجهر بدعوته في مكة إلا بعد أن اكتمل أصحابه أربعين رجلا، وذلك بدخول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) للإسلام.

والواقع أن بعض علماء الإباضية لا يرون ذلك العدد إلزاميا أو ضروريا لعقد البيعة أو إعلان حالة الشراء، ولكن توفره أفضل وإكمال لجواز عقد البيعة للإمام الشاري وإعلان حالة الشراء[3].

أما الحالة الثالثة فهي الدفاع، ويعمل بها إذا كانت الحركة في نطاق السلطة أو خارجها، ويتم إعلانها عندما تتعرض البلاد أو الإمامة لتهديد خارجي أو داخلي، وتقضي هذه الحالة بمبايعة الإمام على الجهاد والحرب، كما أن تعيينه يتم لغرض محدد هو الدفاع عن المجتمع والإمامة، ومن المفترض أن تنتهي ولايته حينما تتغير الظروف كما يمكن إعادة تعينه، وكذلك بالإمكان استبداله بمن هو أفضل منه ذا اتفق أهل الحل والعقد على ذلك، لكن عمليا تم تجاوز تغيير الأئمة لما يشكله من خطورة، وبالتالي تم البحث ومحاولة إيجاد إمام مكتمل الشروط لا يمكن عزله إلا إذا أخطأ وبموافقة أهل الحل والعقد.

والحالة الرابعة هي حالة الظهور وتترجم أحيانا بحالة (النصر)[4]، وتعني «ظهور العدل والحق وأهلهما (الإباضية)، ويكون حكمه هو الغالب، بحيث يكون الباطل مستخفي وأهله

(1)- سورة التوبة، آية رقم: 111

(2)- السالمي، مصدر سابق ،ج2، ص. 3

(3)- إبراهيم بن يوسف، مرجع سابق، ص. 24

(4)- حسين غباش، مرجع سابق ،ص.69

متكتمـين بـه»[1]. وتأتي كمرحلة نهائية وليس لها وقت محدد ،حيث يتم بها انتصـار الدعوة الإباضـية وتبني مجتمعها وتفرض سلطتها وأحكامها على المجتمع، وهي أقوى وأبرز مراحل الدعوة والوضع الطبيعي الذي تنشده الدعوة الإباضية. والواقع أن تلك الحالات السابقة التي ذكرناها لمسـالك أو حالات الإمامة قد أسهمت بشكل كبير في استمرارية أيديولوجية الإمامة في المجتمع.

....

(1)- إبراهيم بن يوسف، مرجع سابق ،ص. 24

المبحث الثاني

أدوات المشروعية وشخصية وكرامات المؤسس:

أثار صعود الإمام ناصر بن مرشد1624 وإحياؤه الإمامة الإباضية. بعض الشجون والعواطف والأفكار المثقلة بالخلفيات التاريخية التي جعلت من المجتمع العماني يتحرك ويصبح كقوة فاعلة تفجر طاقته الحربية وإمكانيته (جيش الشراة)[1]. ليعيد تأسيس دولة الإمامة الإباضية.

لقد أضحى للمجتمع العماني دور يمكن أن نطلق عليه الدور التاريخي، ويبرز من خلالهم ما يمكن أن نطلق عليهم الشخصيات التاريخية، لذلك سوف نحاول أن ندرس مصدر تلك الأفكار والعواطف، ونتتبع تكوينها حتى نفهم الأسباب التي أدت إلى انفجارها، والعوامل التي دفعتها إلى الصدارة. والعوامل التي حددت دورها في الصدارة على حد قول الأستاذ جرمان عياش[2].

سوف نحاول أن نتعرف على البنيات والشروط الاجتماعية لإنتاج الرجال المتميزين، ومن جهة أخرى المنطق النوعي الذي يتحكم في كل مجال والمهيأة للتنافس والصراع على السلطة.

إن من الملاحظ أن إحياء الإمامة الإباضية وبروز الإمام ناصر بن مرشد 1624 شكل منعطفا هاما في تاريخ الإمامة وخاصة في ظل المجتمع المتأزم، وارتبط ذلك الإحياء بهالة

....

(1)- جيش الشراة: هو جيش الإمامة الإباضية بحيث يتم استنفاره عند الطلب من مجموع أفراد القبائل، أي جيش غير نظامي محلي يختفي وقت السلم، وبالتالي فهو جيش غير دائم، وهنا يمكن ان نطرح تسألا عن مدى ارتباط ذلك الجيش بالتنظيم القبلي للمجتمع والسعي وراء الغنائم والجانب المادي.

(2)- جرمان عياش، اتجاه جديد للبحث التاريخي في المغرب، ضمن كتاب (البحث في تاريخ المغرب-حصيلة وتقويم)، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 14، كلية الآداب والعلوم الإنسانية –الرباط 1989، ص. 38-37

دينية لصعود الدعوة وأيديولوجية الإمامة إلى السلطة، كما أن التمركز السياسي والثقافي للإباضية في المدن الداخلية أعطى الفترة المدروسة طابعها التحولي. وجعل من الوضع خلال القرن السابع عشر وضعا متسارعا، وبأن ينظم الإباضية صفوفهم باختيار إمام لهم. وبالتالي تحويل الحكم عن العصبيات القبلية إلى رابطة دينية لهدف توحيد المجال ومحاربة المستعمر.

لقد حاول علماء الإباضية بث الروح في مشروع الإمامة من جديد، بعد تعرضت البلاد لعدة انتكاسات وأزمات، فكما يقول الأستاذ الجابري:« إن ربط الدين بالدولة كان يمهد الطريق دوما أمام كل حركة إقليمية أو طموح سياسي، فمبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مبدأ ديني كان يقدم باستمرار الغطاء اللازم لإخفاء الدوافع والأهداف الحقيقية لكثير من الحركات السياسية الثورية والانتفاضات العصبية [...] الدعوة الدينية تجد صداها العميق في البادية وخصوصا عندما يتعلق الأمر الذي يتعلق بالمطالبة بالرجوع إلى حياة البساطة، حياة التقاليد البدوية [...] فقد كانت البادية تقدم باستمرار القوة العسكرية اللازمة لنجاح كل محاولة سياسية أو حركة عصيان تنجح في الظهور بمظهر الدعوة الدينية الحقة» [1].

والواضح أن الدعوة الإباضية وجدت صداها في المدن الداخلية، ليس فقط لأنها حركة تدعو إلى حياة البساطة والتشبث بتقاليد البدوية، فاعتماد تعليل من هذا القبيل هو في حقيقة الأمر تبسيط لمفعول الدعوة الدينية وتأثيره على مجتمع قبلي بدوي يصبو إلى تجاوز وتخطي الإطار القبلي والعصبية والفرقة .

لقد كانت حركة مرتبطة بأيديولوجية دينية حاولت العودة إلى تقاليد الإمامة وقيمها، واستبدال العصبية القبلية التي فشلت في قيادة المجتمع، وذلك من خلال العودة إلى الدين وأيديولوجية الإمامة في محاولة لقلب أوضاع المجتمع الذي يعاني من عمق الأزمة.

إن المناطق الداخلية كانت مهيأة ومؤدلجة أكثر من غيرها لإحياء أيديولوجية الإمامة في مجتمع قبلي ينقصه الوازع الديني ليتماسك ويتخطي المستوي الضيق للتلاحم القائم على العصبية القبلية والانتقال إلى آفاق أرحب وأوسع تفجر طاقته الحربية (جيش الشراة)، حيث إن تلك النقلة كانت لازمة لتخطي الأزمة وإقامة مجتمع الإمامة، فكما يقول ابن خلدون

....

(1)- محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص. 427

في مقدمته: «إن الدعوة الدينية تزيد الدولة في أصلها قوة على قوة العصبية التي كانت لها من عددها»[1].

لا تهدف دراستنا لقيام دولة اليعاربة إلى البحث عن حقائق تاريخية، بقدر الوقوف عند نمط من أنماط التمثل التاريخي للحظة تاريخية معينة من طرف مجتمع الإمامة، وكيفية تصور وصياغة وتوظيف تلك اللحظة من طرف الذاكرة الفردية والجماعية في كتابتها وإعادة كتابتها للتاريخ. لقد تم إحياء الإمامة الإباضية بزعامة اليعاربة في مجتمع يدعم ويساند الدعوة الإباضية، وكذلك في ظل مجتمع الأزمة الذي يعاني من تشتت العصبيات القبلية وصراعاته بالإضافة إلى وجود المستعمر البرتغالي واحتلاله لثغوره.

إن تحليل أدوات المشروعية التي استند إليها اليعاربة لتأكيد وشرعنة وصولهم للحكم، يؤكد ما أوردناه سابقا بعدم إمكانية إغفال المعادلة العصبية القبلية في المجتمع العماني، وبالتالي كان للإرث الاجتماعي والعصبية دور في شرعنة الحكم وتقويته، فضلا عن الدور الذي لعبته شخصية الإمام ناصر بن مرشد الكريزماتية، ولاسيما وأنه حظي بمساندة وتأييد العلماء الإباضيين واستغلالهم للظروف التي تمر بها البلاد لإحياء الإمامة الإباضية.

ويمكن تتبع مراحل حياة ناصر بن مرشد، وحركته لإحياء دولة الإباضية العمانية، على ما تناقلته الكتابات المناقبية التي تزخر بالمآثر والمناقب والخوارق، حيث يمكننا أن نستنبط من هذا النوع من النصوص معلومات ذات معنى ودلالات ورموز ترسم لنا صورة تاريخية للإمام ناصر بن مرشد. وتساعد في ملء الفراغات وفهم الكثير من الأمور والأحداث التي لا تنطق بها الوثيقة والحدث.

I- الإرث الاجتماعي:

يختلف النسابة للقبائل العمانية حول نسب اليعاربة بشكل عام، فمنهم من ينسبهم إلى نصر بن زهران أمثال الشاعر والفقيه موسى بن حسين الكيذاوي (القرن السادس عشر الميلادي). وكذلك المؤرخ عبدالله بن خلفان بن قيصر (القرن السابع عشر الميلادي)، وكذلك الفقيه نور الدين السالمي(1332هـ/1914م).

(1)- ابن خلدون، مصدر سابق، ص 205

ومنهم من يرد النسب إلى النباهنة وبالأخص إلى أبي العرب (بلعرب) بن عمر بن محمد بن عمر بن نبهان بن عثمان. والذي يرجع نسبهم إلى (العتيك بن الأسد)، ومؤيدي هذا الرأي هما ابن رزيق (1291هـ/1874م) والشيخ سالم بن حمود السيابي(1414هـ/1993م).

لقد قام العديد من الباحثين بتبني نسب اليعاربة إلى نصر بن زهران، معتمدين على ذلك بأن الكيذاوي وابن قيصر هم أسبق وأقرب زمنا من الآخرين في ذكر اليعاربة، فلا يمكن أن يقر الكيذاوي بنسب اليعاربة إلى نسب مخالف لهم في مجتمع ذي تركيبة قبلية يولي اهتماما بالنسب وشجرة القرابة، لهذا أقر الشيخ السالمي في كتابه تحفة الأعيان بصحة هذا النسب وإدراجه في كتابه بوضوح ودون تردد: « المؤيد ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب، من ولد نصر بن زهران»[1].

وخلاصة القول إن شجرة نسب اليعاربة من الأمور المختلف فيها في المصادر العمانية، ومع ذلك فمازالت أصوات وقناعات تجزم بصحة نسب اليعاربة إلى النباهنة.

كما أورد الأستاذ الهاشمي من خلال تتبعه ودراسته للمصادر والمراجع المختلفة. واستخلص بأن سلسلة نسب الإمام ناصر بن مرشد بالتفصيل هي كالتالي:

ناصر بن مرشد بن مالك بن أبي العرب بن سلطان بن مالك بن أبي العرب بن محمد ابن بلعرب بن سلطان بن أبي حمير بن مزاحم بن يعرب بن محمد بن بلعرب بن يعرب بن محمد بن بلعرب بن محمد بن مالك بن يعرب بن مالك اليعربي الازدي[2].

حكم اليعاربة الرستاق خلال حالة الفوضى والاضطرابات والفراغ السياسي الذي عانت منها البلاد، والحقيقة أننا لا نعلم شيئا عن تاريخ سيطرة اليعاربة على الرستاق قبل ظهور مالك بن أبي العرب بن محمد بن بلعرب اليعربي في أواخر القرن السادس عشر، واستمرت تلك السيطرة حتى وفاة مالك بن أبي العرب حيث حدث الخلاف الاقتتال حول السلطة بين أبنائه وأحفاده.

(1)- السالمي، مصدر سابق ،ج2، ص. 3

(2)- سعيد بن محمد بن سعيد الهاشمي، « تاريخ مدينة الرستاق الحديث(1624-1810م)» ، ضمن كتاب (الرستاق عبر التاريخ) ،حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي في الفترة من 7-6شعبان1422هـ/الموافق24-23 اكتوبر2001 ،وزارة التراث والثقافة ، مسقط ، ص. 44

كذلك انظر: كتاب ابن رزيق ، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، مصدر سابق، ص. 89

وأثناء حالة الفوضى وعدم الاستقرار السياسي، تشاور أهل الرستاق وعلماؤها بقيادة الشيخ خميس بن سعيد الشقصي لإحياء الإمامة الإباضية. فانصب الاختيار على الإمام ناصر بن مرشد اليعربي أحد أفراد أسرة اليعاربة المسيطرة على السلطة في الرستاق. ويذكر السالمي في مجمل حديثه عن الإمام ناصر بن مرشد «وهو أول إمام في اليعاربة [...] وكانوا قبل ذلك كغيرهم من العرب رؤساء في الرستاق وما يليها بعد أن تقسمت الممالك في أيدي الرؤساء»[1].

لقد صنفت أسرة اليعاربة كباقي رؤساء القبائل المحليين ضمن فئة الجبابرة الذين يتصارعون على السلطة.

وهكذا فنحن هنا بصدد توضيح الدور الذي تلعبه القبيلة والعصبية في اختيار الإمام في المجتمع القبلي، لضرورة وجود عصبية قبلية تدعم الدعوة لتحقق أهدافها وتساندها. فالمناطق الداخلية أصبحت مجالات يتقاسمها رؤساء القبائل المحليين بعد ضعف دولة النباهنة. بالإضافة إلى ضعف نفوذ علماء الدعوة الإباضية، وانهيار أيديولوجية الإمامة تحت وطأة العصبية القبلية وصراع السلطة.

لقد كانت الدعوة الإباضية بحاجة إلى تأييد سياسي ومادي لتحقيق أهدافها في إنشاء دولة الإمامة الإباضية.

ويبرز من خلال تفحص الخريطة السياسية لعمان في تلك المرحلة. اشتداد حالة الفوضى السياسية. فاليعاربة قضوا على منافسيهم على السلطة في الرستاق بني لمك بمساندة الملك عمير بن حمير المسيطر على سمائل، وبالتالي خلصت السلطة فيها إلى الأمير اليعربي القوي مالك بن أبي العرب اليعربي. أما بهلى فيسيطر عليها شيوخ بني هناءة. كما أن نزوى يتقاسمها ويسيطر عليها أمبو سعيد في العقر وقبيلة بني كندة في سمد نزوى، في حين خلصت منطقة الظاهرة لقبيلة الجبور القوية. بالإضافة إلى أن بعض المناطق كانت في قبضة بعض الرؤساء المحليين. أما محيط عمان وسواحلها فكانت في قبضة البرتغاليين.

والحقيقة أن الانقسام والصراعات التي حدث بداخل البيت اليعربي في الرستاق بين أبناء وأحفاد مالك بن أبي العرب بعد موته، كانت فرصة مؤاتية لإحياء الإمامة الإباضية، وذلك بدعم وتأييد من أحد أفراد أسرة اليعاربة الذي وجد في علماء الإباضيين المتحمسين

---

(1)- السالمي، مصدر سابق ،ج2، ص. 3

لإحياء أيديولوجية الإمامة سندا حقيقيا والاختيار المناسب، وذلك لاتصافه ببعض المواصفات الشخصية، وقيامه بالمساندة والتأييد الفعال لفكرة إحياء أيديولوجية الإمامة .

كما يتضح من سير الأحداث أن ناصر بن مرشد اليعربي كان ذا طموح سياسي ورغبة في التغيير والإصلاح، تساعده في ذلك ما يملكه من قوة سياسية داعمة ذات عصبية قبلية ونسب، ومن خلال استعراض تاريخ الإمامة العمانية، نجد أن الإمامة العمانية الإباضية ارتبطت وتأسست دولتها من خلال رؤساء العصبيات القبلية المؤثرين في المجال، ابتداء من أسرة الجلندي إلى أسرة اليعاربة[1] .

ويري جون ولنكسون أنه: «كانت الإمامة دائما مؤسسة مرتبطة بالسلالات الحاكمة بشكل أو بأخر ومصدر المرجعية الدينية للعشيرة أو الأسرة الراغبة في توحيد الدولة القبلية» [2].

ويتضح مما سبق بأن ناصر بن مرشد اليعربي لم يكن مغمورا على صعيد الشرف القبلي والمكانة الاجتماعية، فأفراد أسرته كانوا ضمن نطاق السلطة الحالية وإن صنفوا ضمن فئة الجبابرة والمسيطرة على الرستاق، وهو ما يؤكده توفره على عصبية قوية تسانده وتأييده ، ولدى عشيرته نفوذ قوي في المجال تبرز حضورها ومركزها الاجتماعي.

لقد كان يحمل شرعية الحكم بتبنيه لمذهب الإباضي وأيديولوجية الإمامة، وفي المقابل وجدت فيه الإباضية الدعم السياسي والمادي اللازم لإحياء الإمامة وتأسيس دولة الإمامة الإباضية .

II- النشأة وشخصية وكرامات المؤسس:

يستوجب علينا من البداية الحديث عن شخصية الإمام ناصر بن مرشد، وأن نبين أثر ما يسميه علماء الاجتماع "بالتنشئة الاجتماعية"، ودورها في مسار ونشأة الإمام ناصر بن مرشد وتفاعله مع مجاله، والتي كانت القناة الأولى والأساسية والتي جري بها نقل منظومات القيم والمعايير وتعاليم المذهب الإباضي إليه، وذلك على يد العالم الشيخ خميس بن سعيد الشقصي الذي نشأ وترعرع في كنفه، ولتشكل في النهاية الأنماط والعناصر الأساسية لتوجهاته وثقافته وشخصيته.

(1)- من الأسر الهامة التي حكمت لمدة طويلة وارتبطت بالإمامة الإباضية: آل الجلندي – الخروص- اليحمد- اليعاربة.

(2)- جون ولكنسون ، مرجع سابق، ص.23.

مـن جهة أخري سـوف نناقش الـدور الـذي تؤديه (الكرامـة وصـاحبها) أو الكريزما Charisma علـى حد قول مـاكس فيـبر Max Weber في المجتمـع وذلك من خلال المتخيل الجماعي ومادته المكتوبة.

ويرى بعض المؤرخين بأن قصص وروايات (تقديس الأولياء وكرامتهم) من الأمور الغيبية أو اللاعقلانيـة التـي يجـب إهمالها كليا مـن الناحيـة العقلانية في مجال دراسـة التاريخ، ولكن ومع ذلك علينا ألا ننسـي أنه في زمن مضـي ولاحق كانت تلك الظواهر منتشرة ويسلم بحقيقتها ليس عامة الناس فقط، بل كثير من علماء الدين أيضا، بل وأنها كانت لها دلالاتها ووظائفها ورمزيتها وتلعب أدوارها في المجتمع .

لذلـك كان علينـا البحث حول تلـك (الظواهر) ذات الدلالات والرمـوز. ومحاولة فهمها والبحـث عـن أصـولها والدعائم التي تقـوم عليها والنتائـج التي ترتبت عنهـا ووظائفها في المجتمع العماني، من دون الاهتمام بمدى حقيقتها أو عدمه.

1 - نشأته وشخصيته:

يذكر السـالمي عن نشـأة الإمام ناصـر بن مرشـد اليعربي بقوله:« وكان فيما قيل ربيبا للقاضـي خميس بن سـعيد، وكان قد عرفه قبل ذلك فدلهم عليه فرضـي به الجميع فعقدوا عليه الإمامة بالرستاق في عام أربع وعشرين بعد الألف »[1].

لقد شـكلت تلك التربية والرعية في شخصـية الإمام ناصـر بن مرشـد، الذي كان يتيما حيث توفي عنه والده وهو صغير، ثم تربي وترعرع في كنف زوج أمه العلامة خميس بن سعيد الشقصـي صـاحب كتاب منهاج الطالبين. فتعلم على يديه العلم والصـلاح وتعاليم الدعوة وبذور أيديولوجيته وأفكاره حول مشروع إحياء الإمامة الإباضية.

وينتمي العلامة الشـيخ خميس بن سـعيد الشقصـي إلى المشاقصـة، وهم من القبائل النزاريـة من فرع ينتسـب إلى بني زيـاد، وهي سـلطة نزارية حاولت أن تأخـذ لها مكانا في التاريـخ، حيث حاول علمائها وكبار شـيوخها إحياء الإمامة الإباضـية منـذ القرن الخامس عشر[2]، وبالتالي كان لتلك التربية لاحقا أثر كبير ساعد في إكمال مشروع إحياء أيديولوجية

(1)- السالمي، مصدر سابق، ج2، ص.3.

(2)- جون ولكنسون، مرجع سابق، ص.179.

الإمامة الإباضية في المجتمع، كما أنها أهلت المشاقصة لأن يكونوا بعد إحياء الإمامة الإباضية ضمن دائرة السلطة وذوي صلة وثيقة باليعاربة.

تتسم شخصية الإمام ناصر بن مرشد من خلال الاستطوغرافية العمانية بالمثل والأخلاق الايجابية والصلاح والعلم، ومنها ما قيل عنه: « رؤوف رحيم ليس بفظ ولا غليظ كثير الذكر قليل اللغو لا يستنكف أن يمشى مع العبد والمسكين وهو ملك في زى مسكين [...] وكاد أن يكون نبيا رسولا رحمة الله وغفر له» [1].

لقد أورد هذه الصفات الشيخ الفقيه سعيد بن محمد بن عبدالله النزوي في سيرته يذكر بها الإمام ناصر بن مرشد وصفاته، حيث أرسلها إلى أهل المغرب (الإباضية)، بالإضافة إلى ذلك فلقد أرسل علماء عمان أيضا رسالة أخرى حول مآثر الإمام وصفاته، وقد ذكرهما السالمي في تحفته.

من الواضح أن هدف تلك الرسائل هو إبراز حال وقوة الإمامة الإباضية في عمان في عهد الإمام ناصر بن مرشد، وتشجيع (المسلمين الحقيقيين-الإباضية) والدعوة لإقامة دولتهم وتحفيزهم، فالإمام أضحى مثالا وقدوة لقائد الأمة الإباضية ورمز يحتذى به، وشخصية محورية يلتف حولها مجتمع الإمامة، وهو ما تركز عليه عبارة:« وكاد أن يكون نبيا رسولا رحمه الله وغفر له»، والتي تعتبر ذات معني، وتجسد دلالات قوية وإيحاءات للمثالية والمرتبة التي وصل إليها ناصر بن مرشد في أوساط المجتمع العماني الإباضي عامة.

كان الإمام يمتلك مقومات القائد ذي الكفاءة الذي ترتضيه الإمامة الإباضية، صاحب طموح وأخلاقية سياسية واضحة هدفها إقامة مجتمع الإمامة وإظهار الدعوة الإباضية، فكان يقول:« ونيتي أنني لو قدرت أن أملأ الأرض عدلا وصلاحا» [2].

لقد كان لديه قناعات وقضية يدافع عنها تتجاوز شخصه، وترمي إلى إصلاح المجتمع المتأزم، وثورة ذاتية للتغير وإظهار الدعوة الإباضية بقناعات داخلية عميقة واندفاع أيديولوجي فيقول:« بل إرادتي إعزاز دين الله عزوجل، وإحياء سنن النبي المرسل، وإظهار دعوة المسلمين والأخذ على أيدي الظالمين وإخماد كلمة المعتدين وكسر شوكتهم» [3].

(1)- السالمي، مصدر سابق ،ج2، ص. 31

(2)- السالمي، مصدر سابق ،ج2، ص. 31

(3) المصدر نفسه ،ص. 28

لقد أضحى ناصر بن مرشد قيمة ومثال للمرجعية الدينية الإباضية ونموذج للإمام الإباضي المثالي، فالصفات الدينية والأخلاقية التي تحلى بها، والتي تجلت في سياسته الوحدوية والجهادية وإظهاره لدعوة الإباضية وإحياءه لأيديولوجية الإمامة في المجتمع، أثر بارز في التفاف بعض القبائل العمانية إلى جانبه، ابتداء من قبيلة (اليحمد) والتي سارعت إلي تقديم العون والدعم الذي يحتاجه، حتى قال عنه دونالد هولي Donald Holy « لم يخل بقية عهد الإمام ناصر تماما من محاولات التمرد والثورة، إلا أنه كان يتمتع بشخصية عظيمة سواء في الحكم أو كقائد عسكري » [1].

لقد استثمر الإمام ناصر بن مرشد عصبيته وانتمائه القبلي في صياغة مشروع دولته وإحيائه الإمامة الإباضية، وذلك من خلال إبراز شخصيته وعلمه وصلاحه، وهو ما أهله للحصول على تأييد العلماء الإباضيين . وفي مقدمتهم العلامة خميس بن سعيد الشقصي.

كما كانت دعوة إحياء أيديولوجية الإمامة في المجتمع وفريضة الجهاد وإصلاح المجتمع العماني عامة، عاملا هاما في صيغة ذلك المشروع، واستنفار المؤيدين والمساندين له، كما أثرت شخصية وعدل وسياسة الإمام ناصر بن مرشد في المجتمع حتى "كثر في زمانه العلم وكثر الدين والورع في زمانه. حتى إن من يبيع اللحم ويبيع البصل فيهم من يصلح أن يكون قاضيا أو واليا أو خازنا أو وكيلا لكثرة أمانتهم وعلمهم" [2].

ومن الواضح بن شخصية ناصر بن مرشد كان لها أكبر الأثر في تأسيس دولته، مما جعل أحد المؤرخين البرتغاليين أنطونيو بوكارو Antonio Bocaro يقول عنه:« لقد جعل هذا الإمام ناصر بن مرشد من نفسه منذ سبع سنوات أقوى حاكم في جميع أنحاء الجزيرة العربية بمناصرته الشريعة المحمدية التي كان يظهر على أنه من أشد المتمسكين بها»[3].

....

(1)- دونالد هوبي ، عمان ونهضتها الحديثة، مؤسسة ستايس الدولية لندن، 1976، ص. 36

(2)- السالمي، مصدر سابق ،ج2، ص.24

(3)- س .بوكسر C.BOXER. , NEW LIGHT ON THE RELATIONSHIPS OF OMAN AND PORTUGUESE.S ملاحظات جديدة عن الصلات بين العمانيين والبرتغاليين من 1613-1633 ، ضمن كتاب(حصاد ندوة الدراسات العمانية البحوث والدراسات) ، التي قدمت في الندوة نوفمبر 1980 ، مجلد 6، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط ، ص.211

2 - كرامات المؤسس:

أسـهبت المصادر العمانية في ذكر كرامات وصـفات الإمام ناصر بن مرشد بشكل بارز. مما يدعو للتساؤل حول خلفيات السرد والوظيفة التي تؤديها الكرامة وصاحبها في المجتمع؟ فالإمام يظهر لنا بمظهر الولي صاحب الكرامات، « ولى أن دعا أضحى مجابا »[1].

يذكر لنا الأزكوي وغيره، قصـة حول كرامات الإمام ناصر بن مرشد فيقول :« كان رجل نائما في مسـجد قصـري من الرسـتاق. فرأى كأن في أحدى زوايا المسـجد سـراجا مضيئا. فلمـا انتبـه رأى في تلك الزاوية الإمام مضـطجعا وذلك قبل أن يعقد لـه» [2]. ويمكن إدراج هذه الكرامة ضـمن الكرامات المبشـرة بقيام دولة جديدة والمبشرة بالملك(فالنور والسراج المضـيء) ترمـزان إلى السـلطة بما لها من حضـور بارز في المـوروث الإسـلامي والمرجعية النبوية[3]. وبالتالي تندرج تلك الكرامة ضمن ما يمكن أن نسميه كرامات التأسيس.

كمـا أن كرامـة رؤية النجوم في ليلة مولده تتهاوى بعضـها على بعضـ[4]. تدخل في نفس السياق، حتى قال ابن رزيق:« كان لناصر بن مرشد سر الولاية قبل البيع بالإمامة. وبعد البيع فاحتزب السر الأول والسر الثاني احتزابا على المصدر، أي فعصب بعضه بعضا» [5].

لقـد تعـددت كرامـات الإمام مـن خلال المصـادر المختلفة حتـى تم إدراجه ضـمن فئة أوليـاء الله، ولكـن إجمالا يمكن أن نقسـم ونصـنف كرامات الإمام أثنـاء حياته على النحو التالي(حسب ما تم ذكره في المصادر):

....

(1)- ابن رزيق، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، مصدر سابق، ص.93

(2)- الأزكوي، كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، مصدر سابق، ج2، ص.963

في رواية أخرى لابن رزيق في كتابه الشعاع الشائع، يذكر بأن الإمام كان نائما في مسجد قصري في الرستاق، فدخل رجل من الطريق إلى المسجد ليصلي، فرأى كأن في أحد زوايا ذلك المسجد سراجا يتقد، فلما اقترب من تلك الزاوية وجد ناصر بن مرشد.

(3)- بين الأستاذ عبد الأحد السبتي في تحليله لرمزية (النور)، أنه يمكن تصنيفه ضمن الرؤيا التكرارية في تأسيس الدول والمبشرة بالملك والسلطة، وذلك من خلال الموروث الإسلامي النبوي .(للمزيد انظر: عبد الأحد السبتي، « أخبار المناقب ومناقب الأخبار »، مرجع سابق، ص. 95-96)

(4)- السالمي، مصدر سابق ،ج2، ص.16

(5)- ابن رزيق، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، مصدر سابق، ص. 89

كرامات التأسيس	كرامات الطاعة والولاء	كرامات البركة والنفع
- رؤية الإمام كأنه نور وسراج مضيء - تهاوي النجوم في مولده. - ناس ذو لباس فاخر يصلون عليه - حديث الشجرة للبدوي بأن يذهب إلى الإمام وأن يقول له أن يلتزم هذه السيرة لأنه على سيرة النبي (محمد-صلى الله عليه وسلم)	- التصاق الوعاء بأمه لمخالفتها أوامره. - جماعة من الناس يسبون الإمام فيسقط عليهم السقف ويموتون. - شخص يشتم الإمام فتتورم رجله ويموت على الفور - الدواب إذا أكلت من طعام بيت مال المسلمين أو أموالهم تألمت على الفور، ولا تشفي حتى يعفو عنها الإمام. - معونة الجن للإمام على أعدائه. - رجل أراد قتل الإمام وهو نائم فلم يقدر على ذلك. - الدعاء المجاب ضد الأعداء	- كيس من تمر والأرز أشبع أربعمائة رجل - منذ أن سكن عقر نزوى لم يمت من بشرها أحد حتى مات. - أيام دولة الإمام لم يفترس ذئب شاة في جميع أراضي عمان

نلاحظ أنه بالإمكان أن تتداخل تلك العناصر جميعا وتتوحد لتشكل معنا ومرجعا أحاديا تعبر عن شرعية السلطة، وتدعمها وتقويها وتعززها في المجتمع.

فصاحب الكرامة يظهر بمظهر (الحق) وفي مرتبة الصدارة ، فكما يقول جورج بالاندية Georges Balandien: «إن المقدس هو أحد أبعاد الحقل السياسي، يمكن أن يكون الدين أداة للسلطة وضمان لشرعيتها وإحدى الوسائل المستعملة في إطار المنافسات السياسية»، وهو بالفعل ما تقوم به الروايات (الميتولوجية) للكرامة حيث ترسخ المحافظة على المسافة بين صاحب الكرامة والرعية وكذلك فهي تعبر عن الشرعية [1] .

إن الكرامات في المجتمع العماني وارتباطها بالحدث السياسي والاجتماعي تعبر بشكل

(1)- جورج بالاندية GEORGES BALANDIEN ، الانثربولوجيا السياسية - ANTHOROPOLOGIE POLTIQUE ، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع ،ط 1 ، 1990ص. 127 - 146

خاص عن مناخ المواجهة بين السلطة ذات العصبية القبلية والإمامة والدعوة الإباضية ذات الكرامات[1].

إن الكرامة سلطة نفسية سيكولوجية، كما يوضح ذلك الأستاذ عبد الأحد السبتي بقوله: «عبارة عن قصة هيبة فاعلة» [2]، فهي بغض النظر عن مصداقيتها أو عدمه، تعبر عن الذاكرة والمتخيل الجماعي الاجتماعي للمجتمع، وبالتالي يمكن أن توظف لتحافظ على شرعية سلطة الإمامة الإباضية وصدارتها في أوساط المجتمع واستمراريتها وتدعيمها عبر إعادة تناقلها وتوظيفها.

إن المناقب والكرامات تشكل مصدرا ومادة تاريخية هامة، في حالة ربطها بالأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية عامة، وهو ما يعبر عنه بارسونز Talcott Parsons بقوله: " إن العلاقة بين رمز بعينة ومدلوله – بالمفهوم العام- علاقة عشوائية على الدوام، العنصر الذاتي الوحيد الرابط بين الرموز ومدلولاتها هو النظام.ولا يمكن فهم ذلك قط من خلال الدراسة المنعزلة لرموز بعينها، وإنما فقط من خلال علاقاتها المتبادلة داخل الأنظمة" [3].

إن للمناقب والكرامات قيمة لا تعوض عندما يتعلق الأمر بتحديد الإطار الفكري الذي وظف وكيف ممارستها، فهي إنتاج فكري وأداة من أدوات المؤسسة الدينية التي توظف لضمان الاستمرارية عبر صيانة متجددة لرموز المشروعية الموروثة.

....

(1)- انظر حول كرامة الإمام الوارث بن كعب ورمزية الشجرة التي تحدثت إليه والمعتقد الشعبي حولها ،(جون ولنكسون، مرجع سابق، ص.300)، كذلك انظر حديث(السالمي) عن الأنوار الصاعدة نحو السماء من قبر الإمام ناصر بن مرشد وغيره من الأئمة والصلحاء الإباضيين وانتشارها، وقصة الرجل الذي وضع رجليه على قبر الإمام ناصر بن مرشد ونام، فأحس أن أحدا أداره عن قبر الإمام. (السالمي، مصدر سابق ،ج2، ص. 43)

(2)- عبد الأحد السبتي ، النفوذ وصراعاته في مجتمع فاس، دار توبقال،ط1، الدار البيضاء 2007، ص.74.
وكذلك انظر: بيير بورديو ، الرمز والسلطة ، دار توبقال للنشر، ط2، الدار البيضاء 1990، ص.54.

(3)- آدم كوبر ، مرجع سابق ،ص. 85

المبحث الثالث

المساندة وميلاد وتأسيس دولة اليعاربة:

ارتبط ميلاد دولة اليعاربة وإحياء الإمامة الإباضية بالظرفية العامة المتأزمة التي يعيشها المجتمع العماني، ففي تلك الفترة التاريخية، انبثقت آراء وأفكار وجهود لإعادة إحياء دولة الإمامة الإباضية من قبل العلماء الإباضيين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم حملة أيديولوجية تاريخية، وأصحاب إستراتيجية تستهدف المجتمع بأكمله وتسعى إلى السلطة ضمن مفهوم الإمامة الإباضية.

وبما أن الذهنيات يصعب أن تتغير في وقت قصير، لذا كان يتعين على الإمامة الإباضية بعد فترة من الانقطاع والانكماش والانهيار، أن يتم ارتقاب عودتها وإحياؤها لتؤدي أدوارها الفاعلة في المجتمع المتأزم مرة أخرى.

وعلى هذا الأساس يمكن تصنيف حركة إحياء الإمامة الإباضية بعمان بزعامة اليعاربة ضمن الحركات الإصلاحية التي كانت تستهدف المجتمع العماني بأسره للخروج به من الأزمات التي كان يمر بها وتصحيح أحواله.

I- اللحظة التاريخية: لإحياء الإمامة وميلاد دولة

انتشرت قوة الدعوة الإباضية وأفكارها بشكل مكثف في المدن الداخلية وخاصة في مدينتي نزوى والرستاق، فكان من الطبيعي أن يفرز ذلك الوضع بطريقة ما هاجسا وأملا لإحياء الإمامة الإباضية ضمن نطاق مجتمع المدن الداخلية المؤدلجة والمتأزمة والمتحمسة للدعوة الإباضية وإحياء أيديولوجية الإمامة بمساندة وتأييد العلماء الإباضيين.

لقد لعب العلماء الإباضيون دورا هاما في تأجيج ذلك الحماس، حيث إنهم لم يكونوا مجرد أداة لتأطير والتكوين والإفتاء والمرجعية الدينية، بل كان دورهم في عمان أخطر وأعمق من ذلك حيث كانوا أداة وعنصرا بارزا في العملية السياسية، وفي عمليات الفتح والتوسع والإشعاع واستمرارية الدعوة وأيديولوجية الإمامة في أواسط المجتمع. فكما يقول ايكلمان D.Eickelman : « ينطوي فهم دور العلماء في الإمامة العمانية على أهمية تفوق بكثير مجرد الأهمية التاريخية والاجتماعية والمحلية» [1].

اتسمت بدايات المرحلة الجنينية لإحياء الإمامة الإباضية بزعامة اليعاربة، بطابع السرية بين العلماء الإباضيين لإيجاد واختيار الإمام الأنسب للمرحلة القادمة، « فاستشار أهل العلم أهل الاستقامة، أن ينصبوا لهم إماما يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فأمضوا نظرهم وجالوا فكرهم من يكون أهلا لذلك، والقدوة يومئذ للشيخ العالم الفقيه خميس بن سعيد بن علي الشقصي الرستاقي» [2].

إن تعبير (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) مفهوم إصلاحي قرآني يتضمن بداخله الكثير من الأمور التي تخدم المجتمع الإسلامي **﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾** [3]، فهو مبدأ ديني عام وشامل يحمل في طياته معنى للتغيير والإصلاح في أوضاع المجتمع عامة ومن ضمنها السلطة.

لذلك نلاحظ عدم وجود معاني أو حديث عن تغيير السلطة أو الثورة أو الانقلاب عليها في المصادر العمانية، حيث تم الاكتفاء بذكر هذه المبدأ القرآني الديني العام والشامل لمعاني الإصلاح والتغيير، فنجد أنهم نادوا بوجوب إقامة هذه الفريضة ولو بالثورة لتغيير المنكر وإزالة نظم الجور والفساد [4].

لقد كانت المشاورات والمراسلات السرية تدور فحواها بين العلماء الإباضيين لإحياء الإمامة الإباضية بزعامة خميس بن سعيد الشقصي. وذلك باستغلال الظرفية التي تعاني

....

(1)- ديل .ايكلمان D.EICKELMAN.، المعارف الدينية في عمان الداخلية RELIGIOUS KNOWLEDGE IN INNER OMAN .، ضمن كتاب(حصاد ندوة الدراسات العمانية البحوث والدراسات) في ندوة نوفمبر 1980 ، مج 6 ، وزارة التراث القومي والثقافة . مسقط، ص. 222

(2)- مؤلف مجهول ، قصص وأخبار جرت في عمان، ،مصدر سابق، ص.98 (كما ذكرت هذه العبارة في العديد من المصادر العمانية)

(3)- سورة آل عمران ، الآية رقم 110

(4)- محمد عمارة ، الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر، ص.56

منها الرستاق من التشتت والانقسام والصراعات بين أفراد أسرة اليعاربة على السلطة بعد وفاة مالك بن أبي العرب اليعربي.

فيذكر ابن رزيق عملية انتخاب الإمام ناصر بن مرشد بقوله:« فانتظمت آراؤهم في نصب الإمامة لناصر بن مرشد، فمضوا إليه وطلبوا منه ذلك ورغبوه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فأجابهم بعد ما اعتذر عذرا طويلا »[1].

كما يذكر السالمي أن عدد الذين بايعوا الإمام ناصر بن مرشد بلغ أربعين عالما أو أكثر، وأنه يمكن أن يكون حضر البيعة بعض منهم والباقون رضوا بها[2]. أما ابن رزيق فيذكر بأن عددهم بلغ سبعين عالما [3].

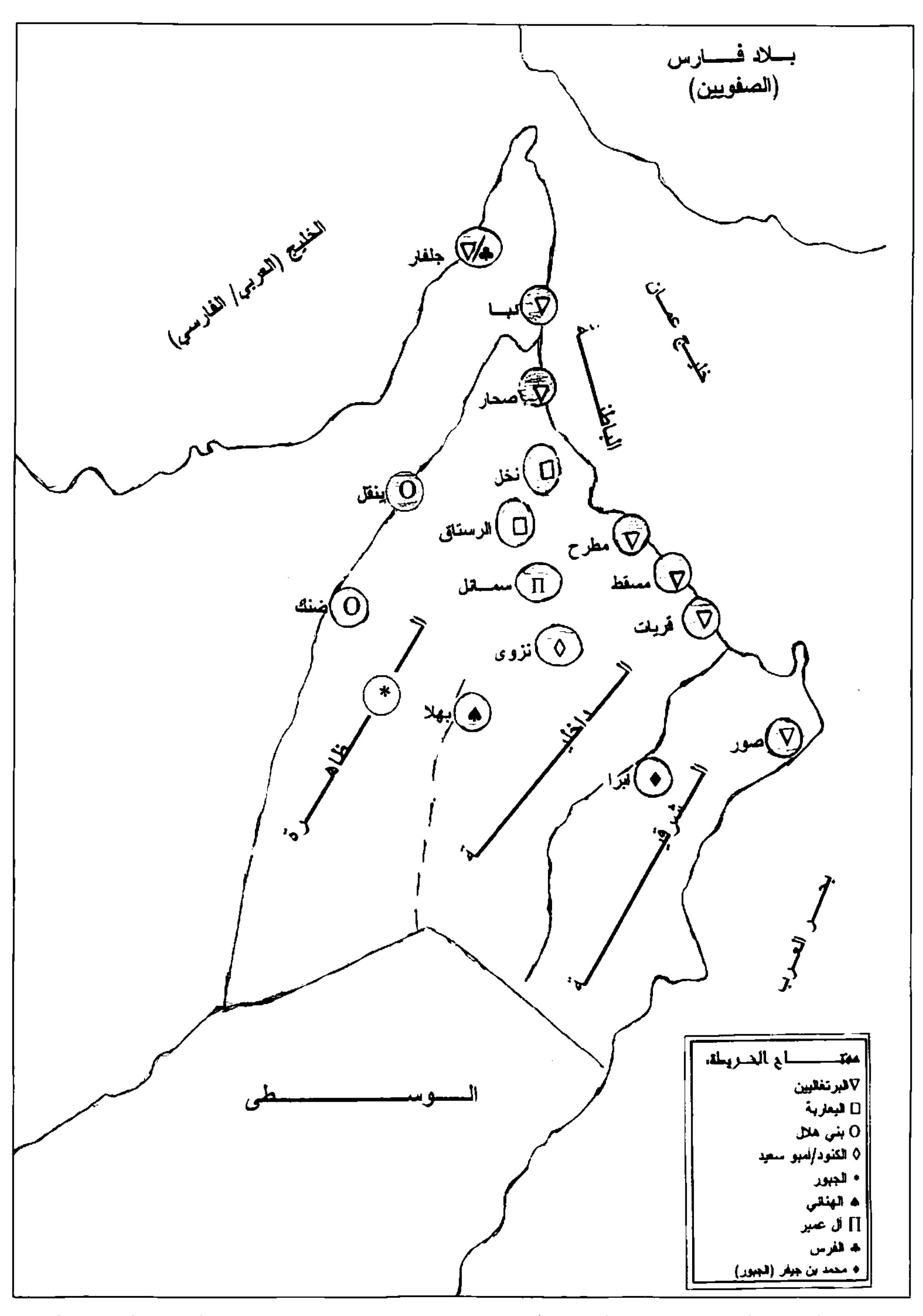
وهكذا عقدت الإمامة لناصر بن مرشد سنة1624، واكتملت عناصر إحياء الإمامة الإباضية من جديد عن طريق مبدأ الشورى والإجماع والانعقاد، وذلك باختيار إمام ضمن العصبية المهيمنة على السلطة في الرستاق. وبالتالي عصبية توفر الدعم المادي والبشري لمساندة ونصرة الدعوة الإباضية في مشروعها المقبل.

---

(1) ابن رزيق، الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، مصدر سابق، ص. 204

(2) السالمي، مصدر سابق ،ج2، ص.5

(3)- ابن رزيق، المصدر نفسه، ص. 230



خريطة تقريبية للقوى السياسية الفاعلة في عمان وما جاورها قبل ظهور دولة الإمامة اليعربية

II- تأسيس وبناء دولة اليعاربة

يمكن تقسيم المراحل التي مرت على ناصر بن مرشد لترسيخ دولته وإكمال مشروعه العماني إلى ثلاثة محطات رئيسية:

1 - المرحلة الأولى: توحيد الجبهة الداخلية في الرستاق

اتسمت هذا المرحلة بطابع السرية والسرعة والمباغتة. وذلك من خلال تحطيم قوة ونفوذ بنى عمه في الرستاق المسيطرين على المجال بعد وفاة جده مالك.

هجم ناصر بن مرشد على (رمز السلطة) حصن الرستاق ليلا ففتحه، أما قرية نخل فكان يحكمها ابن عمه سلطان بن أبى العرب، حيث حاصرها أياما ثم فتحها بمساندة وتأييد قبيلة اليحمد، فتأتى له توحيد الجبهة الداخلية في الرستاق حول سلطة واحدة، مما أكسبه الدعم المادي والمعنوي والبشري لحركته.

لقد ارتبط صعود وإحياء الإمامة الإباضية بزعامة اليعاربة بمعاضدة ومساندة قبيلة اليحمد، فيقول ابن قيصر: «وعضدوه رجال اليحمد بأنفسهم وأموالهم، وأمدوه بذخائرهم وأخيارهم من رجالهم» [1]، وهنا يمكن التساؤل عن خلفيات المساندة والتأييد من قبيلة اليحمد دون غيرها من القبائل وبتلك السرعة؟ والأسباب الكامنة وراء ذلك التأييد ونتائجه.

قامت الإمامة الإباضية منذ بدايتها على أساس أيديولوجي لم يغفل عنصر العصبية القبلية. وكانت قبيلة اليحمد أغلب جيش ناصر بن مرشد والقسم الأهم عددا والأشد اندفاعا وتأثرا نفسيا، تلك القبيلة الأشد تعلقا بالسلطة والإمامة والمؤدلجة لإحياء الإمامة الإباضية. فهي كانت تري نفسها حارسة للدعوة الإباضية وأيديولوجية الإمامة. والتي حاولت الصعود إلى السلطة من خلال الانقلاب على النظام القبلي والعصبية .

لقد كانت حريصة على أن تبقي ضمن دائرة الضوء ودعم أيديولوجية الإمامة، لما تحمله

(1)- ابن قيصر . مصدر سابق ،ص. 13

مـن إرث تاريخـي، فهي من أكثر القبائل التي خرج منها الأئمة الإباضـيون، فيقول الأسـتاذ سـليمان بن خلف الخروصـي: « حكمت قبيلة اليحمد عمان منذ سـنة (175هـ/791م حتى 967هـ/1560م) تخللها فترة وجيزة لبعض أئمة عمانيين من غيرهم في عمان حوالي ثمانية رجال فقط »[1].

فهـي قبيلة تنتمـي إلى فرع من تحالف قبلي قديم في عمان وهو اتحاد أزد شـنوءة، ذلك التحالف القبلي القائم قبل الإسـلام. كما أنها اسـتطاعت أن تحافظ على مكان لها كأشـد القبائل ارتباطا وتعلقا واستحواذا على سلطة الحكم في الإمامة الإباضية.

ومع بروز الفتنة وقضية عزل الإمام الصلت بن مالك، واشتداد الصراع والأسس الفكرية بين مدرسـتي الرستاقية والنزوانية، قام زعماء اليحمد بتعزيز شرعية دولتهم على الأساس الفكري وذلك بمساندة حزب الرستاقية [2].

ومع اشـتعال الحـرب الأهلية ومحاولة إقصـاء كل طرف عن الأخر واحتدام المنافسـات بين رؤسـاء القبائل وتدخل القوى الخارجية بعمان واشتداد أزمات المجتمع جراء تلك الفرقة والعصـبية والأزمات، ضـعفت قبضـة قبيلة اليحمد وانهارت تحالفاتها القبلية والمؤيدون لها واختفت قوتها في التاريخ العماني ابتداء من القرن الثاني عشر. وبالتالي فقدت قبيلة اليحمد حيويتها كاتحاد وقوة حاكمة مع سقوط تحالفاتها القبلية جراء التنافس القبلي على الرئاسة واقتصـار حكمها على منطقة سكنها حول الرستاق، فاستغلال النباهنة ذلك الفراغ لتعزيز موقعهم داخل البلاد.

والحاصـل أنه مع صـعود اليعاربة وقيام ناصر بن مرشد بحركة إحياء الإمامة الإباضية، بـرزت مرة أخرى قبيلة اليحمـد تطفو على الوجود في التاريخ العماني، حيث سـارعت قبيلة اليحمد إلى تأييد ومساندة الإمام ناصر بن مرشد، وذلك باعتبارها صاحبة إرث أيديولوجي تاريخي متعلق بالسلطة والإمامة، وكحارسة لذلك الإرث الديني والسياسي، والتي تبحث عن هوية لها عبر العقيدة الدينية [3].

---

(1)- سليمان بن خلف بن محمد الخروصي ، ملامح من التاريخ العماني، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، ط3 ،سلطنة عمان، السيب 2002 ، ص. 105

(2)- جون ولكنسون . مرجع سابق، ص.24

(3)- المرجع نفسه، ص.24

وهكذا نري أنها كانت تسعى دائما إلى أن تكون ضمن دائرة السلطة والنفوذ، إما بتبنيها ومساندة مشروع الإمامة من خارجها أو بالاستحواذ عليها.

2 - المرحلة الثانية: إخضاع المناطق الداخلية

استهدفت هذه المرحلة إخضاع المناطق الداخلية في عمان لسلطة الإمامة الإباضية بزعامة اليعاربة. واتسمت بتوافد القبائل المساندة لإحياء الإمامة الإباضية تحت سلطة ناصر بن مرشد، وبالحركات الارتدادية وبروز معارضين من رؤساء القبائل ضد سلطة الإمام، في مجال لم يعتد سكانها الخضوع لسلطة قومية واحدة جامعة.

وقد أجبرت الأحداث دائما الإمام على الرجوع وتكثيف وتشتيت جهوده الحربية في المناطق المتمردة على سلطته، والتي أدت إلى بطء في مسيرة توحيد المجال، وكذلك استنزاف طاقات الإمام ناصر بن مرشد .

لقد كانت البداية من نزوى(بيضة الإسلام) حيث قدم الرسل منها يدعون الإمام ناصر بن مرشد لدخول نزوى والخضوع لطاعة الإمام بدون قتال « فأجابهم إلى ذلك ولم يعز على تركها» [1].

فمدينة نزوى ذات أهمية دينية وسياسية فهي (بيضة الإسلام) العاصمة التاريخية والشرعية للإمامة الإباضية ومهد العلماء الإباضيين. والاستحواذ عليها يعني القضاء على معارضي فكرة الإمامة وكسب المؤيدين وإضفاء الشرعية على حكمه. مما يعلل أسباب إلحاح وتصميم الإمام على دخولها.

سار الإمام ناصر بن مرشد إلى نزوى بجيشه ولكنهم خذلوه برغم عهودهم له بالمساندة والتأييد، وربما يرجع أسباب ذلك النكث إلى الأزمة والصراع بين الرستاقية- النزوانية والمنافسة بينهما، وبروز علاقة القبيلة بالأرض كأساس إستراتيجي للقوة والسلطة، والذي نتج عنها معارضة بعض رؤساء وأعيان نزوى لسلطة الإمامة بقيادة اليعاربة.

انتهج الإمام منذ البداية سياسة المصالحة والسلم في إخضاع المجال الداخلي لعمان ونهج التحالفات القبلية تحت سلطة الإمامة الإباضية بزعامة اليعاربة، وعدم اللجوء لاستخدام

---

(1)- ابن قيصر، مصدر سابق، ص. 13

القوة إلا عند الضرورة .

كما أن من الواضح أن مشروع الإمامة الإباضية كان يحظى بتأييد عدد من العصبيات القبلية التي أيدت وساندت مشروع الإمام في توحيد المجال والجهاد تحت سلطة الإمامة الإباضية بعد قرون من الفرقة والاقتتال والأزمات، فدخلت مدينة سمائل في طاعة الإمام بمساندة قبيلة بني رواحة وعصبة من قوم مانع بن سنان العميري صاحب سمائل، مما اضطره للدخول مع الإمام ناصر بن مرشد في تحالف وتأييد مشروعه الضخم.

لقد اتفق الطرفان على دخول نزوى لما تشكله من أهمية في ذلك المشروع، وفي طريقة لها ساندته عصبة من أهل أزكي، فاستطاع بفضلهم إخضاع مدينتهم، ثم كان له أن يدخل نزوى في حالة خضوع وسلم نظرا إلى التفاف القبائل حول سلطته.

ومع ذلك واجه الإمام ناصر بن مرشد بعض المعارضة من رؤساء أهل العقر (أمبو سعيد) الذين كانوا يسيطرون على المجال، وأيضا من بعض أهل نزوى الذين كرهوا الخضوع لسلطة الإمامة الإباضية حيث اشتعلت فيهم العصبية والحمية والسلطة « فتسفهت أحلامهم ومن سار معهم من أهل سوق نزوى »[1]، ولكن تمت هزيمتهم فالتجوا إلى صاحب سمائل مانع ابن سنان العميري الذي نكث بوعوده للإمام ناصر بن مرشد.

والواضح من خلال مجريات الأحداث أن مانع بن سنان العميري كان برغماتيا وغير صادق في وعوده وبيعته للإمام، بحيث أظهر الولاء والطاعة للإمام في انتظار فرصة مواتيه للانقلاب عليه « مضمرا للعداوة قادحا في الدولة، يعطي العهد وينقضه. ويذعن للطاعة وينكث، ويطلب للإمام الغوائل ويلتمس للدولة الخلل»[2]. أما القسم الآخر من الهاربين من نزوى فقد أيدهم وآزرهم سيف بن محمد الهنائي صاحب بهلى.

في هذه الأثناء كان الإمام ناصر بن مرشد يقوي مركزه وحصونه في نزوى ويحشد الأتباع ويستقبل الوفود من القبائل المساندة لدعوته، فقدمت قبائل الشرقية تؤيده وتناصره للوقوف إلى جانبه ومساعدته، وبذلك استطاع دخول منح و سمد والشان وأبرا. وخضعت له سائر منطقة الشرقية ذات الأهمية الاقتصادية والسياسية، وهكذا لم يبق خارج سلطته سوى المناطق الساحلية التي كانت في يد البرتغاليين.

---

(1)- ابن قيصر ، مصدر سابق ،ص. 16

(2)- السالمي، مصدر سابق ،ج2، ص.10

لقد استمر ناصر بن مرشد في توحيد المجال الداخلي لعمان برغم الارتدادات التي حصلت ونكث بعض القبائل لبيعتهم وطاعة الإمام وبروز المعارضين والتحالفات من رؤساء القبائل ضده، كما حصل في نخل وخروج محمد بن جيفر صاحب أبرا عليها، مما أجبره على العودة بسرعة بجيشه إلى قرية نخل ففر منها محمد بن جيفر مع جنده .

كما تمكن العميري صاحب سمائل والهنائي صاحب بهلى من دخول نزوى، وذلك بمساندة بعض قبائل فيها، ولكن تغلب عليهم الإمام بعد معركة شديدة كاد يهزم بها لولا المدد الذي جاءه من بهلى وأزكي ومن معهم بني ريام.

فاضطر الهنائي صاحب بهلى إلى الفرار إلى حصن له يسمى(دار سيت) فلحق به الإمام فهزمه، ثم بعد ذلك أتى إلى الإمام ناصر بن مرشد يطلب العفو والسماح فعفا عنه، أما مانع ابن سنان العميري فلجأ إلى (فنجا) فلحق به الإمام ولكنه فر إلى مسقط ، إلا أنه قتل بعد ذلك غيلة [1].

كما واجه الإمام ناصر بن مرشد معارضيه من آل الجبور في منطقة الظاهرة. والذين ساندتهم قبيلة أولاد الريس وبني هلال. فوقعت بين الطرفين معارك عنيفة وقاسية على دولة الإمامة الإباضية «حتى كاد ركن الإسلام يتضعضع » [2]. كالوقائع التي حصلت في العجيفة والغابة والمطهرة والزيادة.

ومن جراء تلك المعارك أيضا، قتل أخ الإمام جاعد بن مرشد ، كما شكلت هجمات ناصر ابن قطن الهلالي[3] بمساندة بعض القبائل ومن بينها قبيلة بني ياس[4]، انطلاقا من منطقة الإحساء بالغ الخطر ومصدر إزعاج لدولة الإمامة الإباضية.

....

(1)- تم التخلص من ملك سمائل (مانع بن سنان العميري) وأتباعه عن طريق الخديعة و الحيلة، بواسطة صاحب حصن لوي (مداد ابن هلوان)، بعد أن استأذن الإمام في ذلك فأذن له.

(2)- مؤلف مجهول ، قصص وأخبار جرت في عمان، ،مصدر سابق، ص.103

(3)- ناصر بن قطن الهلالي: من قبيلة بني هلال، كان يحكم مدينة ينقل قبل أن يخرج منها جراء استحواذ الإمام ناصر ابن مرشد عليها.

(4)- بني ياس: قبيلة عدنانية ويرجع نسبها إلى: ياس بن عامر بن صعصعة بن بكر بن هوازن بن منصور، سكنت مناطق لوى والظفرة وأبوظبي ودبي والعين.

3 - المرحلة الثالثة: المواجهة مع البرتغاليين وإخضاع الساحل

تركزت الجهود في هذه المرحلة في اتجاه بناء الدولة وترسيخ دعائمها، فاتخذت أسلوب المواجهة العنيفة مع البرتغاليين وإخضاع المناطق الساحلية، ولقد استطاع ناصر بن مرشد أن يوحد المجال الداخلي نسبيا، ولكنه كان يصدم دائما بفرار والتجاء معارضيه إلى مدن الساحلية التي يسيطر عليها البرتغاليون، واتخذها نقطة لتجمع وحشد الأتباع.

ثم إن البرتغاليين حاولوا زرع الانشقاق والفرقة بتأيدهم رؤساء القبائل الفارين إليهم[1]، وذلك بإمدادهم بالسلاح والمؤن وذلك خوفا على مصالحهم من تهديد واتساع نفوذ وسيطرة الإمام ناصر بن مرشد على الساحل والقضاء على نفوذهم، في فترة كانت البرتغال تعاني فيه من الضعف والتفكك في مقابل بروز قوى أوربية طامحة في الساحة العالمية، مما جعل البرتغاليين يتخذون أسلوب المواجهة الغير المباشرة مع الإمام ناصر بن مرشد. وذلك عن طريق مد يد المساعدة للرافضين لسلطة الإمامة.

كان الإمام ناصر بن مرشد يدرك أن إخضاع المناطق الساحلية التي تحت سيطرة البرتغاليين ليس بالأمر السهل، نظرا لقوة الخصم القادم المتفوق عسكريا وتسليحا واستعدادا. وأن العملية تتطلب في البداية وحدة الجبهة الداخلية تحت سلطته.

ثم إن المناطق الساحلية أضحت ملاذا للمعارضين الفارين من قبضة الإمام، ومنطلقا ونقطة للهجوم على دولة الإمامة الإباضية ومصدر للإزعاج والخطورة. وذلك بإمداد ومساندة من البرتغاليين.

كما أن الأهمية الاقتصادية للمناطق الساحلية سيجعل الاستحواذ عليها منطلقا لانفتاح دولة الإمامة على ثروات ما وراء البحار والاستفادة منها وتوسعها. بعد أن حرمت عمان لفترة طويلة من الاستفادة من ثروات التجارة البحرية. وبالتالي في حالة الاستحواذ عليها ستكون الإمامة البديل المثالي والطبيعي للاستعمار البرتغالي في تجارة العبور واستثمارها، مما سوف يؤمن لعمان مصدر دخل هام من خلال تحكمها على مراكز تجارة العبور.

---

(1)- أمثال :مانع بن سنان العميري وأخوة سيف بن محمد بن جيفر وأعيان قومه الذين التجأوا إلى البرتغاليين في صحار.

وعلاوة على ذلك كله تبرز أهمية العامل الديني المتمثل(بجهاد أعداء الإسلام) ومقاومة المستعمر البرتغالي، ورفع راية الجهاد، وهكذا أضحت الأمور تنذر بحتمية المواجهة بينهما.

قام الإمام ناصر بن مرشد بتجهيز جيش بقيادة مسعود بن رمضان النبهاني للسير باتجاه مسقط، والتي كانت تحت قبضة البرتغاليين بغرض إخضاعها. وبعد حصار استمر ما يقارب أربعة أشهر، جرت خلالها معارك عنيفة، تم بها تدمير حصون ومعاقل البرتغاليين وقواته. وانتصر خلالها جيش الشراة.

ولكن من الواضح أنه كان نصرا جزئيا ،اكتفى فيه الإمام بفرض شروطه عليهم. لذلك اتفق الطرفين على الصلح. فكانت شروطه على النحو التالي[1]:

- يقوم البرتغاليون بتسليم الأموال التي بحوزتهم في صحار.
- دفع الجزية سنوية لدولة الإمامة الإباضية.
- إعفاء أهل المناطق الداخلية من دفع رسوم الجمركية على وارداتها.
- لا يجوز للبرتغاليين إقامة أية تحصينات خارج حدود مدينة مسقط.
- حرية التجارة.
- هدم قلعتي قريات وصور.

لقد كانت معركة مسقط بمثابة اختبار عملي حقيقي لقوة الطرفين، ومحاولة جس نبض لمعرفة القدرات العسكرية للبرتغاليين ومدى ردود أفعالها.

وقد أدرك اليعاربة حالة الضعف التي وصلت إليها القوات البرتغالية في عمان وإمكانية تحرير بلادهم من استعمار دام أكثر من قرن من الزمان، مما شجع الإمام على إرسال جيش بقيادة علي بن أحمد لإخضاع جلفار(الصير)، والتي كانت تحت قبضة الفرس بزعامة ناصر الدين العجمي، بالإضافة إلى الحامية البرتغالية التي تسانده. في القلعة الأخرى.

لقد كانت جلفار أكبر نقطة ضعف في واجهة عمان البحرية ونقطة غير محصنة للهجوم

(1) سالم بن محمد بن سالم الرواحي، مرجع سابق، ص.86

كما عرض الأستاذ (فالح حنظل) اتفاقيات الصلح التي جرت بين العمانيين والبرتغاليين (للمزيد انظر: فالح حنظل، العرب والبرتغال في التاريخ، مرجع سابق، ص 513 – 516)

على منطقة عمان الداخلية[1]، فمن خلالها تمت كل اختراقات القوات الإسلامية (الأموية والعباسية) نظرا للسهولة النسبية لاختراقها، فهي تتمتع بالسهول في الجانب الغربي والتي تتوافر على آبار الماء، وبالتالي فهي تغدو كممر وامتداد بري عابر للجبال يصل إلى قلب المناطق الداخلية لعمان.

وقد شكل موقع جلفار الاستراتيجي بالنسبة للبرتغاليين كنقطة دفاعية هامة، بالإضافة إلى أهميتها في التحكم البحري بمضيق هرمز ومراقبة السفن وإخضاعها، أما بالنسبة للعمانيين، فهي الدرع الخلفي للمناطق العمانية الداخلية والاستحواذ عليها يعني التأمين الدفاعي للخط الخلفي.

لقد ظلت المعارك فترة طويلة بين الطرفين، إلا أن حقق جيش الشراة انتصارا كاملا، تم على إثره طرد الحامية البرتغالية وبناء حصن جديد ليكون مقرا لحامية الإمام وذلك في سنة(1043هـ/ 1633م)، ثم توجه الجيش بقيادة علي بن أحمد إلى دبا لمتابعة انتصاراته، فاستحوذ عليها من يد البرتغاليين، ثم رجع القائد علي بن أحمد مع جنده إلى نزوى.

كان اتجاه الإمام بعد جلفار بإرساله جيش إلى صحار بقيادة حافظ بن سيف،حيث دارت بين جيش الإمام والبرتغاليين معارك طويلة اتفق خلالها الطرفان على الصلح، ثم إن الإمام جهز جيشا إلى صور فتم إخضاعها بعد أن حاصرها، ثم توجه الجيش إلى قريات والتي كان بها حصن وحامية برتغالية تم إخضاعها وبناء حصن فيها.

لقد تمكن الإمام ناصر بن مرشد من إخضاع جميع أقاليم عمان لسلطته، ما عدا مسقط وصحار، اللتين بقيتا في قبضة البرتغاليين مقابل الصلح بين الطرفين، والواقع أن سيطرة البرتغاليين على هذين الثغرين أصبحت سيطرة شكلية دون فاعلية.

وهكذا اكتمال مشروع إقامة وبناء دولة الإمامة الإباضية من جديد بزعامة اليعاربة وتوحيد جميع أجزاء عمان نسبيا بقيادة موحده، لتنطلق عمان في عهد جديد في بناء مجتمع الإمامة الإباضية، حيث مهد الإمام ناصر بن مرشد الذي استمر حكمه ستة وعشرون عاما (ابتداء 1624 حتى 1649م) الطريق لخلفائه نحو بناء إمبراطورية عمانية فيما وراء البحار، عرفت بكتب التاريخ بدولة عمان الكبرى، وبداية مفهوم الدولة القومية الواحدة لدى المجتمع القبلي العماني، وطرد البرتغاليين نهائيا من أراضيهم، بل وملاحقتهم فيما وراء البحار.

(1)- جون ولكنسون ، مرجع سابق، ص. 71

الخاتمة

ثمة مجموعة من الملاحظات والاستنتاجات، يستوجب التطرق إليها في نهاية هذا البحث.

إن الوضع والظرفية اللذين شكلا الإطار الزمني لدراستنا عرفا تغييرا ملحوظا في شتى المجالات، وذلك بعد نجاح مشروع إحياء دولة الإمامة الإباضية بزعامة اليعاربة.

إن النتيجة التي يمكن استخلاصها من البحث هي أن بنيات المجتمع العماني قبل دولة اليعاربة، كانت هشة وغير متماسكة ومليئة بالتناقضات والأحداث والتداعيات. حيث أظهرت الأحداث العلاقة غير المتكافئة بين المدن الساحلية ذات الحركية والتغيير والثروة، وبين المدن الداخلية ذات البنيات الجامدة القليلة بمواردها الاقتصادية، والمؤدلجة بثبات لأيديولوجية وفكرة الإمامة الإباضية كأساس للسلطة، لذلك سوف نلاحظ ازدياد لتلك العلاقة الغير متكافئة مع وصول دولة اليعاربة للحكم، وبروز الأهمية البالغة للمشهد التجاري البحري بالنسبة للمجتمع العماني.

إن الفوضى السياسية وضعف تماسك بنيات المجتمع، وعدم القدرة على بناء مشروع الدولة الواحدة القومية، يرجع بالأساس إلى وجود منطق ثنائي يحكم بنياته: (المدن الساحلية/ المدن الداخلية) (أئمة إباضيين / رؤساء القبائل أو الجبابرة)، والتي فرضتها وأحدثتها الأحداث والتداعيات والتنازع على السلطة والثروة، والواقع أن هذه الثنائية استطاعت أن تخلخل وتأزم بنيات المجتمع وتدخله في دوامة الصراعات الداخلية وأطماع القوى الأجنبية الطامحة للسيطرة على المدن الساحلية العمانية ذات الأهمية الاقتصادية.

لقد أظهرت الأحداث أن الخلافات والعصبية القبلية كامنة وموجودة باستمرار حتى في ظل الإمامة الإباضية وسيطرتها على الحكم، فحينما يطلق العنان للطموحات السياسية فإن

الكلمة تكون للنعرات والتأييد القبلي. بحيث ظلت دولة الإمامة الإباضية بناء فوقيا لم يستطع اختراق التركيبة الفسيفسائية القبلية، مما أدى إلى أن « تنبذ العصبية الشورى لتبقي على مفهوم الوراثة في السلطة. كقيمة عصبية جاهلية» [1].

لقد كان أول استعمار أجنبي للخليج (البرتغالي) عبارة عن جامع لثروات الشرق، ويتحصن ويتمركز في المناطق الساحلية لحماية مكتسباته ومصالحه وثروته. وتعامل مع عمان كمجال مادي وبطريقة برغماتية. حيث إنه لم يعمل على إدماج وإدخال المجتمع في معادلة البناء والثروة. و لم يسهم في خلق طبقة تجارية تشارك في البناء وازدهار المجتمع.

ولكن برغم ذلك نجد أنه على مدي فترة استعماره، أحدث عاصفة من التحولات في نطاق الأساليب القديمة في التفكير والعقلية بشأن العالم والمجتمع والمصير البشري. وأحدث أثار سوسيو- ثقافية وتطورات جذرية اتضحت معالمها مع ظهور دولة اليعاربة، وأصبحت دولتها على حد تعبير جورج بالانديه : « كواحدة من الأشكال التاريخية الممكنة التي بواسطتها تؤكد جماعة ما وحدتها السياسية وتحقق مصيرها» [2].

أدرك اليعاربة نقاط ضعف بحريتهم في مقابل نقاط قوة بحرية العدو، لذلك حاولوا محاكاتها ومضاعفة حجم سفنهم.حتى قال مايلز :«إنه على الرغم من تضخم الأسطول العماني إلا إننا لا نعرف تعداد سفنه، ولكن ما نعرفه أن بعضها قد بني على الطراز الأوروبي والبعض الآخر على الطراز العربي والشرقي، ولكن بلا جدال كانت مسلحة تسليحا ممتازا ومعدة إعدادا رائعا، وتحقق هدفان في وقت واحد، الهدف الحربي والهدف الاقتصادي» [3].

كما برز اهتمام العمانيين بتدوين وتقصي تاريخهم منذ عهد اليعاربة. والوعي بضرورة تدوين تاريخهم وأمجادهم وعدم الاقتصار على اللغة والأدب وعلوم الدين، وينطبق على ذلك الواقع مقولة ايف لاكوست:«إن الفكر التاريخي لكي يتطور ويتماسك لا يتطلب بالضرورة مجموعة معقدة من المناسبات المؤاتية والشروط الثقافية والسياسية والاجتماعية» [4]، وبالتالي

(1)- عبد العزيز قباني، العصبية بنية المجتمع العربي. دار الآفاق الجديد. ط1. بيروت 1997، ص. 73

(2)- (2) جورج بالاندية GEORGES BALANDIEN، مرجع سابق ،ص. 153

(3)- مجموعة باحثين ، عمان عبر التاريخ، منشورات دار اميل للنشر المحدود-لندن بالتعاون مع وزارة الأعلام ،سلطنة عمان1995، ص. 332-331

(4)- ايف لاكوست، العلامة ابن خلدون، مرجع سابق، ص. 172

كان صعود اليعاربة وإحياء الإمامة الإباضية وبناء الدولة القومية الواحدة بانجازاتها، سببا في ازدهار الفكر والوعي التاريخي والتطور الثقافي بشكل عام. وهو ما أكده موريس دو فرجيه بقوله: « والثقافة هي بشكل ما ذاكرة المجتمعات الواعية وغير الواعية وهي تختصر جملة التحولات والتقدم المنجز منذ البدء وهي تحول دون زوالها» [1].

لقد وضحت معالم ازدهار ونمو الثروات على المجتمع العماني، فدخلت منتوجات زراعية جديدة من وراء البحار. وتم تشييد الحصون والقلاع والأفلاج. وبناء السفن والتوسع فيما وراء البحار. وبالتالي اتساع حجم التغييرات والتحولات التي أصابت بناءه السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي. والتي بظاهرها حداثية.

ولكن برغم ذلك ظلت دولة الإمامة الإباضية العمانية أسيره في أدائها لوظائفها وتسييرها لأمور مؤسساتها محكومة بجذورها التقليدية القبلية والدعوة الإباضية بقيادة علمائها المقاومة للتغيير والمعارضة لمركزية السلطة وتطوير بنياته، فنجد بأنه لم يحدث تطوير أساسي في بنيات ومؤسسات الدولة الحضرية واستغلال الأرض، كما لم يبرز مكان واحد ليصبح عاصمة بالمعنى الكامل لهذه الكلمة.

لقد حاولنا من خلال هذا الدراسة رصد مظاهر إحياء الإمامة الإباضية واللحظة التاريخية لميلاد دولة اليعاربة. وتبيان الدور البارز الذي أداه العلماء الإباضيون في إحياء الإمامة الإباضية، حيث من الملاحظ بأن دعوة إحياء الإمامة الإباضية قامت على أكتاف العلماء الإباضيين. وذلك بالبحث وانتخاب إمام لهم عن طريق الشورى والإجماع والانعقاد.

لكن في الواقع أنهم كانوا مجرد عنصر لتزكية إحدى القوى الفاعلة في المجال. أي من يمتلك عصبية قبلية تؤمن نجاح مشروع إحياء الإمامة الإباضية. كما برهنت الأحداث أنه كلما قويت سلطة وشخصية الإمام المنتخب التي يفرض بها العدل والاحترام والطاعة والنظام، كلما ضعفت سيطرة وسلطة العلماء الإباضيين وفعالية العصبية القبلية في المجتمع العماني. والعكس صحيح إذا ضعفت سلطة الإمام المنتخب، حيث يؤدي ذلك إلى بروز واشتعال صراع العصبية- الدين في المجتمع العماني.

كما حاولت الدراسة توضيح الدور الرمزي الهام الذي لعبته المناطق الداخلية ونزوى بشكل خاص، في عملية مشروعية الحكم وإقامة دولة الإمامة الإباضية، فهي مهد وبيضة

(1)- موريس دو فرجيةMAURICE DUVERGER، مرجع سابق، ص. 84

الإسـلام التي تحتضن جل العلماء الإباضيين ومنها يستمد العلماء الإباضيون والأئمة قوتهم وشرعيتهم.

كما حاولنا إيضـاح الدور الذي أدته الكرامة في داخل المجتمع العماني من خلال الموروث الشـعبي والمتخيل الجماعي الاجتماعي، كأداة من أدوات المشـروعية لدولة اليعاربة، والواقع أن هذا العنصر كان ذا فعالية في تأييد صاحبه (ناصر بن مرشد) وإظهاره بمظهر (الحق) وتزكية عدالة قضيته. بالإضافة إلى أنها ترسم لنا صورة لشخصيته.

ومن ثم حاولت هذه الدراسـة إظهار وتوضـيح تبعات اسـتخدام أدوات رمزية ومعنوية كالمناقب والكرامات في داخل المجتمع العماني، وميلاد دولة اليعاربة المتمثلة بشخصية ناصر ابن مرشد.

ومـن الملاحـظ أيضـا أثناء تتبعنا لمسـار تأسـيس دولـة اليعاربـة، أن الإمـام ناصـر بن مرشـد اعتمد على مسـارين في تعامله لإخضاع المجال، وشـرعنة الحكم في المجال القبلي العماني:

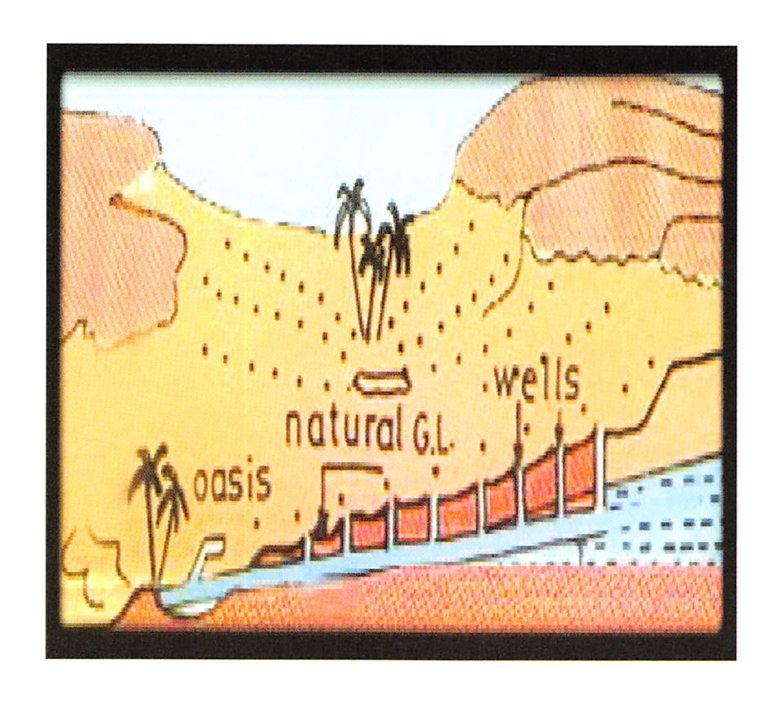
1. اسـتخدام العامل الديني كأسـاس لمشروعيتهم واسـتقطاب القبائل. حيث عملـت الدعوة الإباضـية وعلماءها على نشـر فكـرة إحياء الإمامة الإباضـية الراغبة في توحيد المجال وجميع المسلمين (الإباضيين).
2. طريقة المواجهة لإخضـاع القبائل المتمردة، وتوحيد المجال بطرد المسـتعمر البرتغالي من سواحله.

- تمت -

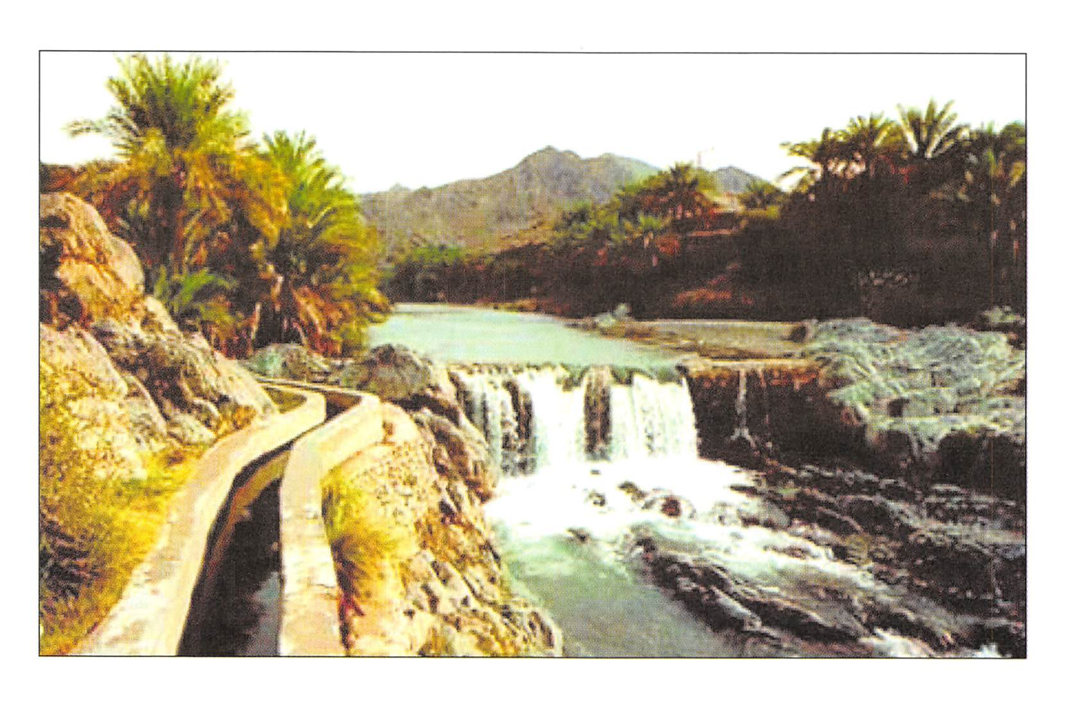
الملاحق



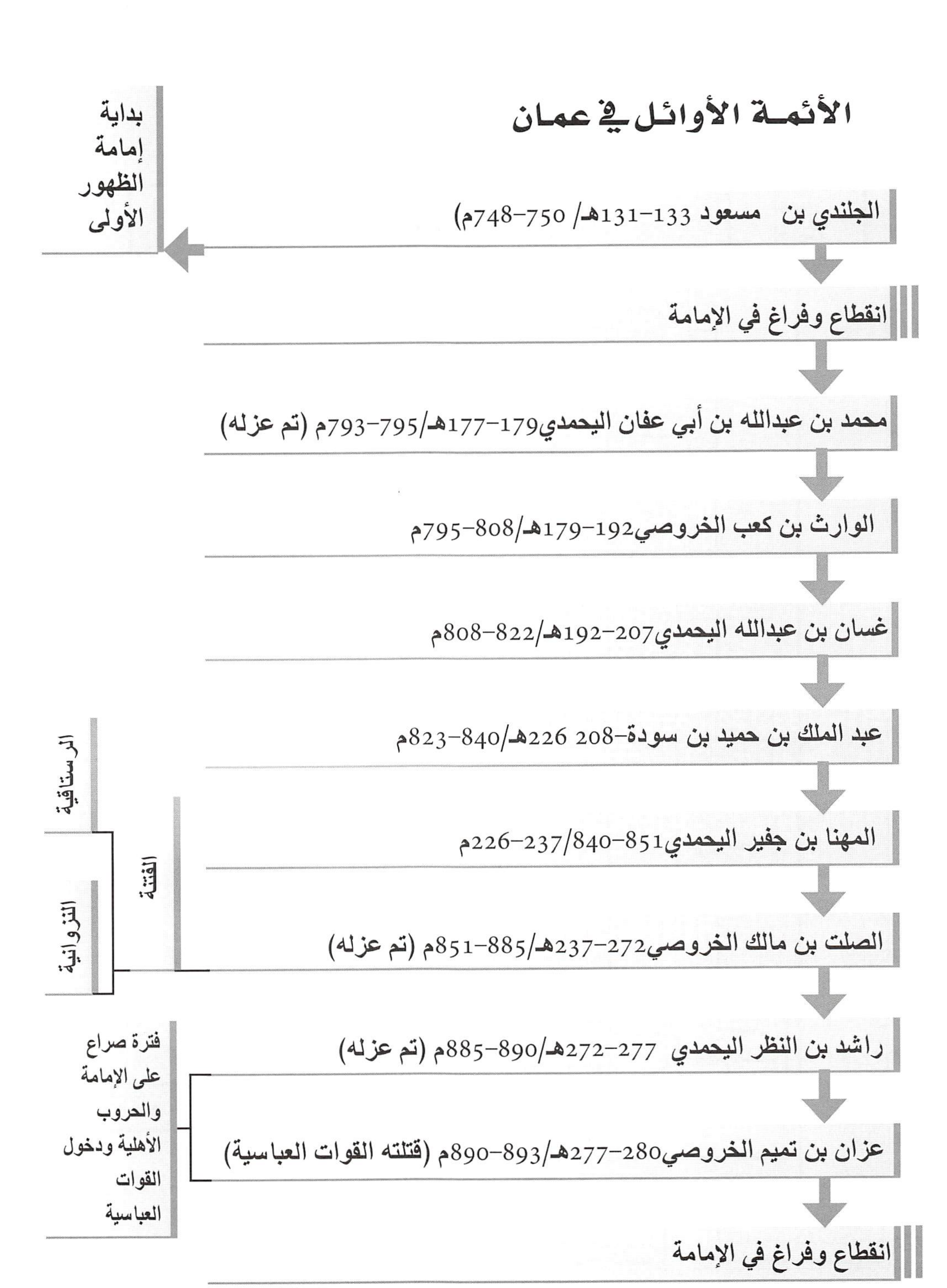
خريطة عامة لسلطنة عمان

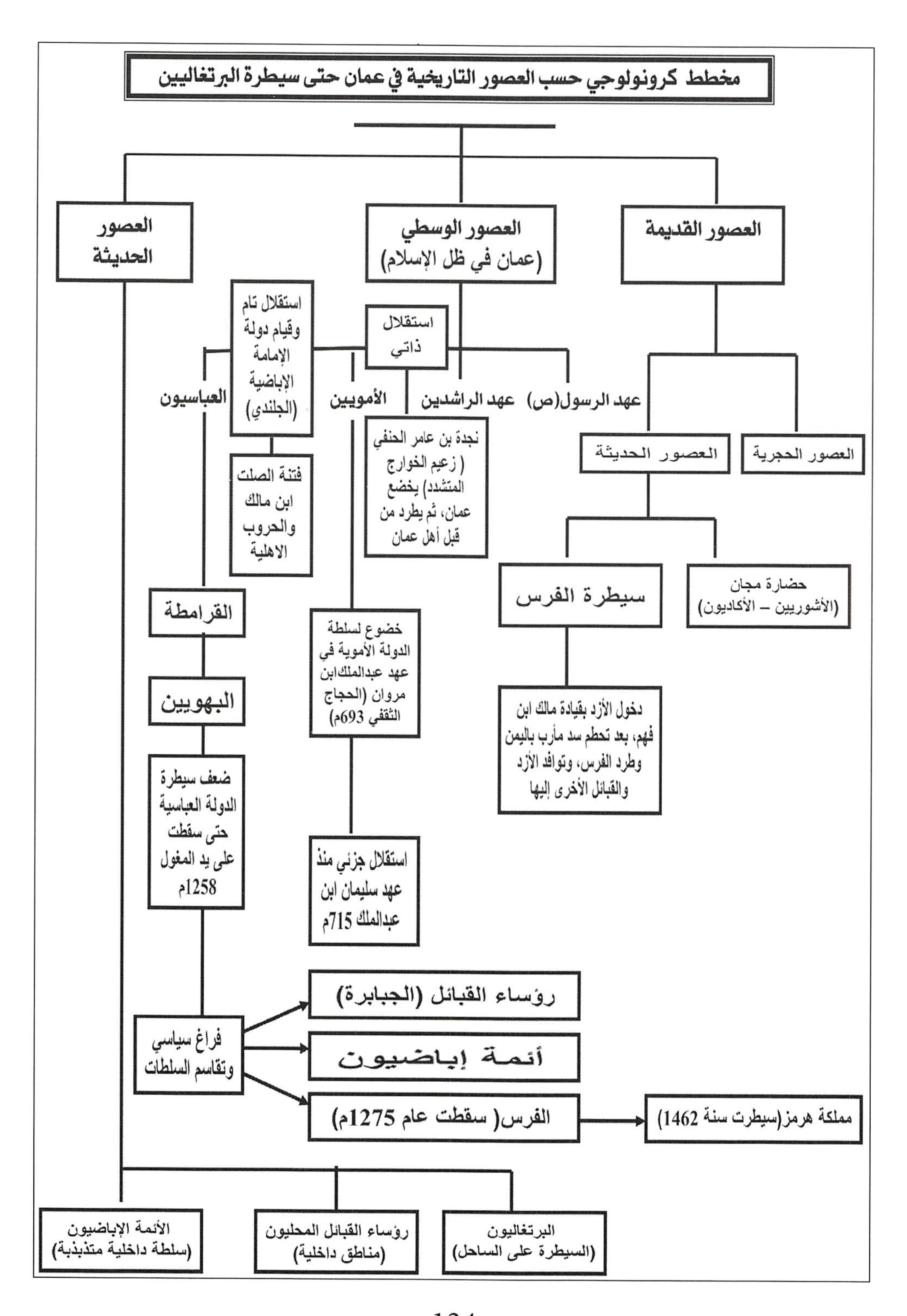


شكل نموذج لطريقة عمل الافلاج

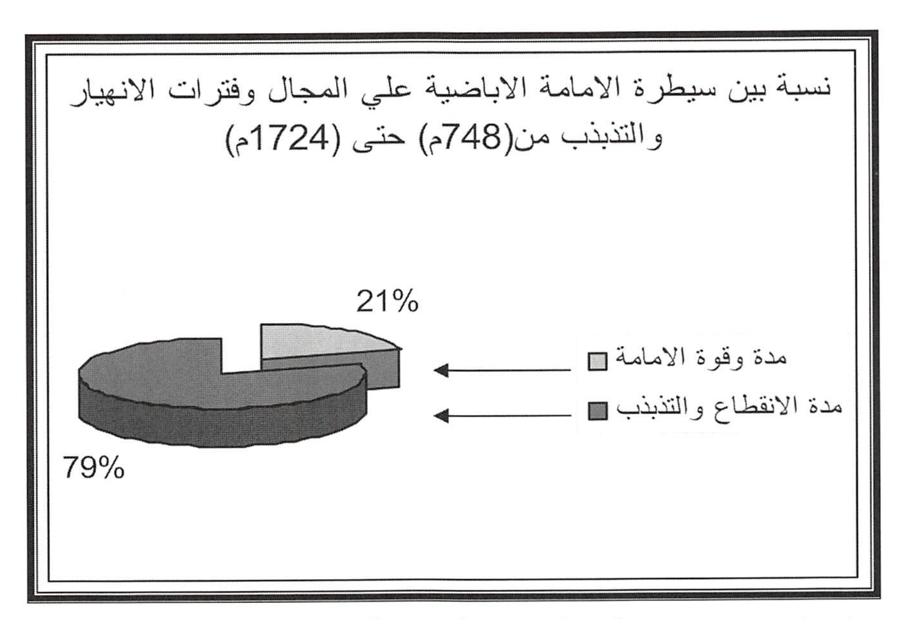


فلج في نزوى


الأئمة الأوائل في عمان
بداية إمامة الظهور الأولى
الجلندي بن مسعود 131-133هـ/ 750-748م)
انقطاع وفراغ في الإمامة
محمد بن عبدالله بن أبي عفان اليحمدي177-179هـ/795-793م (تم عزله)
الوارث بن كعب الخروصي179-192هـ/808-795م
غسان بن عبدالله اليحمدي192-207هـ/822-808م
عبد الملك بن حميد بن سودة208- 226هـ/840-823م
المهنا بن جفير اليحمدي226-237/840-851م
الصلت بن مالك الخروصي237-272هـ/885-851م (تم عزله)
راشد بن النظر اليحمدي 272-277هـ/890-885م (تم عزله)
عزان بن تميم الخروصي277-280هـ/893-890م (قتلته القوات العباسية)
انقطاع وفراغ في الإمامة
الرستاقية
الفتنة
النزوانية
فترة صراع على الإمامة والحروب الأهلية ودخول القوات العباسية



مخطط كرونولوجي حسب العصور التاريخية في عمان حتى سيطرة البرتغاليين
العصور القديمة
العصور الوسطي (عمان في ظل الإسلام)
العصور الحديثة
العصور الحجرية
العصور الحديثة
حضارة مجان (الأشوريين – الأكاديون)
سيطرة الفرس
دخول الأزد بقيادة مالك ابن فهم، بعد تحطم سد مأرب باليمن وطرد الفرس، وتوافد الأزد والقبائل الأخرى إليها
عهد الرسول(ص)
عهد الراشدين
استقلال ذاتي
الأمويين
العباسيون
نجدة بن عامر الحنفي (زعيم الخوارج المتشدد) يخضع عمان، ثم يطرد من قبل أهل عمان
خضوع لسلطة الدولة الأموية في عهد عبدالملك ابن مروان (الحجاج الثقفي 693م)
استقلال جزئي منذ عهد سليمان ابن عبدالملك 715م
استقلال تام وقيام دولة الإمامة الإباضية (الجلندي)
فتنة الصلت ابن مالك والحروب الاهلية
القرامطة
البهويين
ضعف سيطرة الدولة العباسية حتى سقطت على يد المغول 1258م
فراغ سياسي وتقاسم السلطات
رؤساء القبائل (الجبابرة)
أئمة إباضيون
الفرس(سقطت عام 1275م)
مملكة هرمز(سيطرت سنة 1462)
الأئمة الإباضيون (سلطة داخلية متذبذبة)
رؤساء القبائل المحليون (مناطق داخلية)
البرتغاليون (السيطرة على الساحل)



رسم بياني تقريبي يوضح النسبة بين قوة الإمامة الإباضية وسيطرتها على المجال حتى نهاية دولة اليعاربة في مقابل أوقات الانهيار والتذبذب



خريطة للخليج 1548

(المصدر: THE GULF IN THE HISTORIC MAPS 1493-1931-EDITED BY SULTAN BIN M-
HAMMAD AL-QASIMI PHD –P20)

90

صفحة من مخطوط يوميات الرحلة الأولى لفاسكو دا غاما إلي الهند 1497-1499 (المصدر: كتاب بيان للمؤرخين الأماجد في براءة ابن ماجد- د/سلطان بن محمد القاسمي-الطبعة الاولي2000)

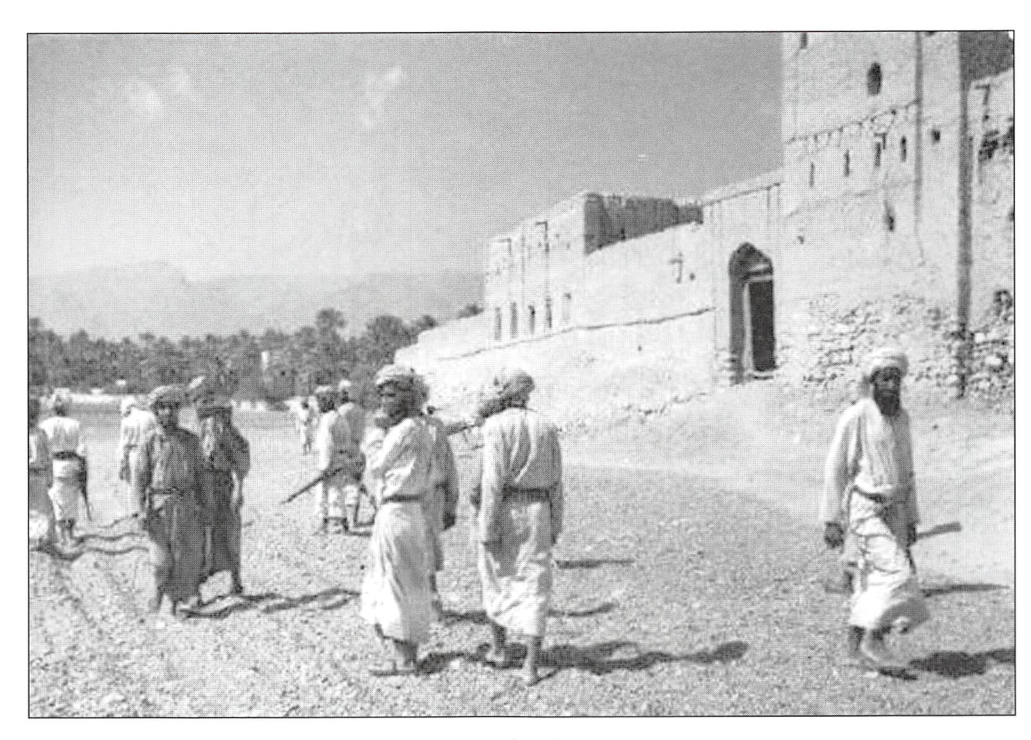
تسعمائة خرج بركات بن محمد من حصن بهلا ودخله حمير بن محمد بن حمير بن علي بن هلال وذلك بعد
ان دخل السلطان الاعظم سلطان بن المحسن بن سليمان بن نبهان نزوى وملكها في سنة اربع وستين
بعد تسعمائة ثم ثبت حصن بهلا في يد محمد بن حمير الى ان اشتراه منه الاعجمي بثلاث مائة لك
ودخل الاعجمي حصن بهلا يوم الثلثا لتسع ليال بقين من شهر جمادى الاخرى سنة سبع وستين
بعد تسعمائة ولعله كان الامام عمر بن قاسم الفضيلي قبل امامة بركات بن محمد بن اسماعيل والله اعلم
ثم نصب الامام عبد الله بن محمد القرن في ضحى يوم الجمعة لخمس عشرة يوما خلت من شهر رجب سنة
سبع وستين وتسعمائة سنة ودخل حصن بهلا يوم الاثنين لليلتين بقيتا من هذا الشهر
من هذا الشهر من هذه السنة ثم لما كان ليلة الاربعا لثلاث ليال بقين من رمضان سنة ثماني
وستين بعد تسعمائة سنة دخل بركات بن محمد بن اسماعيل حصن بهلا واخرجوا منه عبد الله بن محمد
القرن وكان الشيخ الفقيه احمد بن مداد برئ من محمد بن اسماعيل وولده بركات بن محمد رحمه الله تعالى في سيرته
لمن دينا الذي ندين به لله البراءة من اسماعيل بجبايته الزكاة من رعيته بالجبر من غير حماية
لهم ومنع من الجور والظلم لانه قد جاء في اثار المسلمين المشهورة عنهم الصحيحة ومن دين المسلمين ان
لا يجبوا جزية ولا صدقة حتى يكونوا على الناس حكاما ويمنعوا من جبوا من الظلم والعدوان
ومن دين المسلمين ان لا يسعوا احكامهم يجبوا ارضا لم يحموها ولم يمنعوها وقال محمد بن محبوب انه
ليس للامام ان يجبي قوما ولا ياخذ صدقاتهم وهو لا يمنعهم من ان يجار عليهم فاذا فعل ذلك فقد
جار عليهم ولا فرق بينه وبين اهل الجور الذين ياخذون منهم وليس للامام ان ياخذ من هولاء
شيا ولا يتعدى عليهم لزوال الولاية بالحماية لهم ومنع ومن دين المسلمين ان لا يجتمع خراج وزكاة
من رعية واحدة وندين لله عز وجل بالبراءة من محمد بن اسماعيل بجبره الرعية على شراء الزكاة
من ثمرة النخل بما تقومه عماله من الدنانير واخذه لتلك القيمة بالجبر منهم لان الجبر من الامام على
شراء الزكاة من الحب والتمر قبل قبضها وبعد قبضها لا يجوز في دين المسلمين اذ الجبر على الشراء في
الاملاك لا تجوز بالكتاب والسنة واجماع الامة وكذلك لا يجوز البيع الا في حال الحكرة
والضرورة والامتناع من البائع عن تسليم حق واجب ليس تسليمه لغيره وليس في هذا اختلاف بالرأي
وندين لله عز وجل بالبراءة من محمد بن اسماعيل بجبايته المعاشير عن الزكوة دنانير بقيمة ثمرة النخل
من اموال الرعية بما يقومه اعوانه وعماله بالدنانير بالجبر من رعيته اليتامى والبالغين والارامل
وجبرهم لنفسه واعوانه وخطاره واضيافه واهله هدرا او فرضا بالنية لا زراية فاحرم في

كتابه

صفحة من مخطوط كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة-لسرحان بن سعيد الأزكوي العماني(المصدر المجمع الثقافي-دولة الإمارات العربية المتحدة-أبوظبي)

كتابه أخذ أموال الناس وأكلها بالباطل وحرم ما رسوله في سنته الا بحقها وقال الشيخ أبو الحسن
محمد بن علي البسيوي إذا سئل عن الأموال ما يحل منها وما يحرم فقال إن الأرض لله يورثها من يشاء
من عباده وقد جعل الله الأموال مقسمة على خلقه وملك كل امرئ ما شاء وحرم على عباده منها
ما شاء وقد قال الله في كتابه لا تظلمون ولا تظلمون فحرم الظلم كله والأموال أكلها الا من وجه
ما اتفق عليه أنه حلال من أموال المسلمين وندين لله عز وجل بالبراءة من محمد بن إسماعيل بجبايته
للخراج والكسرة للجبابرة من أموال الرعية على الخوف وخشية الظلم على دولته ونفسه ومن رعيته
وأموال رعيته لأن ذلك الخراج والكسرة هو إثم وعدوان وقد حرم الله التعاون على الإثم والعدوان
وقال الله وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان وحرم الركون إلى
الظلم وطاعة الآثم والكافر وكذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معونة الظالم
وأوعدهم النار فقال يحشر الظلمة وأعوانهم ومن أعانهم ببري قلم أو مدة مداد فأووا إلى
النار والله لا يحب الظالمين وقال لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقد اجتمعت الأمة أن
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وقد اجتمعت الأمة أن الذي يطلبه الجبابرة ويأخذونه من الرعية
هو إثم وعدوان وبغي وظلم ومعصية ومنكر وباطل فمن جبى للجبابرة وأهل البغي وغيرهم من
الناس بالجبر على الخوف منهم نفسه وماله وعلى الخوف على الناس وعلى أموالهم من إمام أو غيره فقد
أعان على الإثم والعدوان والطاعة للآثم على إثمه والكافر على كفره وقد عصى الله ورسوله بفعله
هذا وقد استحق الخلع والبراءة في دين المسلمين وقد جاء في الآثار الصحيحة عن المسلمين إذا دخل
ظالم البلد وخاف أهلها اغتصابه وظلمه فغير جائز أن يأخذ من مال اليتيم والغائب والحاضر
ويدفع به الظالم ليدفع ظلمه لأن الله قادر أن يدفع ذلك بأسرع من طرفة عين ويمنع من
وصول الظالم وقد اجتمع الخراج للجبابرة والزكاة في رعيته وأجمع عنه محمد بن إسماعيل وقد
ظلم وكفر محمد بن إسماعيل بأخذه أموال الناس واليتامى والأرامل والمساجد لنفسه وأعوانه
وعياله وخطامه وأصحابه وللجبابرة على الخوف وخشية الظلم وخالف بأفعاله هذه كتاب
الله وسنة رسوله ودين المسلمين وصار بأفعاله هذه فاسقا ظالما منافقا ضالا لا مبتدعا
كافرا كفر نعمة لأنه قد حكم بغير ما أنزل الله وقال في سيرته أيضا وندين لله تعالى بالبراءة من
ولده بركات بن محمد بن إسماعيل لجبايته الزكوة لأبيه محمد بن إسماعيل من الناس بالجبر ودخوله في
طاعته وتصويبه أباه على بدعته هذه وضلاله فنحن نبرأ من بركات بن محمد بن إسماعيل مثل أبيه

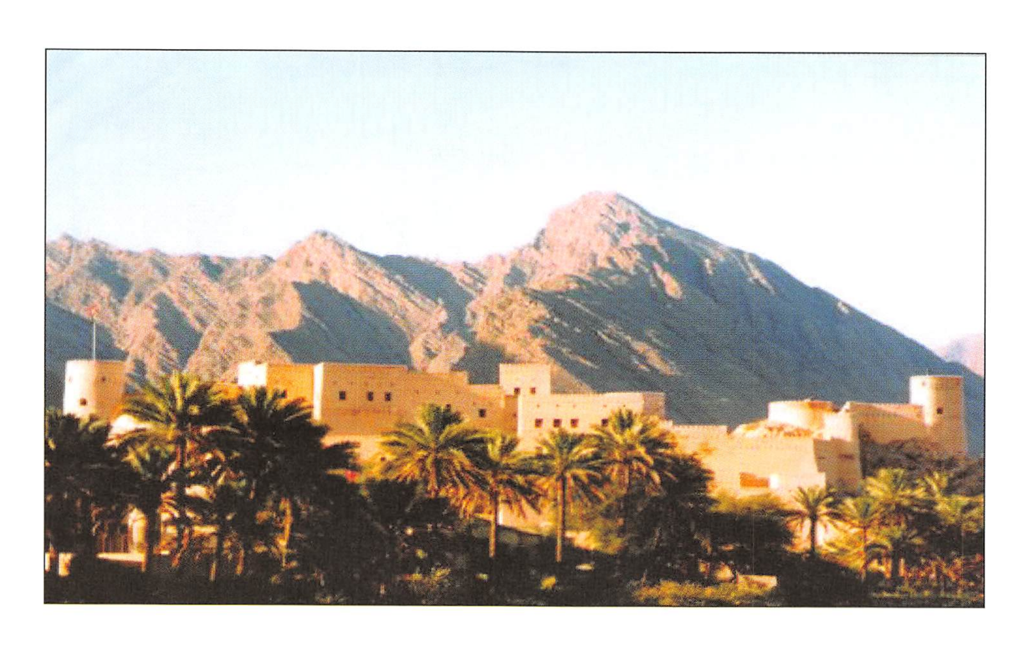
صفحة أخرى من مخطوط كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة-لسرحان بن سعيد الأزكوي العماني(المصدر المجمع الثقافي-دولة الإمارات العربية المتحدة-أبوظبي)



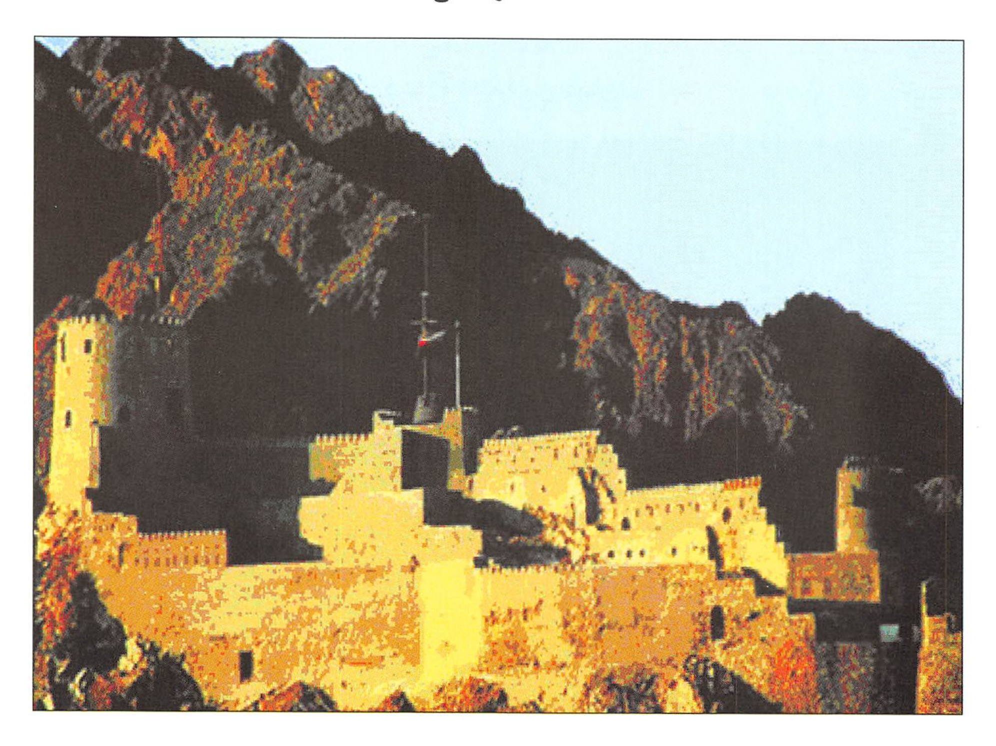
صورة قديمة من عمان



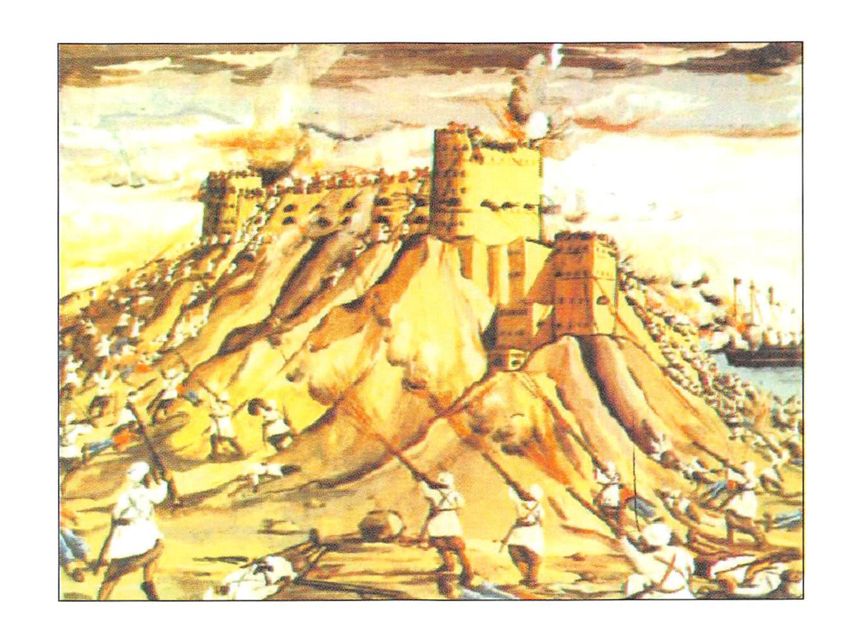
مخطط برتغالي لقلعتهم في دبـا



قلعة الرستاق



قلعة نزوى



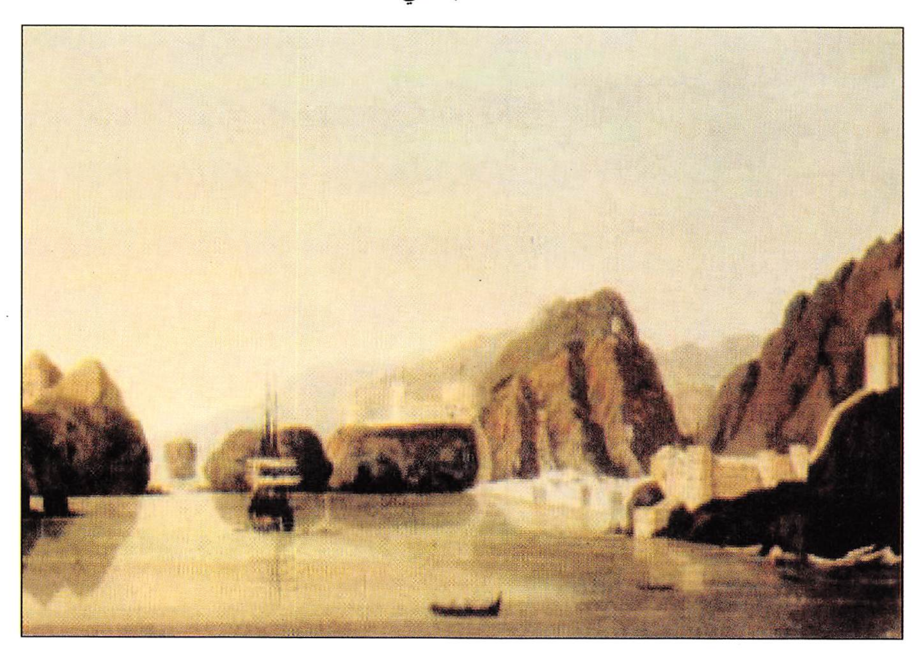
الهجوم لتحرير مسقط



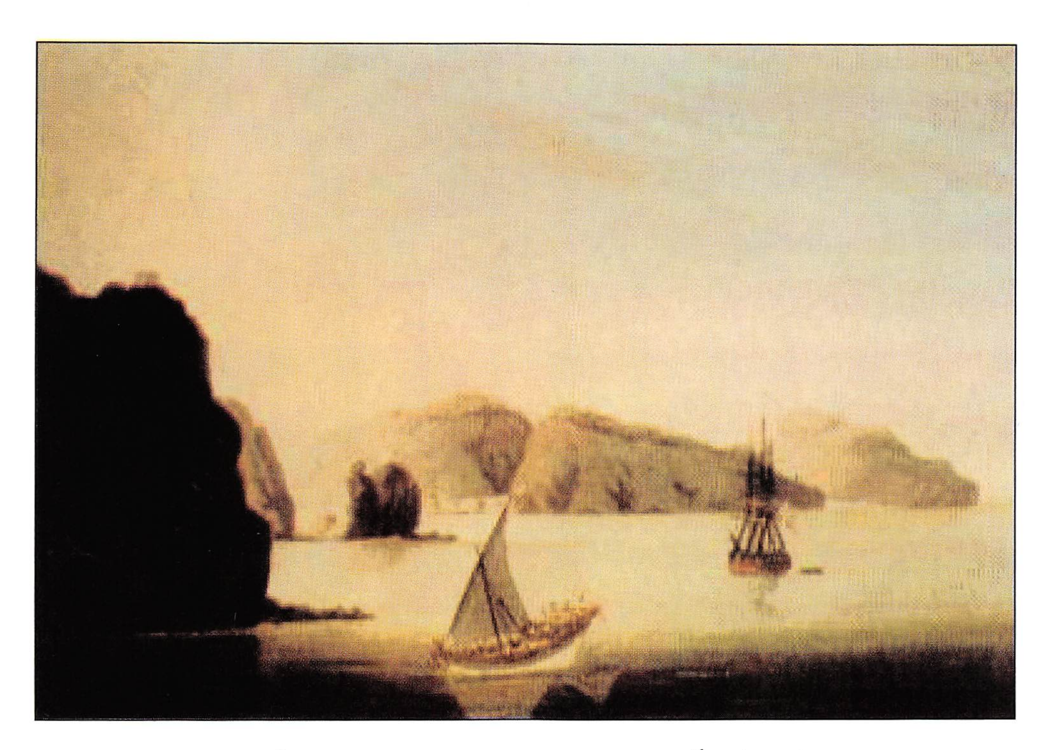
قلعة الجلالي والميراني



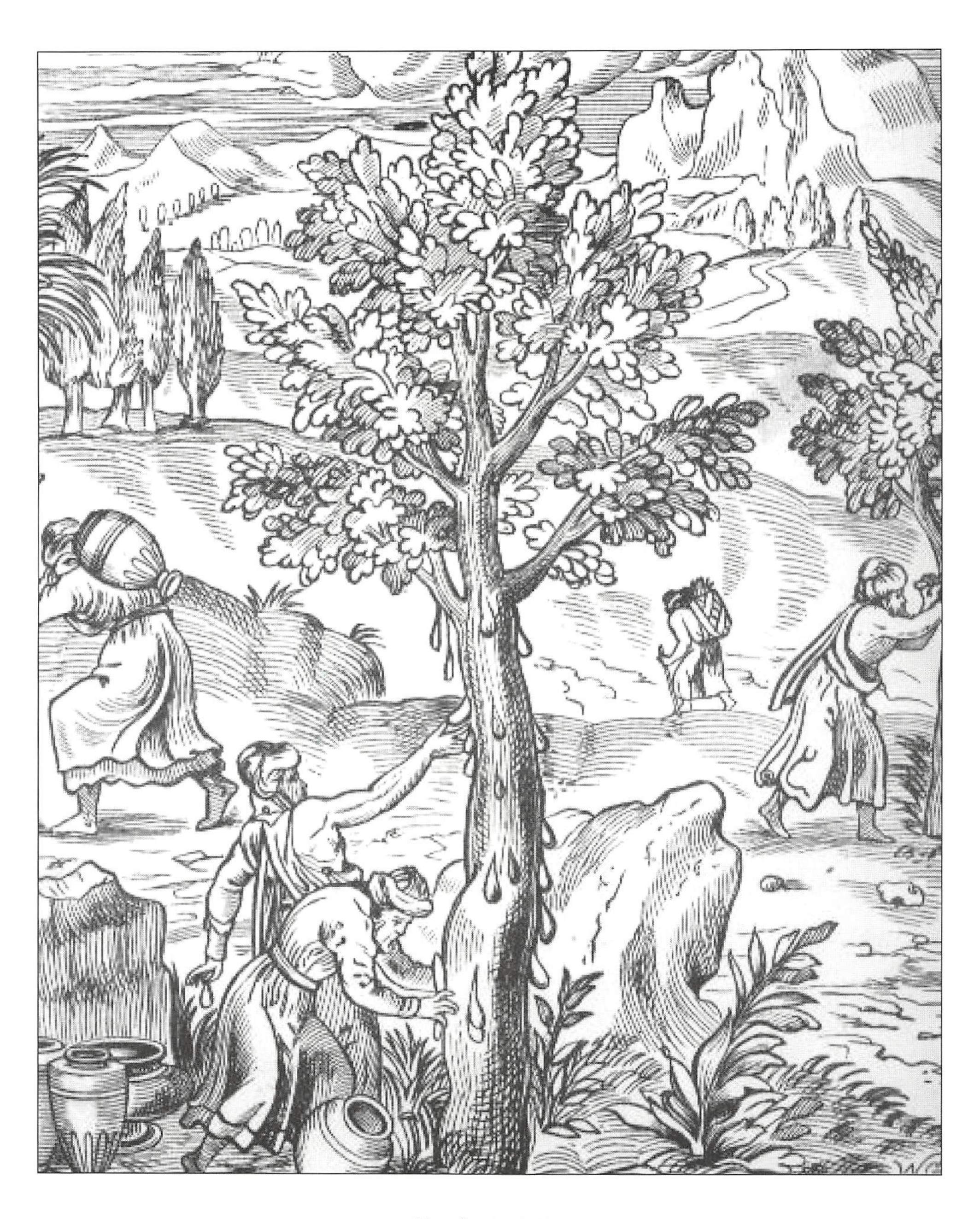
قلعة الجلالي



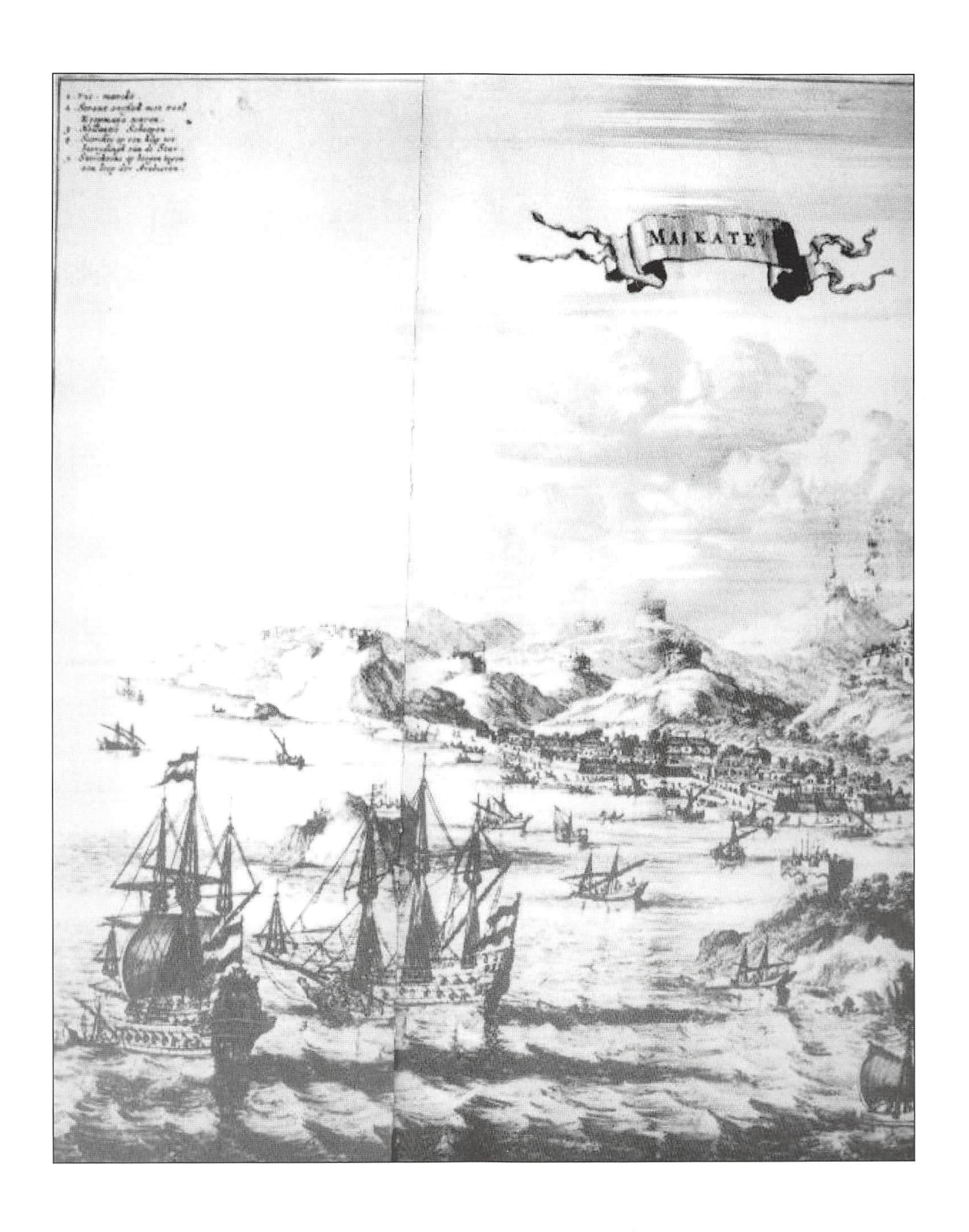
منظر لمسقط أثناء حكم السيد سعيد بن سلطان رسمت سنة 1809



منظر لمطرح أثناء حكم السيد سعيد بن سلطان رسمت سنة 1809



حصاد اللبان في ظفار
تظهر هذه الصورة لنقش في كتاب
THEVET COSMOGRAPHIC UNIVERSELLË
سنة 1575 م
اللوحة تمثل تصور الأوربيين لإنتاج اللبان في الجزيرة العربية



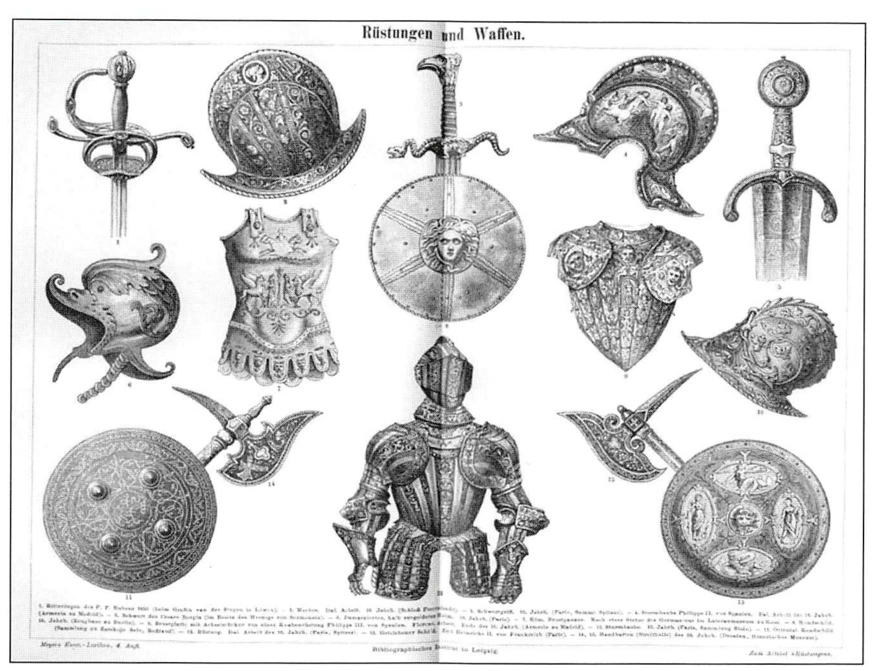
صورة لمسقط في أوائل عهد اليعاربة تصور الحركة والنشاط البحري فيها
وقد نشرت هذه الصورة سنة 1680م في كتاب NAUKEURIGE BESCHRYVING VAN ASIE
للمؤلف OLFERT DAPPER



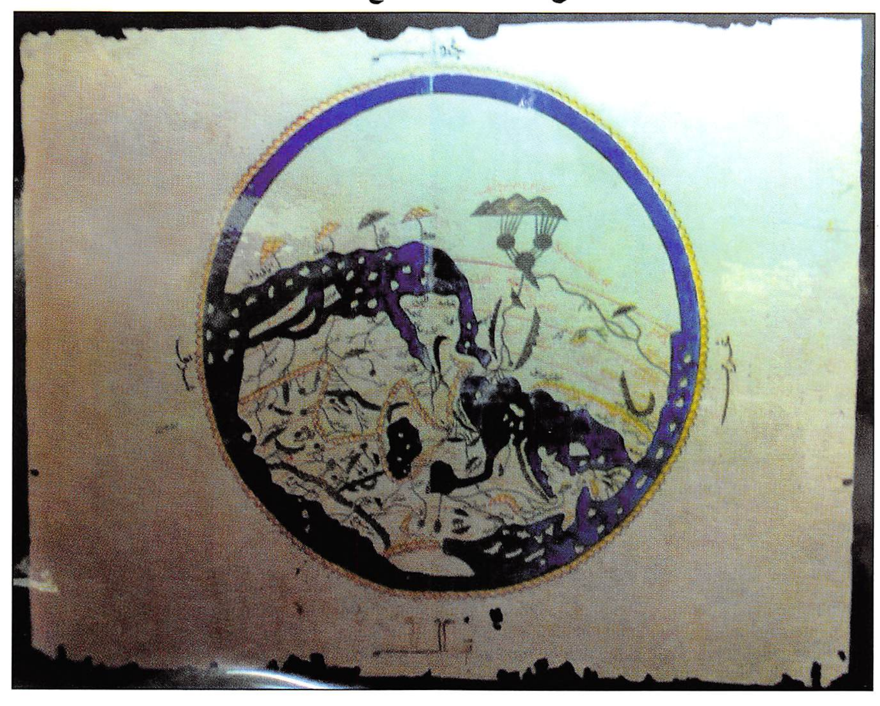
AFONSO DE ALBUQUERQUE الفونسو دو البوكيرك



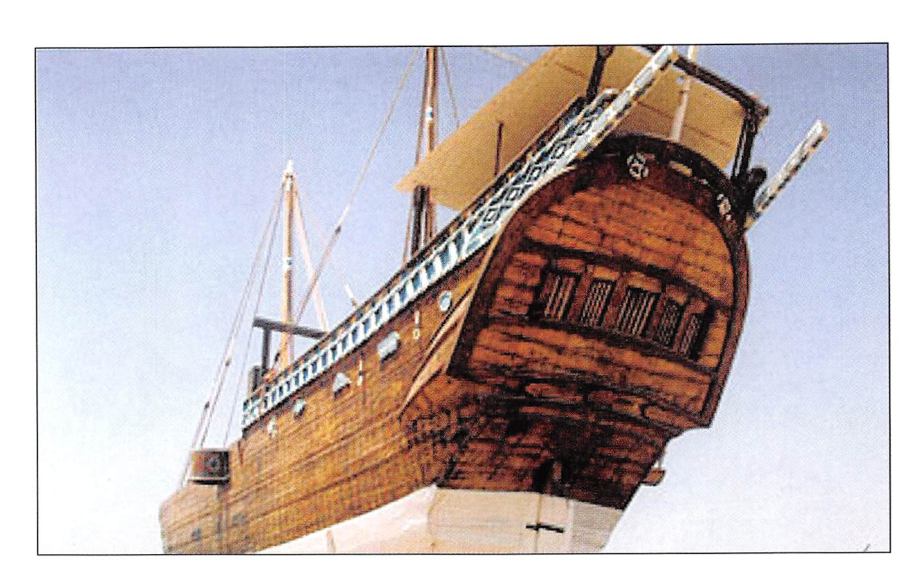
VASCO DA GAMA فاسكو دغاما

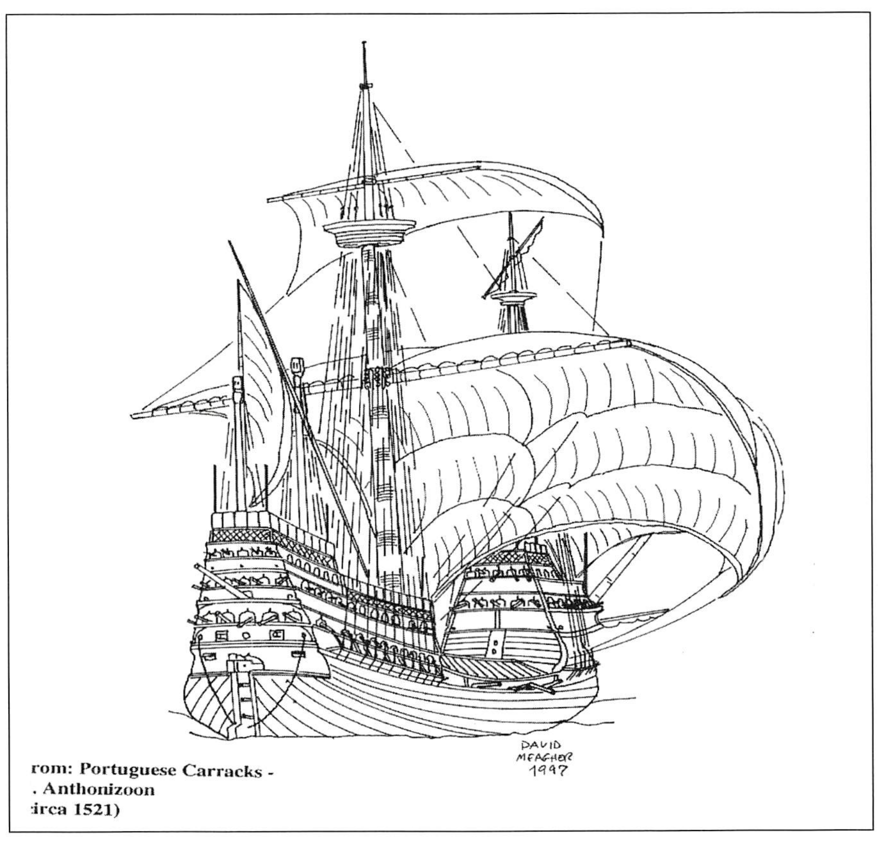


نماذج من أسلحة ودروع برتغالية

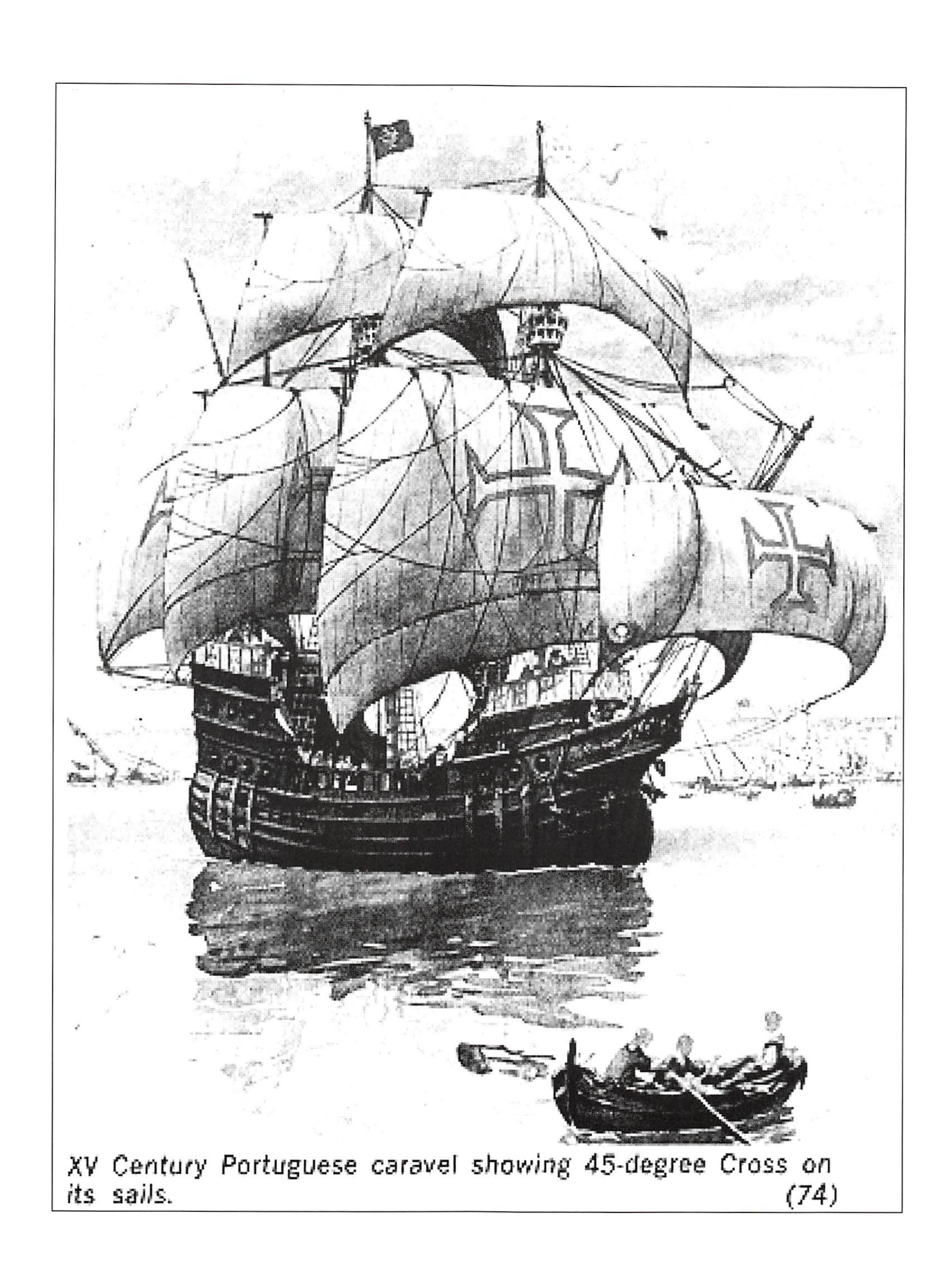


صورة الأرض- للشريف الإدريسي





سفن خليجية تقارب في تصميمها السفن البرتغالية



XV Century Portuguese caravel showing 45-degree Cross on its sails. (74)

سفينة برتغالية (الكارفيلا CARAVEL) في القرن السادس عشر الميلادي

المصادر والمراجع

لائحة المصادر والمراجع

أولا- لائحة المصادر باللغة العربية :

1 - ابن إياس (محمد بن أحمد الحنفي 906هـ - 921هـ)

• بدائع الزهور في وقائع الدهور- ج4 ، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 1984 .

2 - ابن بطوطة (شمس الدين أبي عبدالله محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي- ق14)

• رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، قدم له وحققه ووضع خرائطه وفهارسه عبدالهادي التازي، مج 2 ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية1997.

3 - ابن حوقل (أبو القاسم النصيبي)

• صورة الأرض، ليدن 1938.

4 - ابن خلدون (عبدالرحمن 1406/1332م)

• مقدمة ابن خلدون ، تحقيق حامد أحمد طاهر ، منشورات دار الفجر للتراث ، ط 1، القاهرة 2004.

5 - ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبدالله المتوفى سنة300هـ/ 912م)

• المسالك والممالك، طبعة ليدن 1889 .

6 - الإدريسي (محمد بن محمد بن عبدالله)

• نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، تحقيق مقبول أحمد ، ج 2 . الجامعة الإسلامية ، عليكرة ، الهند1954 .

7 - ابن رزيق (حميد بن محمد 1274هـ/ 1858م)

• الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين . تحقيق:عبدالمنعم عامر/د.محمد مرسي عبدالله ، ط 5 ، وزارة التراث والثقافة –سلطنة عمان، مسقط2001.

• الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان ، تحقيق عبدالمنعم عامر، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، مسقط 1978 .

8 - ابن قيصر (عبدالله بن خلفان –ق17)

• سيرة الإمام ناصر بن مرشد، تحقيق عبدالمجيد حسيب القيسي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مسقط.

9 - ابن المجاور (جمال الدين أبي الفتح يوسف يعقوب)

• صفة اليمن ومكة وبعض الحجاز، صححه أوسكار لوففرين ، منشورات المدينة ،ط2. سنة 1986 .

10 - الأزكوي (سرحان بن سعيد 1728م)

• كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة ج2 ، دراسة وتحقيق:د.حسن محمد عبدالله النابودة، دار البارودي 2006 .

• تاريخ عمان المقتبس من كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، تحقيق عبدالمجيد حسيب القيسي، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مسقط1976.

11 - بامخرمة (أبو محمد عبدالله الطيب)

• البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولي للسيطرة عليه-نصوص جديدة-مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني بامخرمة1540/1465م كما سجلها في مخطوط قلادة النحر، دراسة وتحقيق دكتور/محمد عبدالعال احمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب1980 .

12 - **البكري (ابو عبيـد)**

• المسـالك والممالك . ج1، حققه وقدم له وفهرسـه أدريان فان ليوفن واندري فيري، تقديم ترجمة سـعد غراب . المؤسسـة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسـات ، بيت الحكمة. تونس 1992.

13 - **السالمي (نور الدين عبدالله بن حميد(1332هـ/1914م)**

• تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان، ج2-1 ، مكتبة الاستقامة ، القاهرة 1993.

14 - **الشقصي (خميس بن سعيد بن علي بن مسعود الرستاقي – ق17)**

• منهج الطالبين بلاغ الراغبين،ج 1، تحقيق سـالم بن حمد بن سـليمان الحارثي، وزارة التراث القومي والثقافة. مسقط، سلطنة عمان.

15 - **الطبري (محمد بن جرير)**

• الرسل والملوك ، ج5 ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة 1969-1960

16 - **الغزالي (أبو حامد)**

• الاقتصاد في الاعتقاد، تقديم وتعليق وشرح/الدكتور:علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، ط1، سنة1993

17 - **مجموعة من الأحداث والفتوى الخاصة بعلماء وأئمة عمان**

• السـير والجوابـات لعلمـاء وأئمة عمان، ج 1 ، تحقيق وشـرح الأسـتاذة الدكتورة : سيده إسماعيل الكاشـف ، وزارة التراث القومي والثقافة،مسقط، سلطنة عمان 1986

18 - **المسعودي (أبو الحسن علي بن الحسين بن علي-المتوفي957م)**

• مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج1، تدقيق وضبط يوسف أسعد داغر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع1984-1983.

19 - **المقدسي (أبو عبدالله محمد بن أحمد)**

• أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، منشورات مكتبة خياط، بيروت ، لبنان .

20 - **مؤلف مجهول**

• تاريخ أهل عمان، تحقيق وشــرح دكتور/ ســعيد عبدالفتاح عاشــور، وزارة التراث القومي والثقافة، ط2 ، مسقط، سلطنة عمان 2005 .

21 - **مؤلف مجهول**

• قصــص وأخبــار جــرت في عمان، تحقيــق عبدالمنعم عامــر، وزارة التراث القومي والثقافة، مسقط، سلطنة عمان.

22 - **النهروالي (قطب الدين محمد بن أحمد المكي - المتوفي 990هـ/1581م)**

• البرق اليماني في الفتح العثماني ، منشورات دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، الرياض، المملكة العربية السعودية1967.

ثانياً- لائحة المصادر الأجنبية المترجمة:

1 - أفونسوا دلبوكيرك (Afonso Dalboquerque)

• السجل الكامل لأعمال أفونسو دلبوكيرك Afonso Dalboquerque، ترجمة د.عبدالرحمن عبدالله الشيخ - المجلد1 - 2 ، المجمع الثقافي، أبوظبي ،دولة الإمارات العربية المتحدة2000 .

2 - بيدرو تخسيرا

• تاريخ الخليج والبحر الأحمر في أسفار بيدرو تخسيرا، ترجمة الدكتور عيسي أمين، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، البحرين1996.

3 - دوارتي بربروسا

• الموسوعة البرتغالية- تاريخ البرتغاليين في الخليج العربي-مذكرات دوارتي بربروسا1518م، ترجمة عن الإنجليزية دكتور/عيسي أمين، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، البحرين1996.

4 - روي فيريرا اندرادي

• يوم سقطت هرمز (مذاكرات القائد البحري روى فيريرا اندرادى)، ترجمة الدكتور عيسي أمين، مؤسسة الأيام للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع، البحرين1996.

5 - ماركوبولو

•رحلات ماركوبولو، ج 3 . ترجمة إلى الإنجليزية وليم مارسدن –وترجمة إلى العربية عبدالعزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ثالثاً- لائحة المراجع باللغة العربية:

1 - ابن يوسف (إبراهيم)

• الحكم والسياسة في الإسلام من منظور الإباضية، مطبعة تقنية الألوان، الجزائر 1991.

2 - البرغوثي (جبارة)

• تاريخ الخليج العربي، دار كنعان ،ط1، دمشق 2005 .

3 - بطي (أحمد محمد عبيد)

• الصراع البرتغالي العثماني في القرن السادس عشر، ندوة الثقافة والعلوم، ط1 ، دولة الإمارات العربية، دبي 1991.

4 - بوشرب (أحمد)

• وثائق ودراسات عن الغزو البرتغالي ونتائجه، دار الأمان، ط1، المملكة المغربية، الرباط 1997

• « المخططات البرتغالية خلال القرنين15و16» . ضمن كتاب في النهضة والتراكم، دراسات في تاريخ المغرب والنهضة العربية مهداة للأستاذ محمد المنوني، دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء .

• مغاربة في البرتغال خلال القرن 16، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، رسائل وأطروحات رقم36 ، المملكة المغربية ، الرباط1996 .

5 - الجابري (محمد عابد)

• العصبية والدولة- معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، دار النشر المغربية، المملكة المغربية، الدار البيضاء1984 .

6 - جعيط (هشام)

• الفتنة ، ترجمة خليل أحمد خليل ومراجعة المؤلف، دار الطليعة للطباعة والنشر،ط5 ، لبنان ، بيروت2005 .

7 - الجنحاني (الحبيب)

• المجتمع العربي الإسلامي ، د/الحبيب الجنحاني ، عالم المعرفة، العدد319 ،مطابع السياسة، الكويت ، سبتمبر لسنة 2005 .

8 - حركات (إبراهيم)

• المغرب عبر التاريخ ج 2 ، دار الرشاد الحديثة ، المملكة المغربية ، الدار البيضاء 2000.

9 - الحارثي (عبدالله بن ناصر بن سليمان)

• « الرستاق ومكانتها السياسية قبل الإسلام وفي العصر الإسلامي » ، ضمن كتاب الرستاق عبر التاريخ ، حصاد ندوة التي أقامها المنتدى الأدبي في الفترة من 6-7 شعبان1422هـ/ الموافق24-23 اكتوبر2001، ط1 ، وزارة التراث والثقافة، سلطنة عمان، مسقط 2002 .

10 - حاطوم (نور الدين)

• تاريخ العصور الوسيط في اوربه من القرن 12 إلى 15، الجزء 2 ، ط1، دار الفكر، سوريا، دمشق 1993 .

• تاريخ القرن17 في أوربه، دار الفكر ، سوريا ، دمشق1986 .

11 - الحمداني (طارق نافع)

• «السفن التجارية العربية والهندية بين القرن الثالث عشر والسادس عشر» ، ندوة رأس الخيمة التاريخية الثانية21-19نوفمبر1988م ، ضمن كتاب الصلات التاريخية

بـين الخليج العربـي والدولـة العثمانيـة (مجموعة أبحـاث). سلسـلة الندوات التاريخية2 ، مركز الدراسات والوثائق، دولة الإمارات العربية، رأس الخيمة.

12 - حنظل (فالح)

• العـرب والبرتغـال في التاريخ، المجمع الثقافي، ط1 ، دولة الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي1997.

13 - الجيب (فوزية)

• تاريخ النفوذ البرتغالي في البحرين، المؤسسة العربي للدراسات والنشر بالتعاون مع مملكة البحرين وزارة الأعلام الثقافة والتراث الوطني ط1 ، 2003.

14 - الخروصي (سليمان بن محمد)

• ملامح من التاريخ العماني، مكتبة الضـامري للنشـر والتوزيع، ط3 . سـلطنة عمان ، السيب 2002.

15 - الدرورة (علي بن ابراهيم)

• تاريـخ الاحتلال البرتغـالي للقطيف(1572-1521)، المجمع الثقـافي، دولة الإمارات العربية المتحدة، أبوظبي2001.

16 - درويش (مديحة أحمد)

• سلطنة عمان في القرنين18 و19 ، دار الشروق لنشر والتوزيع والطباعة، ط 1، المملكة العربية السعودية1982.

17 - ربيع (حامد عبدالله ربيع)

• « النظام الدولي الإقليمي في منطقة الخليج العربي خلال فترة الاستعمار البرتغالي » ، ضمن كتاب الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشـرق إفريقيا، سلسـلة الندوات التاريخية (1) ، ندوة رأس الخيمة التاريخية الأولى اغسـطس1987، منشـورات مركـز الدراسـات والوثائق، دولـة الإمارات العربية ، رأس الخيمة.

18 - الرواحي (سالم بن محمد بن سالم)

• الدعـوة الإسـلامية في عمـان في عهـد اليعاربة1034هـ/1133هـ، مطبعـة الألـوان الحديثة،2003.

19 - السالوس (علي أحمد)

• الإمامة عند الجمهور والفرق المختلفة، مكتبة ابن تيمية ، ط1، الكويت 1978.

20 - السبتي (عبد الأحد)

• « أخبار المناقب ومناقب الأخبار»، ضمن كتاب التاريخ وأدب المناقب، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، المملكة المغربية، الرباط1989.

• النفوذ وصـراعاته في مجتمع فاس من القرن17 حتى بداية القرن20 ، دار توبقال، ط1 ، المملكة المغربية،الدار البيضاء2007.

21 - السلمان (محمد حميد)

• الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج1525-1505م، مركز زايد للتراث والتاريخ، دولة الإمارات العربية، العين2000 .

22 - السيابي (سالم بن حمود بن شامس)

• الحقيقة والمجاز في تاريخ الإباضية باليمن والحجاز1400-هـ/1980م، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مسقط.

• عمـان عـبر التاريـخ ج2 ، وزارة الـتراث القومـي والثقافة، ط4، سـلطنة عمان، مسقط2001.

23 - السيار (عائشة)

• دولة اليعاربة (عمان وشرق إفريقيا 1741-1624)، تقديم /الدكتور صلاح العقاد، الناشر /دار القدس، ط1 ، 1975.

24 - شاكر (محمود)

• موسوعة تاريخ الخليج العربي ج1 ، محمود شاكر، دار أسامة للنشر والتوزيع2003.

25 - الشكعة (مصطفي)

• إسلام بلا مذاهب، ط2 ، الدار المصرية اللبنانية1987.

26 - شهاب (حسن صالح)

• مـن تاريـخ بحرية عمان التقليديـة، وزارة التراث القومي والثقافة،ط1 ، سـلطنة عمان، مسقط2001.

27 - طويرش (عبيد)

• الصـراع حـول مضـيق هرمز ، اتحاد كتـاب وأدباء الإمـارات،ط 1، دولة الإمارات العربية1990.

28 - العاني (عبدالرحمن عبدالكريم)

• تاريخ عمان في العصور الإسلامية الأولي، دار الحكمة، ط1، لندن1999.

29 - العروي (عبدالله)

• مفهوم التاريخ(الألفاظ والمذاهب-المفاهيم والأصول) ، المركز الثقافي العربي، ط4، المملكة المغربية ،الدار البيضاء 2005.

30 - عمارة (محمد)

• الوسـيط في المذاهب والمصـطـلحات الإسـلامية، شـركة نهضـة مصر للطباعة والنشر 2004 .

31 - عياش (جرمان)

• «اتجـاه جديـد للبحث التاريخي في المغرب» ، ضـمن كتاب البحث في تاريخ المغرب- حصـيلة وتقـويم، سلسـلة ونـدوات ومناظـرات رقـم 14، كليـة الآداب والعلوم الإنسانية ،المملكة المغربية، الرباط، 1989.

32 - عمر (عمر عبدالعزيز)

• التاريـخ الأوروبـي والأمريـكـي الحـديـث ، دار المعرفة الجامعية،جمهورية مصـر العربية 1997.

33 - العيدروس (محمد حسن)

- سقوط الحكم البرتغالي في الخليج، دار المتنبي للطباعة والنشر ،ط 1، دولة الإمارات العربية، أبوظبي 1992.
- دراسات في الخليج العربي-دار الكتاب الحديث، ط1 ، 1999.

34 - غباش (حسين عبيد غانم)

- عمان الديمقراطية الإسلامية –تقاليد الإمامة والتاريخ السياسي الحديث(1500-1970). نقله إلي العربية د/أنطوان حمصي، دار الفارابي1999.

35 - الغيلاني (سعيد بن محمد)

- « مكانة نزوى التاريخية» ، ضمن كتاب نزوى عبر التاريخ، -حصاد الندوة التي أقامها المنتدى الأدبي في نزوى- الفترة من 17-16 جمادي الآخر 1419هـ/ الموافق8-7أكتوبر 1998م ، ط1 ، منشورات وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مسقط 2001.

36 - فوزي (فاروق عمر)

- الإمامة الإباضية في عمان-دراسة تاريخية لأحوال عمان في ظل الأئمة الإباضية في الحقبة من منتصف القرن2هـ/8م ومنتصف القرن 6هـ/12م ، جامعة آل البيت، عمان1997.

37 - قاسم (جمال زكريا)

- ندوة مكانة الخليج العربي في التاريخ الإسلامي ، جامعة الإمارات العربية المتحدة-كلية الآداب-بالتعاون مع المجمع الثقافي1990.
- الخليج العربي /دراسة لتاريخ الإمارات العربية عصر التوسع الأوربي الأول، الفكر العربي1973.

38 - القاسمي (سلطان بن محمد)

- بيان للمؤرخين الأماجد في براءة ابن ماجد ، الطابعون: مداد الشارقة، ط 1، دولة الإمارات العربية المتحدة 2000.

39 - قلعجي (قدري)

• الخليج العربي بحر الأساطير، قدري قلعجي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ط3، 1995.

40 - القوزي (محمد علي)

• دراسات في تاريخ العرب المعاصر، دار النهضة العربية، ط1 ، لبنان ، بيروت 1999.

41 - مجموعة أبحاث

• العلاقات التاريخية بين الخليج العربي وشبة القارة الهندية ، ندوة رأس الخيمة التاريخية الثالثة من 19-17مارس1990م (مجموعة أبحاث)، سلسلة الندوات التاريخية3، الإمارات العربية،مركز الدراسات والوثائق رأس الخيمة.

• مناهج توثيق التراث الشعبي في دولة الإمارات والخليج العربي، ج 2 ، إعداد الدكتور/ حسن محمد النابودة و الدكتور/محمد فاتح صالح زعل ، بحوث المؤتمر السنوي الثاني من28-26 مارس2000، ، إصدارات مركز زايد للتراث والتاريخ، دولة الإمارات العربية- العين.

42 - مراد (محمد عدنان)

• صراع القوى في المحيط الهندي والخليج العربي، مراجعة شهيرة مراد ، تقديم د/ شاكر الفحام، دار دمشق للطباعة والنشر1983.

43 - منصور (فوزي)

• خروج العرب من التاريخ، ترجمة ظريف عبدالله /كمال السيد، مكتبة مدبولي، ط1، 1993.

44 - النقيب (خلدون حسن)

• المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية، إصدارات مركز دراسات الوحدة العربية1989.

45 - **الهاشمي (سعيد بن محمد بن سعيد)**

- « تاريخ مدينة الرستاق الحديث(1624-1810م) » ، ضمن كتاب الرستاق عبر التاريخ، حصـاد النـدوة التي أقامها المنتـدى الأدبي في الفترة من 7-6شـعبان1422هـ/ الموافق24-23 اكتوبر 2001، وزارة التراث والثقافة . سلطنة عمان، مسقط.
- « الحركـة الثقافيـة في عمـان خـلال عهـد دولة اليعاربة » ، ضـمن كتـاب نماذج من المحاضـرات التي ألقيت بالمنتدى الادبـي1999-1996 ، ط1 ، وزارة التراث والثقافة ، سلطنة عمان. مسقط 2000.

رابعاً- لائحة المراجع الأجنبية المترجمة:

1 - ارنولد (توماس)

• الخلافة، ترجمة جميل معلى، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر.

2 - ايكلمان (D.Eickelman)

• « المعارف الدينية في عمان الداخلية » Religious knowledge in inner Oman ، ضمن كتاب، حصاد ندوة الدراسات العمانية ، البحوث والدراسات التي قدمت في الندوة نوفمبر 1980 ، المجلد 6 ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مسقط .

3 - بالاندية (جورج Georges Balandien)

• الانثربولوجيا السياسية Anthoropologie Politique ، ترجمة علي المصري ، ط1 ، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع 1990.

4 - بورديو (بيير)

• الرمز والسلطة ، ترجمة عبدالسلام بنعبد العالي،دار توبقال للنشر، ط2 ، المملكة المغربية، الدار البيضاء 1990 .

5- بوكسر (C.Boxer)

• " ملاحظات جديدة عن الصلات بين العمانيين والبرتغاليين من 1613-1633 " ، New light on the relationships of Oman and Portuguese's ، ضمن كتاب حصاد ندوة الدراسات العمانية، البحوث والدراسات التي قدمت في الندوة نوفمبر 1980 ، مجلد 6 ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مسقط.

6 - تومانوفيتش (نتاليا نيكولايفنا)

• الـدول الأوربيــة في الخليج العربي من القرن16 إلى القرن19 ، ترجمة سـمير نجم الديـن سـطاس، تقديم ومراجعة قسـم الدراسـات والنشـر والشـؤون الثقافية بالمركز، السلسـلة المشتركة للبحوث والمصـادر في تاريخ الجزيرة العربية وبلدان الخليج رقم(4)، إصـدارات مركز جمعة الماجـد للثقافة والتراث،دولة الإمارات العربية المتحدة، دبي.

7 - دو فرجية (موريس Maurice Duverger)

• علم اجتماع السياسةsociolagic de la politique ، ترجمة دكتور سليم حداد، ط1 ، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع 1993.

8 - رايس (E.E.Rice)

• البحـر والتاريـخ The sea and history، ترجمة:د/عاطف أحمد ، عالم المعرفة، العدد314 ، مطابع السياسة، الكويت، ابريل 2005.

9 - رودنسون (مكسيم)

• الإسـلام والرأسـمالية ، ترجمـة نزيـة حكيـم ، دار الطليعة للطباعة والنشـر، ط2 ، بيروت1974.

10 - سلوت (B.J Slot):

• عـرب الخليـج 1784-1602 The Arabs of the Gulf، ترجمـة : عايـدة خوري ، ط1 ، المجمع الثقافي ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، أبوظبي1993.

11 - غدنز (أنتوني Anthony Giddens)

• علم الاجتماع Sociology ، ترجمة وتحقيق الدكتور فايز الصـياغ ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط4 ، 2001 .

12 - فيليبس (وندل)

• تاريخ عمان ، ترجمة محمد أمين عبدالله، ط2، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مسقط 1983.

13 - **كوبر** (آدم Adam Kuper)

• الثقافة والتفسير الأنثروبولوجي Culture.The anthropologists Account، ترجمة/تراجي فتحي ومراجعة/د:ليلي الموسوي، عالم المعرفة، العدد349 ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت مارس2008 .

14 - **كيلي** (جي .بي)

• بريطانيا والخليج ، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مسقط 1979.

15 - **لاكوست** (ايف Yves Lacoste)

• البلاد المتخلفة Sous-Developpes، ترجمة الدكتور كمال الغالي ومراجعة الترجمة:أديب اللجمي، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية.

• العلامة ابن خلدون Ibn Khaldoun ، ترجمة الدكتور ميشال سليمان، دار ابن خلدون، ط1 ، 1974.

16 - **لوغوف** (جاك Jacques Le Gofe)

• التاريخ الجديد La nouvelle histoire ، ترجمة وتقديم د/محمد الطاهر المنصوري-مراجعة د/عبدالحميد هنية ، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 ، 2007.

• العقليات تاريخ مبهم ، ترجمة محمد حميده ، المصدر (الموقع الالكتروني: أنفاس).

17 - **موسنييه** (رولان)

• موسوعة تاريخ الحضارات العام-القرنان السادس عشر والسابع عشر ، ترجمة للعربية (يوسف اسعد داغر/ فريد م.داغر) ،مجلد 4، منشورات عويدات ، بيروت/باريس.

18 - **هولي** (دونالد)

• عمان ونهضتها الحديثة، ترجمة فؤاد حداد وعادل صلاحي -تحرير وتحقيق محمد بيس، مؤسسة ستايس الدولية لندن 1976.

19 - ولنكسون(جون J.C.Wilkinson)

• الإمامة في عمان، ترجمة الفاتح حاج التوم و طه أحمد طه ، مركز الوثائق والبحوث، ط2 ، دولة الإمارات العربية المتحدة ، أبوظبي 2007 .

20 - ويلسون (ارنولد Wilson Arnold)

• تاريخ الخليج ، ترجمة محمد أمين عبدالله ، تقديم أي.اس .أميري، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، مسقط1981.

خامساً- المجلات والدوريات:

1 - بروديل (فرنان F.Braudel)

• «التاريخ والعلوم الاجتماعية» ، مجلة بيت الحكمة ، العدد 5 ، تونس1987.

2 - بوشرب (أحمد)

• « أسباب ومراحل اكتشاف البرتغاليين للسواحل الإفريقية خلال القرن 15 ». مجلة المؤرخ العربي،العدد 31 سنة 1987.

3 - العطية (فوزية)

• «الأوضاع الاجتماعية في الخليج العربي» ، مجلة الوثيقة ، العدد26 ، مركز الوثائق التاريخية، البحرين 13 يوليو1994 .

سادساً- الدراسات الأجنبية :

1- Adamiyat , Fereydoun

Bahrain Islands .New York, Praeger, 1955 .

2 - Al-Qasimi, Sultan Bin Muhammad

The Gulf in the Historic maps 1493-1931, Printed in the UK by Thinkprint Limited,Leicester 1996 .

3 - B. Etienne

"Porblemes de la recherché islamologique au Maroc" ,in Islam et politique au Maghreb.C.N.R.S Paris-1981 .

4 - Bailey W.Diffie and George D.Winius

Foundations of the Portuguese Empire1415-1580, University of Minnesota Press ,Minneapolis, 1977 .

5 - C. Boxer

The Portuguese Seaborne Empire1415-1825. Berkeley, 1969 .

6 - Frederick Charles Danvers

The Portuguese in India , Vol 1 , Frank Cass& CO.LTD, 1966.

7 - Miles , Somul B

The Countries of the Persian Gulf, 2nd Ed In one Volume, London,1966 .

8 - Pesce Angelo

Jiddah: Portrait of an Arabian City , Italy, Falcon, 1974 .

9 - Ronald Watkins

Unknown Seas-how Vasco Da Gama Opened the East, 2004

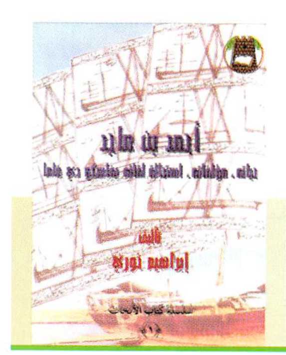
10 - Sousa , Manuel de Fariay

The History of Discovery and Conquest of India , Trans. by John Stevens, 2nd Vol.1 , W.Germany, 1971 .

سلسلة
إصدارات المركز

سلسلة إصدارات المركز

أولاً: سلسلة كتاب الأبحاث .



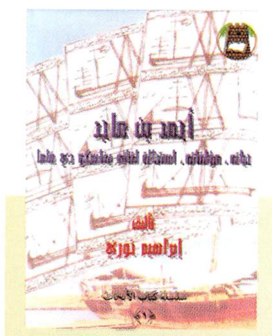
1 - أحمد بن ماجد

- حياته، مؤلفاته، استحالة لقائه بفاسكو دي جاما -

تحقيق : إبراهيم خوري

الطبعة الأولى : 1988 م

الطبعة الثانية : 2001 م



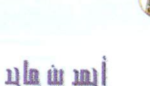
2 - أحمد بن ماجد

- حاوية الاختصار في أصول علم البحار -

تحقيق : إبراهيم خوري

الطبعة الأولى : 1988 م

الطبعة الثانية : 2001 م





3 - أحمد بن ماجد

- شعره الملاحي (الأراجيز و القصائد) -

تحقيق : إبراهيم خوري

الطبعة الأولى : 1988 م

الطبعة الثانية : 2001 م



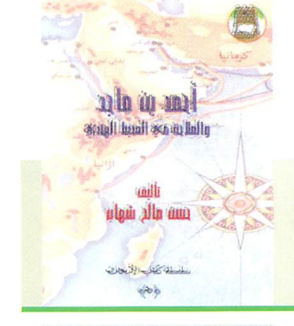
4 - أحمد بن ماجد

- كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد و الفصول -

تحقيق : إبراهيم خوري

الطبعة الأولى : 1988 م

الطبعة الثانية : 2001 م



5 - أحمد بن ماجد

و الملاحة في المحيط الهندي

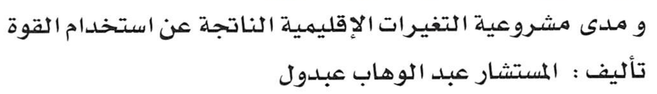
تأليف : حسن صالح شهاب

الطبعة الأولى : 1988 م

الطبعة الثانية : 2001 م



6 - الجزر العربية الثلاث في الخليج العربي

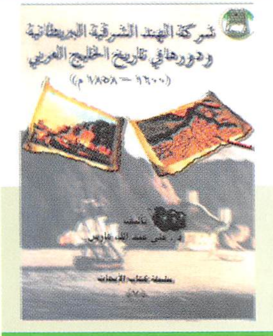


و مدى مشروعية التغيرات الإقليمية الناتجة عن استخدام القوة

تأليف : المستشار عبد الوهاب عبدول

الطبعة الأولى : 1995 م

الطبعة الثانية : 2001 م



7 - شركة الهند الشرقية البريطانية

و دورها في تاريخ الخليج العربي (1600 - 1858 م)

تأليف : الدكتور علي عبد الله فارس

الطبعة الأولى : 1997 م

الطبعة الثانية : 2001 م

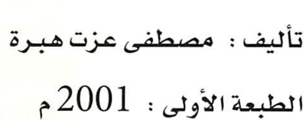


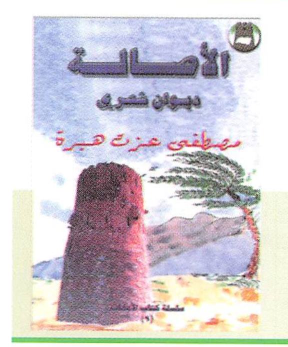
8 - الصقر

(ديوان شعر شعبي و نبطي)

تأليف : مصطفى عزت هبرة

الطبعة الأولى : 2001 م





9 - الأصالة

(ديوان شعر)

تأليف : مصطفى عزت هبرة

الطبعة الأولى : 2001 م



10 - سلطنة هرمز العربية

(المجلد الأول)

تأليف مشترك : للأستاذ إبراهيم خوري

و الدكتور أحمد جلال التدمري

الطبعة الأولى : 2000 م



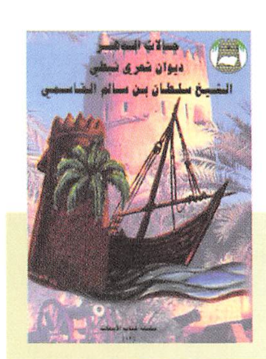
11 - سلطنة هرمز العربية

(المجلد الثاني)

تأليف مشترك : للأستاذ إبراهيم خوري

و الدكتور أحمد جلال التدمري

الطبعة الأولى : 2000 م



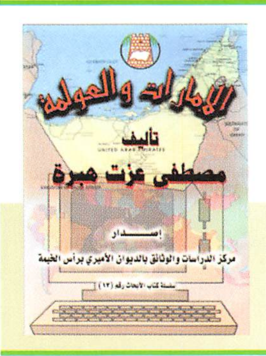
12 - حالات الـدهـــر

(ديوان شعـر نبطـي)

قصائد الشيخ : سلطان بن سالم القاسمي

جمع و إعداد : الدكتور أحمد جلال التدمري

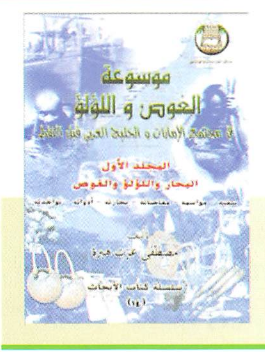
الطبعة الأولى : 1988 م - الطبعة الثانية : 2001 م



13 - الإمارات و العولمـــة

تأليف : مصطفى عزت هبـرة

الطبعة الأولى : 2003 م



14 - موسوعة الغوص و اللؤلؤ في مجتمع الإمارات والخليج العربي قبل النفط

(المجلد الأول)

- سفنه ، مواسمه ، مغاصاتهُ ، بحارتهُ ، أدواته ، نواخذته -

تأليف : مصطفى عزت هبـرة

الطبعة الأولى : 2004 م

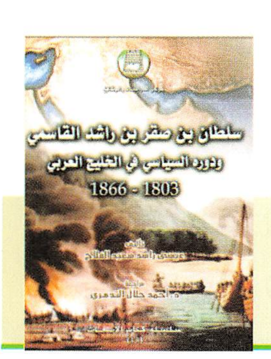


14 - موسوعة الغوص و اللؤلؤ في مجتمع الإمارات و الخليج العربي قبل النفط (المجلد الثاني)

- مملكة الغوص و اللؤلؤ و أسباب اندثارها

تأليف : مصطفى عزت هبـرة

الطبعة الأولى : 2004 م



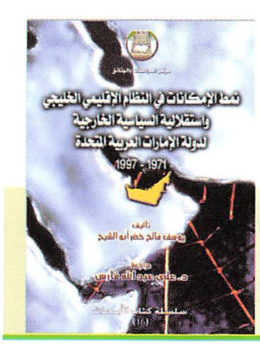
15 - سلطان بن صقر بن راشد القاسمي

و دوره السياسي في الخليج العربي (1803 - 1866)

تأليف : عيسى راشد سعيد الفلاح

مراجعة : الدكتور أحمد جلال التدمري

الطبعة الأولى : 2005 م

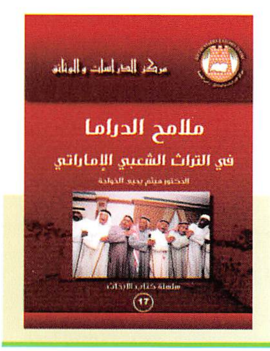


16 - نمط الإمكانات في النظام الإقليمي الخليجي واستقلالية السياسة الخارجية لدولة الإمارات العربية المتحدة (1971 - 1997)

تأليف : يوسف فالح خضر أبو الشيح

مراجعة : الدكتور علي عبد الله فارس

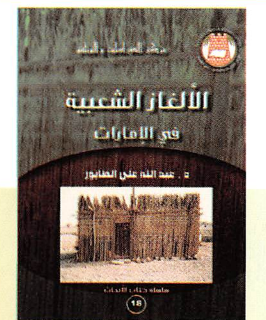
الطبعة الأولى : 2005 م



17 - ملامح الدراما في التراث الشعبي الإماراتي

تأليف : الدكتور هيثم يحيى الخواجة

الطبعة الأولى (2009)



18 - الألغاز الشعبية في الإمارات

تأليف : د . عبد الله علي الطابور

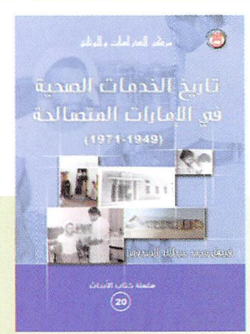
الطبعة الثانية (2009)



19 - العلاقات الحضارية بين شبه الجزيرة العربية والساحل الشرقي لأفريقيا من القرن الثالث قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي

تأليف : د. حمد محمد بن صراي

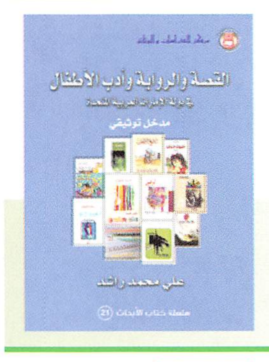
الطبعة الأولى (2009)



20 - تاريخ الخدمات الصحية في الإمارات المتصالحة (1949-1971)

تأليف : فيصل محمد عبدالله المندوس

الطبعة الأولى 1430هـ - 2009 م



21 - القصة والرواية وأدب الأطفال في دولة الإمارات العربية المتحدة « مدخل توثيقي »

تأليف : علي محمد راشد

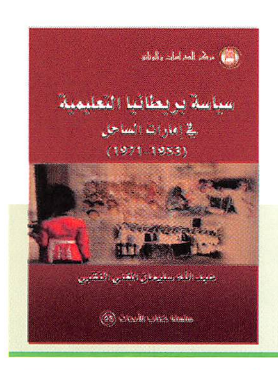
الطبعة الأولى 1430هـ - 2009 م



22 - مجلس حكام الإمارات المتصالحة « 1952 - 1971 »

تأليف : د. سيف محمد بن عبود البدواوي

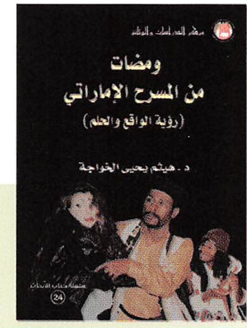
الطبعة الأولى 1430هـ - 2009 م



23 -سياسة بريطانيا التعليمية في إمارات الساحل
« 1953 - 1971 »

تأليف : عبد الله سليمان المغني النقبي

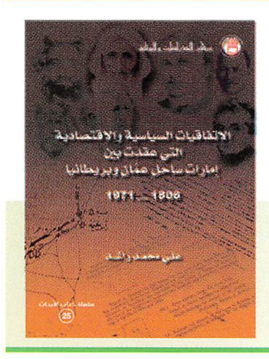
الطبعة الأولى 1430هـ - 2009 م



24 -ومضات من المسرح الإماراتي (رؤية الواقع والحلم)

تأليف : الدكتور هيثم يحيى الخواجة

الطبعة الأولى 1431هـ - 2010 م



25 - الإتفاقيات السياسية والاقتصادية التي عقدت بين إمارات ساحل عمان وبريطانيا 1806 ـ 1971

تأليف علي محمد راشد

الطبعة الثالثة 2010

ثانياً : سلسلة الندوات التاريخية .



1 - أبحاث نـدوة رأس الخيمة التاريخية الأولى
(الاستعمار البرتغالي في الخليج العربي والعلاقة بين الخليج العربي وشرق آفريقيا)

إعداد : الدكتور أحمد جلال التدمري

الطبعة الأولى : 1988 م

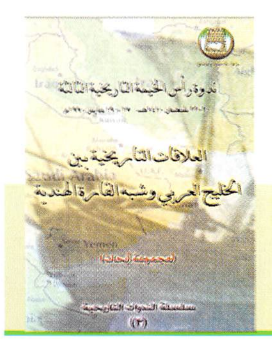
الطبعة الثانية : 2001 م



2 - أبحاث نـدوة رأس الخيمة التاريخية الثـانيـة
(الصلات التـاريخيـة بين الخليج العربي و الدولة العثمانيـة)

إعداد : الدكتور علي عبد الله فارس

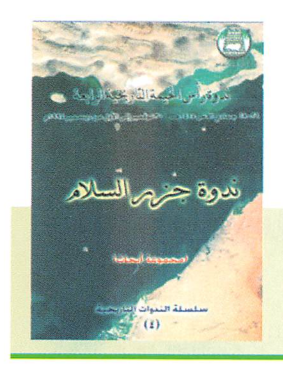
الطبعة الأولى : 2001 م



3 - أبحاث نـدوة رأس الخيمة التاريخية الثـالـثـة
(العـلاقـات التـاريخيـة بين الخليج العربي و شبـة القـارة الهنـديـة)

إعداد : الدكتور علي عبد الله فارس

الطبعة الأولى : 2001 م



4 - أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية الرابعة
(ندوة جزر السلام)

إعداد : الدكتور أحمد جلال التدمري

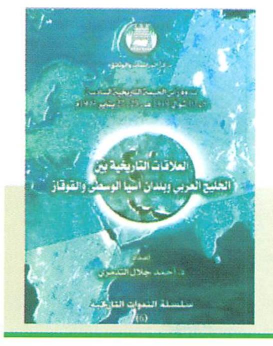
الطبعة الأولى : 2001 م

---

5 - أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية الخامسة
(المؤتمر العالمي السادس لتاريخ العلوم عند العرب)

إعداد : الدكتور علي عبد الله فارس

الطبعة الأولى : 2004 م



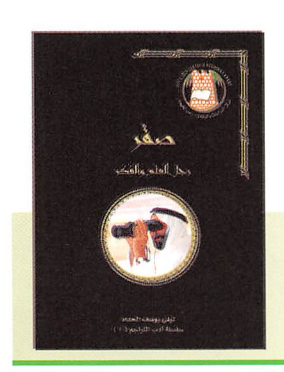
6 - أبحاث ندوة رأس الخيمة التاريخية السادسة
(العلاقات التاريخية بين الخليج العربي وبلدان آسيا الوسطى والقوقاز)

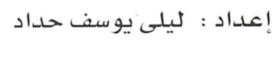
إعداد : الدكتور أحمد جلال التدمري

الطبعة الأولى : 2006 م

ثالثاً : أدب التراجم

1 - صقر رجل الفكر والعلم



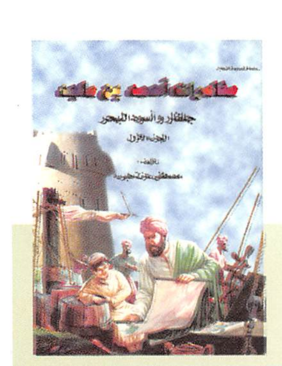


إعداد : ليلى يوسف حداد

الطبعة الأولى : 2009 م

رابعاً : سلسلة كتب الأطفال

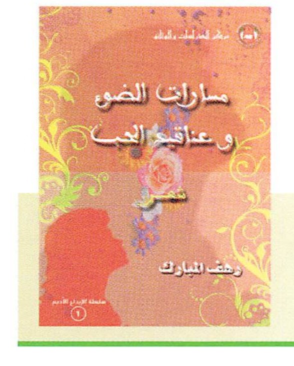
1 - مغامرات أحمد بن ماجد
جلفار وأسود البحر الجزء الأول



تأليف : مصطفى عزت هبرة

الطبعة الأولى : 1998 م

خامساً : سلسلة الإبداع الأدبي



1 - مسارات الضوء وعناقيد الحب - شعر

تأليف : رهف المبارك

الطبعة الأولى : 2010 م



2 - مرافئ الكلمات أبيات في بحار التأملات

تأليف : سالم سيف الجابر

الطبعة الأولى : 2010 م

طُبِعَ في
Printed by
مطبعة رأس الخيمة الوطنية
RAK NATIONAL PRINTING PRESS
Tel.: 07-2281170, Fax: 07-2281188